الحياة الاجتماعية

في مدينة القاهرة

خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر

د. سمير عمر إبراهيم
دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر

الحياة الاجتماعية

في مدينة

القاهرة

خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر

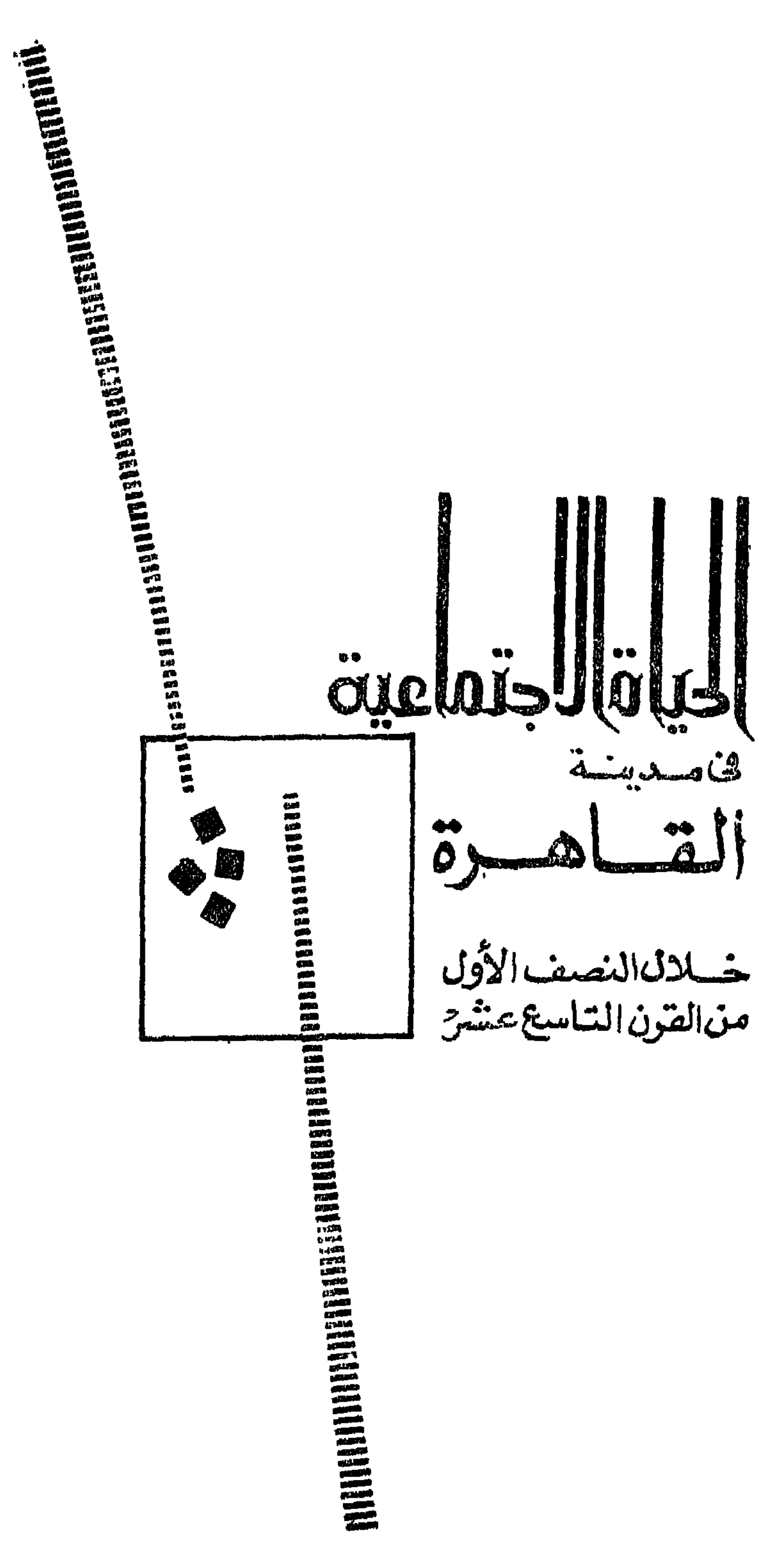
دكتور/ سمير عمر ابراهيم

دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر



١٩٩٢

الاخراج الفنى : البيرجورجى


الحياة الاجتماعية
في مدينة
القاهرة
خلال النصف الأول
من القرن التاسع عشر

المقدمـة

تكمن أهمية هذا البحث فى انه يعالج بالدراســـة والتحليل فترة زمنية من فترات التاريخ المصرى الحديث وعلى وجه التحديد فى الفترة ما بين ١٨٠٠ ، ١٨٥٠ ويتناول هذا البحث مدينـة القاهرة من الناحيـة الاجتماعية ومن المعروف ان التاريخ الاجتماعى لم يجـد اهتماما كبيرا من الباحثين والدارسين مثلما وجده التاريخ الســياسى ذلك مما حدا بى الى اختيار هذا الموضوع أضف الى ذلك ان مدينة القاهرة خلال تلك الفترة قد شهدت تغيرات اجتماعية فى جوانب كثيرة من حياة المجتمع القاهــرى وذلك يرجع الى بداية الاحتكاك المباشر القوى بين المجتمع المصرى وأوربا الحديثة ومن ناحية أخرى الى اعتلاء محمد على باشا لولاية مصر الذى أحدث بدوره كثيرا من التحديث والتجديد فى المجتمع المصرى ٠

* لقد واجهت بعض المصاعب أثناء جمع مادة هذا البحث حيث لا يوجد هناك تقارير مستقلة تتناول جوانب الحياة الاجتماعية فى القاهرة فى تلك الفترة وانما اعتمدت فى جمع المادة على الاشارات التى كانت توجـد بين سطور الوثائق بدار الوثائق القومية بالقلعة ووثائق المحاكم الشرعيـة المحفوظة بدفتر خـانة الشهر العقارى بالقاهرة وهذه الأخيرة منسـوخة بخط اليد دونها كتاب المحاكم الشرعية فى تلك الفترة وبعضها باللغـة التركية والآخر باللغة العربية ويلاحظ ان اللغـة التركية كانت أكثـر استخداما من اللغة العربيـة فى وثائق المحاكم الشرعية عنـد بداية القرن التاسع عشر ولكن بمرور السنوات أخذ استعمال اللغة العربية يكثر ويزداد حتى أصبحت هى اللغة الأكثر استخداما فى الملحكم الشرعية خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر ولقد اعتمدت على الوثائق العربية

وهي رديئة الخط لاتسهل قرائتهـا كما ان بعض الرحالة الأجانب الذين زاروا مصر خلال عهد محمد على وضعوا مؤلفات تضمنت ملاحظاتهم ومشاهداتهم في مصر كانت كلها تهتم بوصف العادات والتقاليد المصريه والآثار القديمة ولم تتطرق الى مختلف جوانب الحياة الاجتماعية الا فى القليل النادر وقد واجهت صعوبة أخرى عند ترتيب أبواب البحث وذلك بالنسبة للشئون القضائية والأمن فرغم صغر حجم هذا الباب الا اننى قد جعلته بابا مستقلا ولم أضفه الى أى باب آخر يبعد عن موضوعه وقد اعتمدت فى بحثى هذا على الكثير من الوثائق العربية أو التركية المترجمة الخاصة بتلك الفترة بدار الوثائق القومية بالقلعة والتى أهمها دفاتر ديوان المعية تركى (مترجم) وديوان مدارس عربى وديوان التجارة والمبيعات وديوان الخديوى (أوامر) وأوامر خزينة تركى (مترجم) وكذلك محافظ الأبحاث المتنوعة وقد وجدت بها معلومات كثيرة ومتنوعة وهامة لهذا البحث كذلك اعتمدت على وثائق المحاكم الشرعية المحفوظة بدفترخانة الشهر العقارى بالقاهرة وأهمها سجلات محكمة الديوان العالى ومحكمة الباب العالى ومحكمة القسمة العربية ومحكمة القسمة العسكرية وهى تشتمل على معلومات هامة توضح لنا حالة التشريع والقضاء بمصر فى تلك الفترة الى جانب انها تلقى كثيرا من الأضواء على مختلف جوانب الحياة الاجتماعية كما اعتمدت فى هذا البحث على كتب المعاصرين العربية والأجنبية منها ومن أهمها : مؤلف الجبرتى الهام عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، وكتاب كلوت بك لمحة عامة الى مصر وكتاب ادوارد وليم لين المصريون المحدثون عاداتهم وشمائلهم بالاضافة الى كتب الرحالة الأجانب الذين زاروا مصر تلك الفترة واعتمدت أيضا على كتب وضعت فى فترة لاحقة أو حالية من أهمها مؤلف أمين سامى الضخم تقويم النيل ، ومجموعة كتب عبد الرحمن الرافعى وكتب بعض أساتذة التاريخ مثل محمد فؤاد شكري وأحمد عزت عبد الكريم وغيرهما بالاضافة الى بعض الكتب الأجنبية المترجمة التى وضعت عن تاريخ مصر فى تلك الفترة مثل كتاب أندرية ريمون فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية وكتاب ج . بير دراسات فى التاريخ الاجتماعى لمصر الحديثة . وبعد أن انتهيت من جمع مادة هذا البحث قمت بتصنيفه وفق المنهج العلمى مراعيا في ذلك التسلسل التاريخى للأحداث ووحدة الموضوع حتى يتيسر لى كتابته وقد اشتمل هذا البحث على خمسة أبواب الباب الأول التركيب الاجتماعى لسكان القاهرة وتناولت فيه التقديرات التى وضعت لتعداد فئات سكان القاهرة والصعوبات التى واجهت ذلك وعوامل ازدياد السكان ومحاولة محمد على لاجراء تعداد شامل لسكان مصر ثم بينت فئات السكان وهم المشايخ والعمال والتجار والأتراك والسوريون والمغاربة والأقباط واليهود والرقيق والأجانب وتحدثت عن

أوضاع كل فئة داخل المجتمع ومدى مشاركتها فى الحيـــاة الاجتماعيــة والتغيرات التى طرأت عليها والتى أبرزت أو أضعفت من دورها فى المجتمع والأسباب التى أدت الى ذلك فعلى سبيل المثال فان المشايخ كانوا يتمتعون بوضع متميز داخــل المجتمع ولعبوا دورا هاما فى مختلف شئون الحياة بسبب وضعهم الاقتصادى المستقر ومكانتهم الدينية وتمتعهم بقدر ما من التعليم ولكن عجز المشــايخ عن مسايرة متغيرات العصر وتمسكهم بالقــديم وعدم تحديد هدف واضح لهم فى تولى شئون البلاد واتجاههم فى المحافظة على الوضع الاقتصادى الذى اكتسبوه من قبل أدى ذلك كله الى ســهولة الاطاحة بهم من مكان الصدارة التى كانت لهم داخل المجتمع والباب الثانى العمران وتناولت فيه وصف مدينة القاهرة من الناحية العمرانيــة حيث وصفت الشوارع والأسواق والحوانيت والقصور ومختلف المبانى مبينا العوامل التى أدت الى الصفات المميزة لمبانى القاهرة وأهمها طبيعة الطقس الحار للبلاد وتقاليد الأهالى الدينية وعدم وجود تخطيط موجه من السلطات فى مجال العمران ثم تحدثت عن التغيرات التى طرأت على الناحية العمرانية فى مدينة القاهرة واتساع مساحتها وأسباب ذلك وكذلك تناولت فى هذا الباب حالة البريد والتلغراف فى القاهرة والتوسع فى إستخدامهما بالاضافة لذلك تحدثت عن الصحة مبينا الشئون الصحية ومعتقدات الأهالى فى هذا المجال فى نهاية القرن الثامن عشر ثم وضحت مدى اهتمام الفرنســيون بالشئون الصحية أثناء الحملة الفرنسية وجهود محمد على باشا فى الاهتمام بالشئون الصحية ورفع كفاءتها وذلك بسبب رغبته فى انشاء جيش قوى وفى تحقيق طموحاته الداخلية والخارجية وتجلى ذلك فى اتجاهين الأول هو الناحية الوقائية وذلك بمحاولة تعميم تطعيم الأهالى ضد الأمراض والأوبئة الخطيرة المنتشرة فى تلك الفترة وفرض الحجــر الصحى فى وقت اللزوم والاتجـــاه الثانى : هو انشاء المؤسســـات العلاجية الحديثة من مــدارس ومستشفيات . الباب الثالث الحياة الثقافيه تناولت فيه التعليم والطباعة والصحافة والترجمة وفى مجال التعليم ركزت على علاقة الطلبة والمؤسسات التعليمية بمجتمع القاهرة وحاولت توضيح الأصول الاجتماعية والجهات التى أتى منها طلبة المدارس الحديثة والأزهر والبعثات العلمية واسلوب التعليم وأثر ذلك على مجتمع القاهرة ثم تحدثت عن الطباعة ومطابع الحملة الفرنسية التى كانت تقوم بطبع المنشورات والجريدتين اللتين أصدرتهما الحملة ومصير مطابع الحملة بعد جلائها عن مصر وكذلك جهود محمد على فى ادخال المطابع الحديثة فى مصر ومدى حاجته اليها وأهم تلك المطابع مطبعة بولاق بالاضافة الى مطابع أخرى صغيرة حكومية أو خاصة وفى مجال الصحافة تحدثت عن صحيفتى الحملة الفرنسية وهما لكورييه دى ليجبت

ولاديكاد ايجيبسين وكذلك الدور الدعائى الذى قامت به منشورات الحملة الفرنسية فى القاهرة ثم ذكرت الصحافة فى عهد محمد على والصحف التى ظهرت فى تلك الفترة والهدف من انشائها وهى على التوالى جورنال الخديوى ـ الوقائع المصرية ـ الوقائع الطبية ـ الوقائع الحربية صحيفة التجارة والزراعة ، وفى مجال الترجمة أوضحت حاجة البلاد الشديدة الى الترجمة والمترجمين فى تلك الفترة وكيفية التغلب على هذه المشكلة وخاصة بعد افتتاح مدرسة الألسن ٠

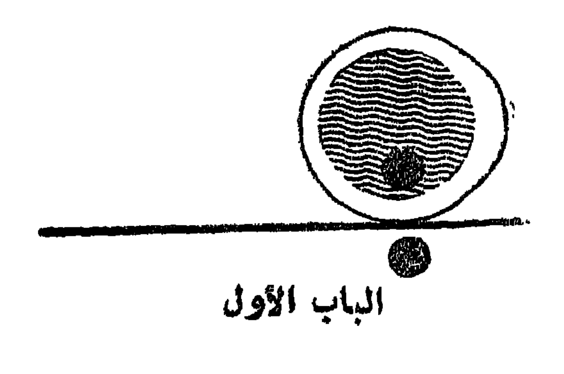
والباب الرابع الشئون القضائية والأمن تناولت فيه حالة القضاء فى مصر زمن الحكم العثمانى ودور قاضى القضاه وأهم محاكم أقسام القاهرة ودورها القضائى ثم تحدثت عن التغيرات التى حدثت فى هذا المجال فى عهد محمد على والغاء كثير من محاكم اخطاط القاهرة وانشاء مجالس ذات اختصاصات قانونية مثل الديوان العالى ومجلس جمعية الحقانية والمجالس التجارية ثم تحدثت عن التشريع فى تلك الفترة وما استحدثه محمد على فى ذلك المجال ، وفى المجال المدنى والجنائى والتأمينات على الموظفين وكذلك دور محمد على فى استتباب الأمن داخل البلاد وجهوده الكبيرة لتحقيق ذلك ٠ الباب الخامس العادات والتقاليد فقد بينت فيه الاتجاهات التى أثرت على الأهالى فى مجال العادات والتقاليد وهى الروح الدينية وروح التعاون وبداية التأثر بأوربا ثم بينت أهم العادات والتقاليد المصرية فى تلك الفترة من أعياد ومناسبات عامة أو خاصة ثم تناولت ملابس الرجال والنساء بالوصف وما طرأ عليها من تغيرات وبعد ذلك الحمامات العامة ومدى انتشارها فى القاهرة وكيفية الاستحمام بها ومياه الشرب وكيفية الحصول عليها ودور السقائين فى المجتمع وكذلك المشروبات الأخرى التى كان يستخدمها سكان القاهرة وأنواع الطعام فى تلك الفترة وكيفية الحصول عليه ومدى انتشار المقاهى بالقاهرة ووصفها ووصف ما يحدث بها وحالة الرقص والغناء والموسيقى ووضع الرواة والمحدثين فى المجتمع والأمثال الشعبية الشائعة فى تلك الفترة ودور الشعراء فى المجتمع وأخيرا الفرق المسرحية والمسرح فى القاهرة ٠

وأحمد الله سبحانه وتعالى الذى وفقنى بعونه الى انجاز هذا العمل

ويطيب لى أن أعبر عن جزيل الشكر وعميق الامتنان للأستاذ الدكتور عبد العزيز سليمان نوار الذى أشرف على هذا البحث حيث كان لارشاداته وتوجيهاته الفضل الأكبر فى تذليل العقبات التى واجهتنى حتى أتممت هذا البحث كما أتوجه بالشكر الى مجموعة من الأخوة والأصدقاء الأوفياء الذين أعطونى من وقتهم وجهدهم الكثير فى مرافقتى الى دور الوثائق بالقلعة ودفتر خانة الشهر العقارى ومكتبة جامعة القاهرة ومكتبة الجمعية الجغرافية بالقاهرة لكى يقوموا بقراءة كل المادة العلمية التى استخدمتها ثم بكتابة كل ما أمليته عليهم بداية من الخطوات الأولى لاعداد هذا البحث وحتى خروجه فى تلك الصورة التى أرجو أن تكون مشرفة كما أود ان أشكر كل موظفى الهيئات السابقة التى كنت أتردد عليها للحصول على المادة العلمية حيث قاموا بعمل التسهيلات الممكنة لهم فى هذه الناحية ٠

دكتور / سمير عمر ابراهيم

١٩٨٤



الباب الأول

التركيب الاجتماعي للسكان

الســـكان

قدر علماء الحملة الفرنسـية عدد ســكان مصر فى بداية القـرن التاسع عشر باثنين ونصف مليـون نسمة وعـدد سكان القـاهرة بثلاثمائة ألف نسمة ومن المتعذر بل المستحيل الرجوع بهذا الرقم الى سنده صحيح وبيان مضبوط لحرمان مصر فى ذلك الوقت من نظـام تضبط بمقتضاه الأحوال المدنية لكل فرد من الأهالى ، كما أن السكان كانـوا يخشـون التعاون فى مجال التعداد لأمور تتعلق بالتقاليد من ناحية ، ومن ناحيـة أخرى خشية التعرض للضرائب ، ولذلك فان تقـدير علماء الحملة كان بناء على انهم ذهبوا الى أن منازل مدينة القاهرة يحتوى كل منها ثمانية أشخاص ، ومساكن الأرياف أربعة على حساب المتوسط فى الجهتين وقدر الذكور من السكان بنحو مليون وأربعمائة ألف نفس ، الثلث منهم على وجه التقريب صالح لحمل السـلاح ، أما مجموع السكان فيمكن تقسيمهم على الوجه الآتى :

المصريون المسلمـون	٢٦٠٠ر٠٠٠ نسمة
المصريون المسيحيون أى الأقباط	١٥٠ر٠٠٠
العثمانيون أى الأتـراك	١٢ر٠٠٠
السودانيون	٢٠ر٠٠٠
البرابـرة	٥ر٠٠٠
العرب أى البـدو	٧٠ر٠٠٠
الأحبـاش	٥ر٠٠٠
المماليك الجراكسـة	٥ر٠٠٠
اليهـود	٧ر٠٠٠
السـوريون	٥ر٠٠٠
اليـونان الأرمـن	٣ر٠٠٠
الأرمـن	٢ر٠٠٠

اليونان الافـــرنج	٢ر٠٠٠
الايطاليـــــون	٢ر٠٠٠
المالطيـــون	١٠٠٠
الفرنســــيون	من ٧٠٠ الى ٨٠٠
الانجـليز	من ٢٠٠ الى ٣٠٠
الأســـبانيون	من ١٥ الى ٢٠

وخلاصـــة القول ان هذه الأرقام التي قدرها كلوت بـك (١) فى ثلاثينيات القرن التاسع عشر ليست الا تصوير فكرة تقريبية عن سكان القطر المصرى ، لذلك فان كلوت بك قدر عدد سـكان مصر ٣ر٠٠٠ر٠٠٠ بثلاثة ملايين ، وقدرهم محمـــــد على فى ذلك الوقت ٣ر٢٠٠ر٠٠٠ ، بثلاثة ملايين ومائتى ألف نسمة (٢) أما تقـديرات ادوارد وليم لين فهى اثنين مليون نسمة ، منهم مائة وخمسون ألفا من الأقباط ، وعشرة آلاف من الأتراك ، ومليون وسبعمائة وخمسون الف من الفلاحين ، وخمســـة آلاف من اليهود وخمسة آلاف من السوريين ، وألفان من الأرمن ، ومثلهم من الايطالين ، وألف من الفرنسين ، وألف ومئتان من الملطيين ، ومائة من الانجليز ، وتمانون من النمساويين وخمسة وعشرون من الروس • ويلاحظ ان لين لم يدخل فى تقديراته عدد سكان الصحراء من البدو ، ويذكر أيضا أن عـدد سكان القاهرة فى عام ١٨٣٥ قبل وباء الطاعون بلغت ٢٤٠ر٠٠٠ نسمة ، وانه لم يلاحظ اى تغير فى مدينة القاهرة منذ زيارته الأولى فى عام ١٨٢٨ م وان الاسكندرية زادت زيادة كبيرة ، وتقدمت حيث انشئت فيها الترسانة البحرية ، بالاضافة الى مكاتب حكومية والقنصليات الأجنبية الأوربية ، وثلاثة مستشفيات وكان لتحول التجارة الخارجية الى الاسكندرية بعد انشاء ترعة المحمودية بالاضافة الى مشـــاريع محمـــد على الصناعية والبحرية أثر كبير فى اعطاء دفعة هائلة لنمو الاسكندرية •

ففى الفتــرة مـن عام ١٨٢٢ الى عام ١٨٣٨ ازداد عـدد الشركات الأوربية التى تدير أعمالا تجارية حرة من ١٦ الى ٤٤ شركة ، وفى الفترة

(١) كلوت بك : تعريب محمد مسعود ـ لمحة عامة الى مصر ـ دار أبو الهول بمصر بدون تاريخ ج ١ ص ٣٧٧ •

(٢) ادوارد وليم لين : ترجمة عدلى طاهر نور ـ المصريون المحدثون دار النشر للجامعات المصرية ص ٢٧ •

من عام ١٨٣٣ الى عام ١٨٤٦/١٨٤٧ ازداد ايراد الجمارك فى جمرك الاسكندرية من ٦٠٠٠ كيس الى ٥٤٧١٠ كيس .

وفى ذلك الوقت فان القاهرة التى تفوق جميع المدن الأخرى من حيث العدد الى حد بعيد ، قد تدهورت لسببين ، أولا ، أن تجارة القاهرة خلال تلك الفترة كلها قد عانت من المنافسة الخطيرة من جانب الاسكندرية التى دبت فيها الحياة بعد انطواء ، وترك كثيرون من الناس العاصمة القديمة الى الميناء الجديد .

وثانيا : أن الطاعون الرهيب الذى تفشى فى عام ١٨٣٥ م قد أشاع الموت والدمار بين سكان القاهرة أكثر من أى مكان آخر اذ كان عدد الضحايا فى هذه المدينة وحدها يتراوح بين ٣٠ الف ، ٨٠ ألفا ولذلك فان تقديرات السكان فى عام ١٨٢١ م بلغت بالنسبة للقاهرة ٢١٨و٥٦٠ ، والاسكندرية ١٢ر٥٢٨ وتقديرات السكان فى عام ١٨٤٦ م بلغت للقاهرة ٢٥٦ر٦٧٩ والاسكندرية ١٦٤ر٣٥٩ (٣) .

ورغم ذلك فاننا يمكن أن نعتبر عدد سكان القاهرة فى تزايد مستمر طوال تلك الفترة ويرجع ذلك الى المشروعات الصناعية التى أقامها محمد على بالقاهرة حيث جلبت أعدادا كبيرة من الفلاحين للعمل بها ، وكذلك فان انشاء المدارس المختلفة بالقاهرة ساعد على نمو السكان ، كما أن النهضة الصحية التى شهدتها البلاد فى تلك الفترة ساعدت على اضطراد نمو السكان .

ولما كان تعداد السكان يعتمد على الحدث والتخمين ، وكان محمد على يهتم اهتماما شديدا بزيادة عدد السكان لكى يكونوا عونا له فى قيام جيش قوى أو كمصدر لجمع الضرائب فانه قد أصدر أمرا الى عموم جهات القطر المصرى فى (١٣ ذو القعدة سنة ١٢٦١ هـ/١٣ نوفمبر ١٨٤٥ م ، بالشروع فى تعداد أهالى القطر المصرى . بناء على قرار الجمعية العمومية بديوان الماليـة .

وأصدر أمره لعموم الجهات فى ٨ ربيع الأول سنة ١٢٦٢ هـ / ١٧ مارس ١٨٤٦ بسرعة انهاء التعداد ونوه فى الأمر المشار اليه بأنه يهمه ان يكون فوق ذلك مضبوطا ، وقد مد زمن التعداد لمدة سنتين .

وصدر أمر من محمد على الى مديرى الأقاليم فى ٢٣ محرم سنة

---

(٣) ج. بير : ترجمة عبد الخالق لاشين دراسات فى التاريخ الاجتماعى . الطبعة الأولى مكتبة الحرية الحديثة ــ ١٩٧٦ ص ٢٨٢ .

١٢٦٣ هـ / ١١ يناير ١٨٤٧ م وضع فيه ضرورة اتمام التعداد فى أقرب وقت ممكن وانه عين مأمورين للمساعدة فى ذلك ٠

وفى ذو القعدة ١٢٦٣ هـ/١٤ أكتوبر ١٨٤٧ ، صدر أمر آخر من محمد على باشا الى عمد ومشايخ قبائل العربان ، يحثهم فيه بانهاء التعداد الصادر وهدد كل من يخالف الأوامر أو يعطى بيانات غير دقيقة بأشد العقاب ٠

ولقد تضمن الأمر الصادر منه الى حفيده عباس كتخدا باشا فى ٢٢ ربيع الأول سنة ١٢٦٤ هـ / ٢٧ فبراير ١٨٤٨ م بتوكيله بالنيابة عنه فى نظر أعمال مصر لعزمه التوجه الى أوربا نظرا لاعتلال صحته ، وحمله مسئولية اتمام ذلك ٠

ولما جمعت قوائم التعداد الذى تم فى سنة ١٢٦٤ هـ الموافق لسنة ١٨٤٨ م ظهر أن جملة السكان من أهالى وعربان هى :

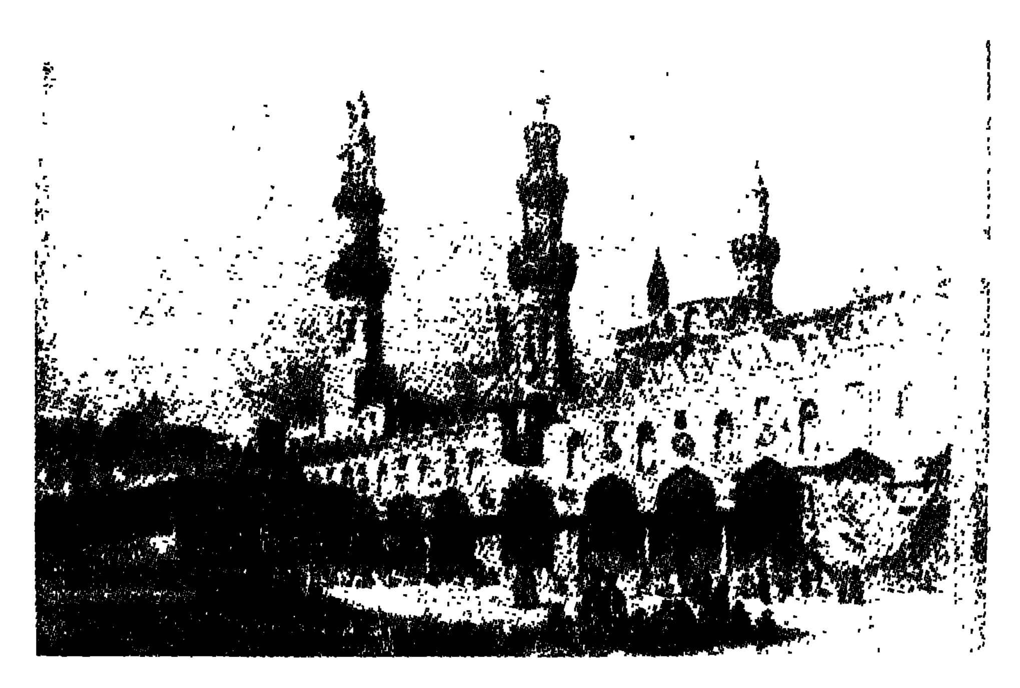
٤٤٧٦٤٤٠ نسمة ، وهو التعداد الذى يرجع اليه فى محفوظات الدفتر خانة بالقلعة لمعرفة أفراد العربان عند طلب نسبتهم الى قبائلهم لمعافاتهم من الخدمة العسكرية وهو المعروف بتعداد سنة ١٢٦٤ هـ (٤) ٠

---

(٤) أمين سامى : تقويم النيل دار الكتب المصرية ١٩٣٦ جـ ٢ ص ٢٨٤ : ٢٨٥ ٠

المشايخ او العلماء

من أبرز القضايا الهامة التى أفرزها القرن التاسع عشر بصفة عامه هى قضية الصراع بين النوابت والمتغيرات أو بمعنى آخـــر الصراع بين كل ما هو قديم وتقليدى وبين الجديد والمستحدث ولقد تأثر العلماء بهذه القضـــية بســـكل واضح فكانوا هم أول من عانى منهـــا ولم يتمكنوا من مســـايرة المتغيرات والمستحدثات التى شـــهدتها مصر مع مطلع القـــرن التاسع عسر مما آدى الى سهولة التخلص منهـــم بعـــد أن اعتلى محمد على ولاية مصر بوقت ليس بطويل وسنعرض ٠ ذلك فى الصفحات التالية ٠



صحن جامع الأزهر

فقد كان الوضع الاقتصادى للعلماء ابان الحـــكم العثمانى أحسن حالا من غيرهم من باقى الأهالى اذ يجدون بعض الحماية فى صفنهم الدينية من بطش المماليك أو فرض المغارم والضرائب الباهظـــه عليهم خاصـــة أثناء الأزمات وأغلب أملاكهم عقارات حضارية مثلما كان يفعل ســـــكان القاهرة جميعا كما كان عدد كبير منهم ملتزم ويظهر ذلك فى مزايدات الالتزام عام ١٧٩٨ م تقريبا (٥) ولكن يبدو ان الجزء الأكبر من ايرادات العلماء كان يأتى من الأوقاف المرصودة على المساجد والطرق الصوفيـــه والأزهر وهى معفاة من أغلب الضرائب ولقــد أبدى العثمانيون احتراما كبيرا للأزهر وعلمائه وأبقوا على مصرية مشيخته منذ البداية الأمر الذى ساعد العلماء على ان يلعبوا دور الوساطة بين الحركة الشعبية وبين الحكام ويعزو بعض المؤرخين سبب هذا الموقف الى رغبة الباب العالى فى استغلال مركز الأزهر الدينى كأداة لفرض ســـيطرته على العـــامة (٦) وقد يكون السبب الأساسى فى ذلك يعود الى أن العلمـــاء كانـــوا الجزء الأنضج فى المجتمع وانهم شكلوا من النواحى الاقتصادية والاجتماعية والفكرية قنطرة طبيعية بين الأهالى والحكام • فقد كان الأزهر عموما المسجد الكبير الذى تدرس فيه علوم الدين ويتمتع بشىء من التنظيم أكثر من أى مؤسسة أخرى فى المجتمع • وكان مشايخ الأزهر وطلابه ينحدرون من أبناء القطر المصرى سواء من الريف وهم الأغلبية والحضر وكانوا يجدون فى السلك الدينى غير المغلق بطبيعته طريقا للتحرك الاجتماعى الى أعلى كما ان الايراد الآتى من الأوقاف الخيرية وغيرها كان يمنحهم نصيبا من الاستقلال وقد ترتب على هذه الأوضاع أن أصبح علماء الأزهر لسان حال السكان أثناء الحكم العثمانى وهناك أمثلة كثيرة على ذلك وأهمها ما يحلو لبعض المؤرخين أن يطلق عليه (المجناكرتا) المصرية وذلك فى ذى الحجة من عام ١٢٠٩ هـ الموافق يونيه سنة ١٧٩٥ م حين تضامن المشايخ مع الأهالى الثائرة بسبب الظلم وكثرة المكوس وذهبوا الى ابراهيم بك ومراد بك وطالب المشايخ بالعدل ورفع الظلم والجور واقامة الشرع وابطال الحوادث والمكوســات التى ابتدعت واستحدثت وكان على رأس هؤلاء المشايخ الشيخ الشرقاوى والسادات والبكرى والأمير وانتهى الأمر الى تلبية مطالب المشايخ (٧) •

غير ان تولى العلماء مهمة الاتصال عن الحركة الجماهيرية لم يكن يعنى تمثيلهم لها أو التعبير عنها بصورة مباشرة كاملة لأن بعض كبار المشايخ

---

(٥) أحمد صادق سعد ـ تاريخ العرب الاجتماعى طبعة أولى ـ بيروت ١٩٨١ ص ١٣٨ •

(٦) سيد اسماعيل على ـ الأزهر على مسرح السياسة المصرية دار الثقافة للطباعة والنشر ١٩٧٤ ص ٦٥ ، ٦٦ •

(٧) الجبرتى ـ عجائب الآثار ـ الطبعة الثانية بيروت ١٩٧٨ م جـ ٢ ص ١٦٧ •

كانوا ينتمون كما هو معروف الى الصفوة الغنية من الملتزمين والاداريين الكبار حال دون ان يكونوا قيادة حقيقية لتلك الحركة وعلى سبيل المثال فى عام ١٧٨٦ م تصدر الشيخ دردير موكبا يحتج على نهب المماليك فقال له ابراهيم بك (كلنا نهابون أنت تنهب ومراد بك ينهب وأنا أنهب كذلك) فانفض المجلس وردت القضية (٨) • كما أننا كنا نجد العامة يقومون بحركات شعبية دون اللجوء الى المشايخ وذلك أثناء الازمات الاقتصادية التى كانت تؤثر فى المقام الأول على عامة الشعب وحدث هذا فى أعوام ١٧٢٣ ، ١٧٣٣ ، ١٧٧٠ ، ١٧٨٠ (٩) •

ويرى أندريه ريمون أن نوعا من النضج واليقظة قد دب فى الحركة الشعبية منذ القرن الثامن عشر فالسخط العام انتشر بين صفوف الشعب وانبثق منها قادة من الحرفيين وصغار التجار وجهوا الانتفاضات ضد الحكام وأخذت هذه الظاهرة الجديدة اتساعا متزايدا فى أواخر القرن حتى انقلبت الى تمرد عام غطى الارياف فى ظل الحملة الفرنسية وتمكن محمد على من الاستيلاء على الحكم بفضل ذلك التحالف الذى تحقق بين التجار والعلماء وأفراد الشعب ولكن دون ان يصدر من هذا التحالف هيكل سلطة جديد •

أما فى أثناء الحملة الفرنسية فقد وقع المشايخ تحت الضغط الجماهيرى من جهة وطغيان الحملة الفرنسية من جهة أخرى مما جعلهم يتعاونون مع الادارة الفرنسية أو على الأقل مداراتها وأتاح هذا وجود فريقين مختلفين بين صفوف المشايخ فريق مساوم ومن أبرز أفراده الشيخ الشرقاوى الذى كان من كبار الملتزمين قبل الحملة ثم زادت ثروته فى ظلها وخاصة بالاستيلاء على أملاك من قتل أو هاجر من المعارضين (١٠) وعلى كل يظهر هذا التيار منذ نزول نابليون الى بر الاسكندرية اذ تم توقيع اتفاق بينه وبين أعيان الثغر يتعهدون فيه بعدم خيانة الجيش الفرنسى (١١) كما اننا نجد أعضاء الديوان من المشايخ (١٢) يصدرون بيانا بعد ثورة القاهرة الأولى يقولون فيه (لا تحركوا الفتن ولا تطيعوا المفسدين) •

---

(٨) الجبرتى ــ عجائب الآثار جـ ٢ ص ١٤٣ •

(٩) اندريه ريمون ــ فصول من التاريخ الاجتماعى ترجمة زهير الشايب دار الهلال ١٩٧٤ ص ٢٩٠ •

(١٠) أحمد صادق سعد ــ نفس المرجع ــ ص ١٩٣ •

(١١) عبد الرحمن الرافعى التاريخ القومى الطبعة الرابعة مكتبة النهضة ١٩٥٥ ج ١ ص ١٨٢ •

(١٢) وكان المشايخ أعضاء الديوان هم عبد الله الشرقاوى وخليل البكرى والشيخ مصطفى الصاوى وسليمان الفيومى ، محمد المهدى ، مرسى السرسى ومصطفى الدمنهورى وأحمد العريشى ويوسف الشبراخيتى ومحمد الدواخلى •

(فان الله سبحانه وتعالى يؤتى ملكه من يشاء ويحكم ما يريد

فنصيحتنا لكم الا تلقوا بايديكم الى التهلكه واشتغلوا بأسباب معايشكم وأمور دينكم وادفعوا الخراج الذى عليكم والدين النصيحة (١٣)٠

وفى أثناء ثورة القاهرة الثانية اعتدى الثوار على الشيخ البكرى فساقوه فى الشوارع عارى الرأس تتبعه الشتائم كما ضربوا الشرقاوى السرسى وقالوا عنهم انهم ارتدوا « وعملوا فرنسيس ومرادهم خذلان المصريين » ولهذا فان قلة نفوذ هذا التيار على الجماهير الشعبية أيام الحملة الفرنسية يفسر لنا جزئيا السهولة التى استطاع بها محمد على أن يبعدهم عن اقرار أمور الحكم بعد ان تولاه ٠ ولكن تيارا معارضا كان موجودا أيضا بين الأعيان والمشايخ منذ وصول الحملة الى مشارف القاهرة حيث هرب عدد منهم الى الصعيد أو المشرق كما قاطع الأعيان والمشايخ من غير أعضاء الديوان الاحتفال الرسمى بوفاء النيل (١٤) فى ١٧٩٨/٨/١٧ م الموافق ٥ ربيع أول ١٢١٣ ـ هـ كما اشترك عدد من الأعيان والمشايخ فى ثورة القاهرة الأولى منهم الشيخ السادات (١٥) وقد قاد السادات وعمر مكرم والمحروقى ثورة القاهرة الثانية ٠

ومن المعروف أن الشيخ عمر مكرم كان نقيب الاشراف الذى جاء بالبيرق الكبير (البيرق النبوى) من القلعة يحث الناس على القتال عند معركة امبابة ورفض الاشتراك فى الديوان وكان له دور فى تولية محمد على ولكن الباشا نحاه جانبا بعد ذلك والشيخ السادات هو شيخ احدى الطرق الصوفية ورفض الاشتراك فى الديوان وقد اضطهده الفرنسيون اضطهادا خاصا وصادروا أمواله وأجبر على بيع أملاكه وفاء للغرامة التى فرضوها عليه ثم انضم بعد ذلك الى صف محمد على ضد عمر مكرم وتولى نقابة الاشراف بدلا منه (١٦) ولكن يلاحظ بصفة عامة على المشايخ فى ذلك

---

(١٣) عبد الرحمن الرافعى نفس المرجع ـ حـ ١ ـ ص ٣١٩ ٠

(١٤) الجبرتى ـ عجائب الآثار جـ ٢ ص ٢٠٠ ٠

(١٥) عبد العزيز محمد الشناوى (صور من دور الأزهر فى مقاومة الاحتلال الفرنسى ـ دار الكتب ١٩٧١ ص ١٠٠ ٠

الوقت انهم كانوا محافظين فكريا ورافضين لأى تجديد أو تغيير فعلى سبيل المثال كان الديوان يعارض تنحية كبير القضاه التركى ولم يرشح مصريا الا بعد اصرار نابليون • وعندما أجرى علماء الحملة الفرنسية التجارب الكيمائية والفيزيائية الحديثة أمام كبار المشايخ ومن بينهم الشيخ البكرى وهو معروف بحبه للفرنسيين لم يبد تأثرا بل قال الشيخ البكرى هذا جميل جدا ولكن هل يستطيع يقصد الكيمائى بيرتوليه أن يجعلنى أكون فى المغرب وهنا فى نفس الوقت واذ هز برتوليه كتفيه أضاف البكرى اذن فليس بساحر تماما (١٧) ولم يختلف رأى الشيخ الجبرتى كثيرا عن رأى البكرى فى تجارب الفرنسيين التى أجروها بالقاهرة كذلك فانه لم يقابل بارتياح المشاريع الجديدة التى قام بها محمد على بعد تولى الولاية وان كان الجبرتى يعارض بشدة الخرافات والهرطقة والشعوذة التى كان يقوم بها بعض المعممين فى احتفال مولد الأولياء ويصفهم بالبعد والأعراض عن الدين • ويبدو أن الوحيد من العلماء الذى شعر بضرورة التغير كان الشيخ حسن العطار أستاذ الطهطاوى فيما بعد والذى تولى مشيخة الأزهر فى عام ١٢٤٦ هـ / ١٨٣٠ م الذى لم يعجبه موقف أهل الأزهر الجامد والرافض لأى تطور فاذا قرأت فى حاشيته على شرح جمع الجوامع فى أصول الفقه وجدته يستطرد فى بعض المواضع الى لوم أهل الأزهر على اعراضهم عن كتب المتقدمين وكذلك ذكر فى الحاشية أيضا أن المتقدمين كانوا يطلعون على كتب غير المسلمين فى مختلف العلوم ثم وجدته يستطرد فى موضع آخر من تلك الحاشية الى مدح كتب الفرنجة المترجمة الى اللغة العربية (١٨) •

وقوبل رحيل الحملة الفرنسية عن مصر وعودة الحكم التركى بترحيب عام فى القاهرة التى شاهدت فترة من الفوضى والشغب المستمر فى ذلك الوقت وكان مطلع القرن التاسع عشر يمثل فترة خصبة ونشيطة

---

(١٦) أحمد صادق سعد — نفس المرجع — ص ١٩٤ •

(١٧) أحمد صادق سعد — نفس المرجع — ص ١٩٦ •

(١٨) عبد المتعال الصعيدى — تاريخ الاصلاح فى الأزهر مطبعة الاعتماد ١٩٤٣ ص ١٩ •

للمشايخ وكان توليهم لقيادة الحركة الشعبية وسيلة تساعد ايجاد حكم قوى ينهى الفوضى ويثبت النظام ويوفر الأمن للأسواق والاشغال وكذلك يلزموا من فى القمة حدودهم ويضحوا بحقوقهم هم فكما ذكرنا آنفا فان دخل المشايخ الاقتصادى كان يرتبط بالنظام الادارى حيث ان عددا كبيرا منهم ملتزم كما كانت الأوقاف الخيرية تمثل عائدا هاما لهم وتبين رواية الجبرتى كيف ان العلماء اجتمعوا فى البداية مع روساء الجند وأسقطوا الوالى التركى خسرو باشا واختاروا تركيا آخـــر هو خورشيد باشـا ثم أسقطوا خورشيد بدوره وولوا محمد على وظل المشايخ يلتمسون من الباب العالى بقاء محمد على الى ان استقر له الأمر .

وهكذا نرى انه فى عام ١٨٠٥ قد أسقط واليان وتولى ثالث على يد المشايخ العلماء الذين قادوا الحركة الشعبية ويلاحظ ان عمر مكرم هو الذى اقترح تعيين محمد على ولم يختر نفسه أو أحد المشايخ ولعل ذلك يوضح ان العلماء فى ذلك الوقت لم تكن لديهم طموحات أو مطامع أو خطط لتولى الزعامة الحقيقية للبلاد ، كما أنهم كانوا محافظين على ســـيادة الخلافة العثمانية ولم يفكروا فى التخلى أو الانشقاق عنها كمـا سـاعد المشايخ محمد على فى مواجهه العقبات التى لاقاها فى السنوات الأولى من حكمه سواء فى معاركه مع المماليك أو الاصرار على بقائه فى باشوية القاهرة ضد رغبة الباب العالى أو فى تحريك جماهير الشعب ضـد الغزو البريطانى ١٨٠٧ م وكذلك فى تسهيل جمع الضرائب والمال الذى كان يحتاج اليه محمد على (١٩) . ويرجع بعض المؤرخين مثل محمد أنيس التقلص والقضاء على نفوذ المشايخ الى عدة أمور إستقاها من رواية الجبرتى ومنهـا اشاعة الفرقة بين العلماء وضربهم بعضهم ببعض واغرائهم على التمتع بملاذ الدنيا وهجر عيشة الورع والتقوى حتى يتخبط حالهم وتزول هيبتهم وزعامتهم لدى الشعب . والشائع لدى المهتمين بتاريخ هذه الفترة ان المشـــايخ فقدوا دورهم فى الحركة السياسية عندما استولى محمد على على الالتزامات والأوقاف فى ١٨١٣ ولكن اذا دققنـــا النظر فى تاريخ تلك الفتـرة

---

(١٩) الجبرتى — عجائب الآثار ج ٣ ص ٢١٩ .

والوقائع التى حدثت من خلال روايات الجبرتى فاننا سنلاحظ أن محمد على فى عام ١٨٠٨ فرض ضريبة بواقع ٤٪ تحصل على الحبوب والمأكولات المباعة فى الشوارع والأسواق والميادين (٢٠) دون ان يأخذ رأى المشايخ فى تحصيل هذه الضرائب وقد دهش القاهريون من ذلك لأن محمد على لم يأخذ رأى وموافقة المشايخ ومن المعروف ان محمد على كان يعتمد على المشايخ فى أول حكمه بسبب مساعدتهم له فى جمع المال من الأهالى كما اعتقد المشايخ بالرغم من تهديد محمد على الظاهر لهم انه لن يجرؤ على المساس بأكبر مصدر لايراداتهم وهى أراضى الوقف والعقارات الموقوفة على المساجد والسبل وبعض طلبة العلم الفقراء وكان المشايخ يتنافسون فيما بينهم على الاستئثار بالنظر على هذه الأراضى والعقارات التى كانت معفاة من الضرائب على ان الباشا لم يلبث أن قرر فى ١٨٠٩ فرض الضرائب عليهم وتحصيل المال منها (٢١) واعتقد المشايخ انه يمكن الاطاحة بمحمد على عندما تجمع بعض أهالى القاهرة المستفيدين من الوقف للثورة والاحتجاج على ذلك وكان تجمعهم فى الأزهر ولكن ظنهم خاب ولم تفلح فكرتهم ٠

وباقى قصة ابعاد الشيخ عمر مكرم عن القاهرة ونفيه الى دمياط معروف ذلك بعد ان رفع بعض المشايخ عريضة الى محمد على احتجاجا على ذلك فاصدر محمد على قرارا بنفيه الى دمياط بعد ان أشاع واستغل الفرقه بين المشايخ وقام بتعيين الشيخ الشرقاوى كنقيب للاشراف بدلا من الشيخ عمر مكرم والمعروف ان الشيخ الشرقاوى كان من المتعاونين مع الحملة الفرنسية وترأس الديوان الفرنسى ٠

لم يكن باستطاعة محمد على أن يتصدى ويتخلص من نفوذ المشايخ بهذه السهولة الا بسبب وجود عوامل أخرى أضعفت من سلطة ونفوذ وهيبة المشايخ لدى الأهالى وان الغاء امتيازتهم والقضاء على مراكزهم المادية انما جاء نتيجة لتلك الأسباب وليس سببا لها ٠ **وهذه الأسباب تتضح من العرض السابق لحالة المشايخ ويمكن أن نلخصها فى الآتى :**

١ ـ عجز المشايخ عن مسايرة المتغيرات التى شاهدتها مصر فى مطلع القرن التاسع عشر وتمسكهم بالقديم ورفضهم لما هو جديد ومستحدث بينما السلطة المركزية المتمثلة فى محمد على تمكنت من استيعاب واستغلال متغيرات العصر ٠

٢ ـ لم يكن للمشايخ هدف واضح للاستيلاء على السلطة وتعيين واحد منهم على رأس الولاية المصرية بل كان كل هدفهم هو الحفاظ على

(٢٠) الجبرتى ـ عجائب الآثار ج ٣ ص ٢٤٥ ٠

(٢١) الجبرتى ـ عجائب الآثار ج ٣ ص ٢٧٢ ٠

مراكزهم المالية والاقتصادية والقضـــاء على الفوضى والشغب فى ظـل سلطة مركزية قوية ٠

٣ ــ لقد أيقن المشــايخ من خـلال حوادث الشغب والفوضى التى وقعت بمدينة القاهرة بين عامى ١٨٠١ م و ١٨٠٥ م ان أقوى رجل بالمدينة فى تلك الفترة هو محمد على حيث اتضح لهـــم مدى نفوذه على الجنـود الالبـــان ومال ذلك ما وقع فى يوم ٨ يونيو ١٨٠٤ من حوادث الشغب وسيطرة محمد على عليها(٢٢) لذلك رأى المشايخ فى محمد على الرجل المنشود فعملوا على مساعدنه وتشجيعه والتحالف معه لكى يتولى باشوية القاهرة ومن المعـروف ان دوام واسـتمرار أى تحالف يعتمد على مقـدار التكافؤ والتساوى فى القوة بين طرفى التحالف ولقد كان واضحا الفرق الشاسع بين قوة ونفوذ محمد على ورغبته فى الانفراد بالسلطة وبين قوة المشايخ فى تلك الفترة وبمقدار ما كان الفرق كبيرا بين قوة محمد على وقوة المشايخ بمقدار ما كان عمر التحالف بينهما قصيرا ٠

٤ ــ زوال هيبتهم ووقارهم من النفوس بسبب انهماكهم فى الامور الدنيوية حسب قول الجبرتى ٠ اذن فان مصادرة الالتزامات والأوقاف فى عــام ١٨١٣ لم تكن الا علامة بارزة على طريق تضييق المجال السياسى أمام الشيوخ واخضاع المؤسسات الدينية أكثر فأكثر الى سلطة الدولة المركزية ٠ ومما تجدر الاشــارة اليه ان المشــايخ قد تنــازلوا عن دورهم السياسى السابق أو امتيازاتهم الا أن ذلك لا يعنى انها قد اختفت من على المسرح الاجتماعى أو هبطت الى مرتبة الكادحين فالصلات بين محمد على والعلماء لم تنقطع وخاصة انه لم يؤسس دولة علمانية ولم يفصل الدين عنها فالمعروف انه اعتمد عليهم فى جمع المال فى أول حكمه وكذلك عند الاستيلاء على أرض الصعيد ترك مساحات منها موقوفة لصالح المؤسسات الدينية كما صاحب مشايخ المذاهب الأربعــة الحملة المصرية على الوهابين كمـا رافق ثلاثة من كبار المشايـخ الجيش المصرى فى السودان يدعون الأهالى الى الدخول فى الطاعة(٢٣) ورافق الشيخ الطهطاوى احدى البعثات العلمية المصرية الى أوربا وفى عام ١٨١٤ قام محمد على برفع كافة الضرائب عن المشايخ (٢٤) كما كانت الحكومة تصرف لشيخ الأزهر مرتبا ٢٥ كيسا غير الكسوة (٢٥) ٠

---

(٢٢) انظر هذا الكتاب ص ٤٦ ٠

(٢٣) أحمد صادق سعد ــ نفس المرجع ــ ص ٢٩٤ ٠

(٢٤) الجبرتى ــ عجائب الآثار ــ جـ ٣ ص ٤٩٢ ٠

(٢٥) أمين سامى ــ تقويم النيل ــ جـ ٢ ــ ص ٤٣٢ ٠

الصناع أو العمال

جانب آخر من جوانب الصراع بين الثوابت والمتغيرات يمكن أن نجد أثرا له هنا كما حدث للمشايخ وان اختلف فى أنه أخذه مدة من الزمن أطول لأسباب كامنة فيه ولأن السلطه المركزية كانت تعمل على المحافظة على النظام القديم فى الصناعة بمصر الى جانب انها كانت تحاول أن تسابق الزمن ونشيد صناعة حديثة لسد حاجة البلاد خاصة فى مشاريعها الجديدة ويمكن أن يتضح ذلك فى العرض التالى ونبدأ أولا بوصف نظام طوائف الحرف الصناعية الذى كان سائدا فى مصر مع مطلع القرن التاسع عشر وتعد هذه الطوائف أهم وحدة لتنظيم السكان فى المدن من النواحى الادارية والمالية والاقتصادية وشمل هذا النظام جميع الصناعات فهناك طوائف للنساجين والنجارين وعمال البناء والحدادين والنحاسين والصياغة ودباغى الجلود والصباغة وغير ذلك من الصناعات المختلفة ولم ينتظم أهل الحرف الصناعية والتجار وحدهم فى طوائف وهيئات بل كان لمجاورى الأزهر والمتصوفة وحتى الشحاذين واللصوص والعاهرات (٢٦) كان لكل هؤلاء جميعا طوائف معترف بها من الدولة فانك لا تجد فردا يعمل ويعترف به الا من خلال طائفة ولا يمكن أن يمارس نشاطه الا اذا كان منضما لطائفة يخضع لنظامها وتقاليدها ويحتمى بظلها ولم يكن من المتيسر أن يخرج فرد من طائفة الى طائفة أخرى · ولكل طائفة شيخ يرأسها وهو ينتخب من بين أعضاء الحرفة الأكفاء وتعينه الحكومة شكليا وفى كثير من الأحيان كان منصب شيخ الطائفة يظل وراثيا فى أسرة معينة طالما أن هذه الأسرة محافظة على كفاءتها فى ممارسة المهنة · وهو يعد حاكم الطائفة ويجمع وظائف رئيس وأمين الصندوق وكاتب الحرفة وهو يقوم بمقابلة أعضاء الحرفة وتثبيت أجورهم وتهيئة السبل لابرام العقود والاتفاقات وجمع الضرائب التى يدفعها أهل الحرفة وهو مسئول أمام الحكومة عن كل الأمور التى تتعلق بطائفته · وأعضاء الحرفة يأخذون تصريحا منه عبارة عن

---

(٢٦) السيد رجب حراز ــ المدخل الى تاريخ مصر الحديث ــ دار النهضة العربية ١٩٧٠ ص ٣٨ ·

شهادة بنوع مهنتهم ومرتبهم واذا حدث أن أحد رجال الطائفة اشتغل باجرة زائدة عن المبينة بشهادته جاز لشيخ الطائفة أن يطلب من الحكومة عقابه وحبسه • وكذلك من واجباته المحافظة على مستوى الطائفة ومعاقبة صاحب الانتاج الرديء بطرده وتشترى المواد الأولية تحت رقابته (٢٧) وكانت السلطة المركزية عندما تقوم بتعيين شيخ لاحدى الطوائف فان ذلك كان يسجل فى محكمة الباب العالى كما حدث مع شيخ المزينين فى سنة١٢١٦ هـ ١٨٠١ م (٢٨) •

وكانت هناك هيئات تساعـد شيخ الطائفـة منها النقيب وهو يعد العنصر المنفذ لأوامر شيخ الطائفة ثم المعلم أو الأسطى وهى كلمة تركية بمعنى معلم الصناعة (٢٩) وهو يشكل جزءا أساسيا من الطائفة • والعريف وكان يصاحب المعلم بحيث لا يتعدى عددهم أثنان والعريف يصاحب المعلم مدة لاتقل عن ٣ ــ ٥ سنوات يتعلم فيها فنون الصنعة ولا يجوز له ترك معلمه كما لايجوز للمعلم أن يطرده خلال تلك المدة ولا يقبله أحد المعلمين اذا ترك معلمه خلال تلك المدة • وعندما كان يتقن الصنعة بحيث يمكنه ان يقوم بمفرده بانجاز عمل متقن يتحول الى معلم فى احتفال كبير وتقيم أعماله بواسطة مجموعة معلمين من أهـل الحرفـة • واخيرا الصبى كان يصاحب المعلم عدد من الصبيان لتعليمهم فنون الصنعـة وعليهم الطاعـة وذلك لمدة تصل ٧ سنوات وعند انتهاء فترة التعليم واتقان الصبى للحرفة فانه يتحول الى عريف وذلك بأن يقوم بعمل يفحصه مجموعة من معلمى الحرفة وفى الاحتفال يدعى رؤسـاء الحرف (المعلمين) بدعـوة من شيخ الطائفة لحضور تنصيب الصبى عريف وفى بعض الأحيان يحضر الاحتفال عدد من أصدقاء الصبى وحينما يحضر الصبى بصحبة معلمـه فأنه يسلم على شيخ الطائفة الذى يقوم بدوره بقراءة الفاتحة مع الصبى والحاضرين جميعا وبعد ذلك يقول المعلم للشيخ ان صبيه قد تعلم الصنعة وأجادها وأنه يرغب فى أن يكون له مصنعا خاصـا به يمارس فيه مهنته فيدنو الشيخ من الصبى ويحزمه بحزام خاص عنده وينادى به عضوا من أعضاء الطائفة ثم يتوجه الجميع الى منزل والد الصبى لتناول القهوة والطعام ثم يقبـل الصبى يد شيـخ الطائفـة وروساء الحرف وتسمى هذه الحفلـة (شد الولد) (٣٠) •

---

(٢٧) امبل حنا ــ تاريخ التعليم الصناعى ــ دار الكتاب ١٩٦٧ ص ٣٢ •

(٢٨) سجلات المحكمة الشرعية ــ محكمة الباب العالى ــ مسلسل ٢ مادة ٤٩٨ ص ٣٠٩ س ١٢١٦ •

(٢٩) أحمد الحتة ــ تاريخ مصر الاقتصادى ــ الطبعة الأولى ــ مكتبة النهضة المصرية عام ١٩٥٥ ص ١٦١ •

(٣٠) اميل فهمى حنا ــ نفس المرجع ــ ص ٣٦ •

ذلك هو نظام طوائف الحرف المنتشر فى مصر والذى قدر علماء الحمله الفرنسية عدد الطوائف عند مطلع القرن التاسع عشر بنحو ثلاثمائة طائفة وكان هذا النظام يلبى احتياجات السوق الداخليـة الاستهلاكية كما أنه كان يحافظ على مستوى الحرفة وينقل أسرارها الفنيةمن جيل الى جيـل وان لم يسع الى تطوير نفسه بادخال وسائل انتاج وقوى محركة جديدة أو استثمار رؤس أموال كبيرة فى مجال الصناعـات الحرفيـة وذلك قد يكون راجعا الى عدم الاتجاه نحو تصدير السلع المصرية الى الخارج كما آن منتجات الطوائف كانت تواجه منافســة شديدة من السلع الأوربية التى أخذت فى التغلغل الى السوق المصرى باضطراد وكانت هذه السلع جيدة الصنع ومناسبة فى أسعارهـا كما أن السلطة المركزيـة لم تضع حواجز جمركية مناسـبة على السلع المستوردة اذ أن الضريبة عليها لم تتجاوز ٣ ـ ٥٪ (٣١) ولكن رغم ذلك فان نظام الطوائف ظل محافظا على وجوده واستمراره طوال النصف الأول من القرن التاسع عشر كما أنه ليس هناك أى مجال للشك فى ان نظام الطوائف استمر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر فهناك مصادر عديدة تؤكـد وجود هذا النظـام فى القاهرة عام ١٨٧٠ م مثل كتاب أمين سامى (تقويم النيل) ومجموعـات الأوامر العليا وفى عام ١٨٨٠ م نجد شيوخ الطوائف مسئولين عن دفع الضرائب عن أعضاء الطائفة ويضعون حد أقصى لاجور أعضاء الطوائف واستمر ذلك فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر كما أننا نجدهم فى الستينات يقومون بمساعدة السلطة المركزية فى تحديد أسعار المواد الغذائية (٣٢) وقد وقع كثير من المهتمين والدارسين لتاريخ مصر فى تلك الفترة فى خطأ مفاده ان الصناعات الكبيرة التى أدخلها محمد على فى مصر قد أدت الى اختفاء نظام طوائف الحرف ولعـل السبب فى ذلكهو ما ذكره الجبرتى ومصـادر أخـرى (٣٣) أن محمـد على قد الغى طائفـة عمال النسيج الذى احتـكر صناعته (٣٤) وفى الحقيقة أن عمال النسيج وجدوا ان العائد أو المكسب من استلام حصص المواد الخام من الحكومة وتسليمها مصنعة وذلك بالسعر المفروض عليهم ضئيل فقرر أغلبهم أن العمل فى مصانع الباشا يعود عليهم بأجر أكبر ولذلك قل عدد أعضاء هذه الطائفة بشكل ملحوظ وان لم تختف نهائيا فقد ذكر على مبارك أن طائفة عمال النسيج بالقاهرة فى السبعينات تضم ٥٨٥ عضوا (٣٥) وهناك أسباب عديدة أدت الى استمرار نظام طوائف

---

(٣١) انظر هذا الكتاب ص ٣٥ ٠

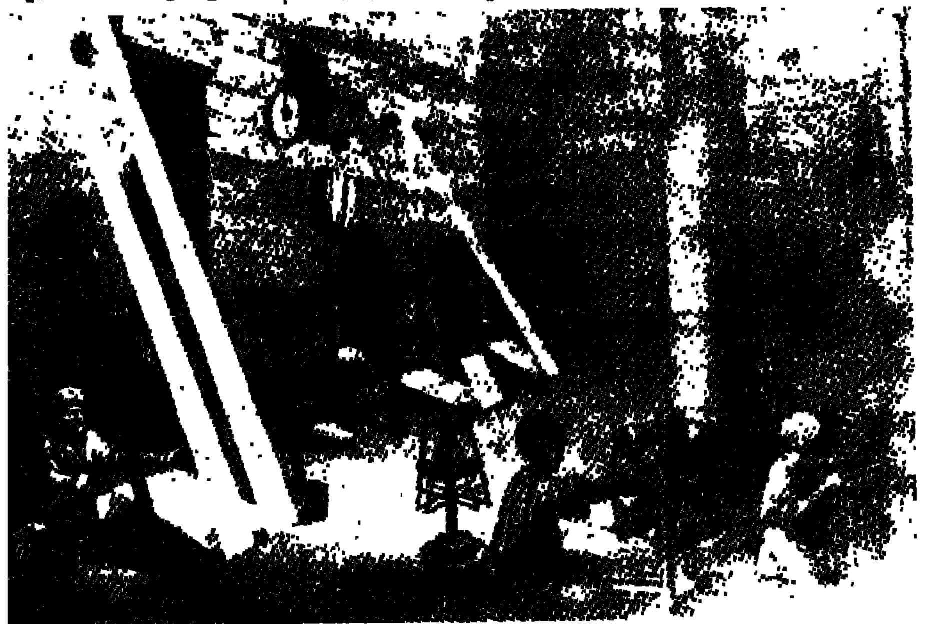
(٣٢) ج٠ بير ـ نفس المرجع ص ٣٣ ٠

(٣٣) الرافعى ـ عصر محمد على ص ٥٨٦ الطبعة الثانية مكتبة النهضة ١٩٥١ ٠

(٣٤) الجبرتى ـ عجائب الآثار جـ ٣ ص ٤٨١ ٠

(٣٥) على مبارك ـ الخطط مطبعة بولاق سنة ١٩٠٦ هـ جـ ١ ص ٩٩ ٠

الحرف بالقاهرة رغم انشاء صناعة كبرى تستخدم اجراء بمعرفة محمد على وهى تبدو لنا واضحة أولا وقبل كل شيء أن الصناعة الكبرى التى أنشأها محمد على كانت تتكون من فروع عديدة فى الانتاج لم توجد من قبل فانها لم تدخل فى منافسة مع الحرف التى يمارسها أعضاء الطوائف وفى بعض الحالات يتم تجنيد الحرفيين للعمل فى المصانع الجديدة الا أن اعدادهم على مايبدو لم تكن كثيرة الى الدرجة التى تسبب خسائر مميتة للطوائف كما أن الأمر استلزم رفض كثيرين من حرفيى الأسواق بسبب عاداتهم فى العمل حتى عندما كانوا يتقدمون للعمل فى المصانع (٣٦) ولكن يلاحظ أنه بسبب ازدياد أعمال العمران فى القاهرة وانشاء المؤسسات والمصالح الحكومية فان السلطة المركزية كانت دائما تقوم بتعبئة أعضاء طائفة عمال البناء مرات عديدة (٣٧) وكذلك تأثرت طائفة عمال النسيج كما ذكر سابقا بسبب أقامة المصانع الجديدة والسبب الثانى فان تجربة محمد على الصناعية قد عاشت لفترة قصيرة للغاية بحيث لم تتمكن من احداث تغيير



عمال النسيج

على المجتمع أما السبب الثالث فان الأيدى العاملة فى مصانع الباشا لم تعتمد على أعضاء الطوائف الحرفية بل ان محمد على كان يجلبها من مصادر مختلفة منها العبيد المجلوبين من السودان والحبشة حيث يرسل بعضهم

(٣٦) ج. بير — نفس المرجع ص ٣٠٥ .
(٣٧) الجبرتى — عجائب الآثار — جـ ٣ — ص ٣٥٦ .

الى مصانع الباشا وكذلك أبناء الفلاحين (٣٨) الذين شكلوا مصدرا دائما من الأيدى العاملة كما ان ازدياد عدد سكان القاهرة فى ذلك الوقت اوجد وفرة فى العمالة فنجد الجبرتى يذكر أن محمد على فى عام ١٢٣٣ هـ / ١٨١٧ م قام بجمع أربعة آلاف شابا من القاهرة وهم من العاطلين والمتسولين للعمل بالمصانع الجديدة (٣٩) وأخيرا فان السلطة المركزية لم تجد نظاما اداريا أفضل أو يماثل نظام طوائف الحرف الذى كان يؤدى كثيرا من المهام المالية والادارية والاقتصادية فى المجتمع لذلك فان محمد على كان يحافظ على بقاء نظام الطوائف بصفة عامة سواء فى مجال الصناعة أو غيرها لذلك فاننا نجد هناك حرفة جديدة قد أضيفت الى نظام الطوائف لم تكن معروفة فى مصر حين قدوم الحملة الفرنسية وتكونت فى عهد محمد على وهى طائفة خدم المنازل كذلك فان الطوائف كانت تمثل مصدرا هاما للضرائب التى تدخل خزائن الحكومة ولذلك عندما احتج كثير من أهالى القاهرة من وجود طائفة العاهرات وطلبوا من الباشا حل هذه الطائفة فان محمد على كان يرفض ذلك ولم يقدم على ابعاد طائفة العاهرات الى اسنا أو أقصى جنوب البلاد الا بعد أن تعهد بعض أهالى القاهرة بدفع قيمة الضرائب المفروضة على تلك الطائفة سنويا ٠ أما عن تفكك واختفاء نظام طوائف الحرف فقد تم بعد أن أعيد تنظيم الشئون الادارية فى أواخر القرن ١٩ بحيث أصبحت على قدر أكبر من الكفاءة ومن ثم فقد أصبح باستطاعة الدولة ان تستغنى عن طوائف الحرف من حيث هى وسيط بين الحكومة وبين عمال الطوائف ، وتقلصت تدريجيا مهامها الادارية والمالية والاقتصادية الى أن فقدت معظمها ففى حوالى منتصف القرن حدثت تغيرات فى نظام الضرائب أدت الى حرمان شيوخ الطوائف من مهمة توزيع حصة الضرائب المفروضة على الطوائف ككل وعلى أعضائها هذا وقد ألغى سعيد الاحتكارات التى تقوم بها طوائف الحرف (١٨٥٤ - ١٨٥٦) الا أنه لم ينجح فى تنفيذ قرارته فى هذا المضمار ولكن فى الثمانينات والتسعينات أصدرت الحكومة سلسلة كاملة من القرارات تحدد التصاريح المهنية الواجب صدورها بمعرفة السلطات الحكومية وليس بمعرفة شيوخ الطوائف كما صدرت مجموعة قرارات أخرى تحدد الأجور لعدد من الخدمات العامة مما أدى الى الحد من مهام شيوخ الطوائف فى هذا العدد من الخدمات العامة مما أدى الى الحد من مهام شيوخ الطوائف فى هذا الشأن وفى عام ١٨٨١ أعفى الشيوخ من مهمة جمع الضرائب وبحلول عام ١٨٩٢ كانت جميع الضرائب المفروضة على طوائف الحرف قد ألغيت وبالتالى ألغيت معها المهام المالية المثبتة للشيوخ وخلال

---

(٣٨) محمد فؤاد شكرى وغيره بناء دولة مصر الطبعة الأولى - دار الفكر العربى ١٩٤٨ ص ٤٤٨ ٠

(٣٩) الجبرتى - عجائب الآثار - جـ ٣ ٠ ص ٥٨٤ ٠

السنوات من ١٨٨٧ الى ١٨٩٠ ألغيت الممارسات الاحتكارية لطوائف الحانوتية والوزانين وعمال البناء وفي عام ١٨٩٠ صدر قرار باعطاء الحرية الكاملة لجميع أنواع الحرف فى توريد العماله للجهات المختلفة وقد اختفت خلال العقد الاول من القرن العشرين (٤٠) معظم الطوائف الحرفية ٠

ولكي يكتمل موضوع الصناعة في تلك الفترة فلابد أن نشير الى حالة وأوضاع العمال في المصانع الجديدة التي أنشأها الباشا فمن المعروف أن العمال كانوا يؤخذون عادة من الفلاحين كما كان يجمع قهرا المتسولين والشحاذين لتدريبهم وتشغيلهم في المصانع الحكومية وكذلك كان يتم جمع كثير من الصبيان والشباب من القاهرة لنفس الغرض كما ذكر الجبرتى كذلك كانت المصانع تزود ببعض الفرق العسكرية والمشوهين الدين اصيبوا بعاهات مستديمة في ميدان القتال وكذلك المسجونيين المحكوم عليم بمدد طويلة كما استعين بعدد كبير من النساء بمصانع غزل القطن بالأضافة الى تشغيل عدد كبير من العبيد السود وقد بلغ عدد العمال ما بين عامى ١٨٣٠ الى ١٨٣٥ م ٣٠ ألف عامل (٤١) وقد عمل محمد على على نقل الخبرة والمهارة الفنية من أوربا الى العمال المصريين وتم ذلك بوسيلتين هما أحضار خبراء وفنيين من دول أوربا للعمل بمصانع الباشا وتعليم العمال المصريين فنون الصنعة عن طريق اعطائهم دروس لمدة ساعتين يوميا (٤٢) وكذلك قام الباشا بارسال مبعوثين مصريين للخارج لتعلم مختلف أنواع الصناعات ويلاحظ أن محمد على كان يقوم بالاسنغناء عن الذى تثبت عدم صلاحيته وكفاءته على سبيل المثال (صدر أمر من محمد على فى عام١٢٥١هـ الموافق ١٨٣٥ م جاء فيه (بان يصرف النظر عن استخدام الأفندى الذى سافر الى أوربا لتعلم صناعة الحرير ثم عاد الى مصر وظهر عدم كفاءته للعمل) (٤٣) عمل محمد على بعد ذلك على احلال المصريين الذين اكتسبوا بعض الخبرات الصناعية محل الأجانب في المصانع (٤٤)ومن أجل أن تحقق المصانع الغرض من انشائها عمد محمد على لكى يعالج النقص الواضح لدى العمال من ناحية التعليم والخبرة والصفات الشخصية الى وسيلتين الأولى وهى استخدام التهديد بايقاع العقاب الشديد عليهم فى حالة الاهمال والوسيلة الثانية هى التفتيش والمراقبة وكانت تهديدات محمد على تصل

(٤٠) ج. بير – نفس المرجع – ص ٣٠٣ ٠

(٤١) أحمد الحتة – نفس المرجع – ص ١٥٧ ٠

(٤٢) دار الوثائق بالقلعة دفتر ٢٥ ، معية تركى وثيقة ٧٣ بتاريخ ١٧ ذى الحجة سنة ١٢٤١ ٠

(٤٣) دار الوثائق بالقلعة – دفتر ٦٨ معية تركى وثيقة ٢١١ فى جماد الثانى ١٢٢١ هـ ٠

(٤٤) دار الوثائق بالقلعة دفتر ٥٤ معية تركى وثيقة رقم ٤٨٣ فى ١٧ ذي الحجه سنة ١٢٥٠ ٠

عن طريق خطابات دورية (٤٥) الى الموظفين الكبار بالمصانع ومن ناحية باقى العمال فقد كان لا يسمح لهم بالتغيب عن العمــل عند أهليهم بضعة أيام الا باذن خاص وفى حالة بعد بلد العامل عن المصنع يلزم له ضامنا حتى عودته واذا لم يرجع فى ميعاده فان الضامن يودع السجن (٤٦) وكانت العقــوبات التى توقع على العمال بسبب الاهمال أو التكاســل هى الضرب بالعصى أو الكرباج وكثيرا ما كان محمد على ينبه الى عدم ضرب العمال فى المصانع (٤٧) أما عن ساعات العمل فنظرا لصعوبة الانارة فلم تكن المصانع تعمل ليلا الا نادرا أو كان يقتصر العمل نهارا فقط لمدة ثمــانى ساعات تقريبا فى الشتاء وعشر ساعات صيفا وكانت المصانع تعطل يوم الجمعه فى أغلب الأحيان (٤٨) أما عن أجور العمال فكانت فى بعض الأحيان تمنح حسب القطعه وفى كثير من المصانع كان راتب الصبى خمسون قرشا فى الشهر وراتب البنت ثلاثون قرشا (٤٩) مع ملاحظة أن هذا الأجر قابل للزيادة اذا ارتفعت حرفة ومهارة العامل كما لجأ محمد على الى منح الجوائز للأسطوات وذلك للتنافس فى ابداع المنتجات كما حدث فى عام ١٢٥٧ هـ / ١٨٤١ م حيث صــدر أمر الى جميع الفــابريكات بصرف ٥٠ ٪ من أرباح المشغولات للأسطوات (٥٠) وكانت مرتبات الفنيين الأجانب كبيرة جــدا اذ كانت تتراوح ما بين ألف وألف وخمسمائة قرش (٥١) كما كان يمنح الأجنبى علاوة مقابل تعليمه للصبى فن الصنعة والمهنــة التى يعمــل بها بلغت ٤٠٠ قرشا منحة مكافاءة يتفق عليها عند اتمام تعليم كل صبى بشرط أن يتم ذلك فى مدة محددة معروفة مسبقا (٥٢) ولم يراع فى اختيار عمال الصناعة حرية الفرد فى مزاولة الحرفة التى يفضلها أو التى تتناسب مع كفاءته أو الجهة التى يختارها العامل بل كان ذلك يخضع لسياسة التوجيه المركزى الاجبارى بشرط ألا ينقل العامل من العمل الذى تخصص فيه الى أعمال أخرى غريبة عنه لا يجيدها ولم يتدرب عليها وكان الباشا يسعى لاغراء العمال على العمل بالمصانع باعفائهم من ضريبة (الفردة) ومن السخرة فى الأعمــال العامــة كما كان يطلب الى مــديرى الادارة معاملــة العمــال

(٤٥)

Dodwell-The Founder of Modern Egypt-Cambridge 1931. p. 198.

(٤٦) دار الوثائق بالقلعة ـ دفتر ١٨ معية تركى ـ وثيقة ١٤٥ جماد آخر ١٢٤١ هـ .

(٤٧) أمين سامى ـ تقويم النيل ـ جـ ٢ ـ ص ٣٠٩ .

(٤٨) على الجرتلى ـ تاريخ الصناعة فى النصف الأول من القرن ١٩ دار المعارف ١٩٥٢ م ص ١٣٦ .

(٤٩) دار الوثائق بالقلعة ـ دفتر معية تركى ـ وثيقة ١٦٨ ١٥ ذى الحجة سنة ١٢٤٠ .

(٥٠) أمين سامى ـ تقويم النيل جـ ٢ ـ ص ٥١٥ .

(٥١) دار الوثائق بالقلعة . محفظة ١٠١ دفتر ٤٦٧ فى ٢٩ رمضان ١٢٦٥ هـ من الجناب العالى الى الكتخدا باشا .

(٥٢) أمين سامى ـ تقويم النيل جـ ٢ ص ٤١٠ .

بالحسنى (٥٣) أما عن موقف العمال من المصانع الجديدة فلم يكن يتسم بالاقبال الشديد بل أنه كان يصل أحيانا الى النفور وذلك بسبب النظام المتبع فى هذه المصانع وضآلة الأجور مع ارتفاع نفقات المعيشة أو خشية العقوبات البدنية بسبب الاهمال أو التأخير أو الاتلاف وكان رجال الادارة يطالبون بضبط العمال الهاربين من المصانع (٥٤) ويعاقب من يضبط منهم بالشدة ردعا لغيرهم وأخيرا فان المصانع والمعامل التى انشأها محمد على لم تعمر طويلا وأغلقت فى حياته أو فى أوائل عهد عباس ويرجع ذلك الى قلة الخبرة المصرية فى هذا المجال ونقص القوة المحركة وسوء الادارة وكذلك بسبب اتفاقية ١٨٤١ م التى حددت عدد الجيش المصرى كما ان المنتجات المصرية عجزت عن منافســة المنتجات الأوروبية الأرخص سعرا والأجود صنعة مما كان يدفع السلطة المركزية الى خفض اسعار المنتجات كما حدث فى ٨ شوال ١٢٥١ هـ / ٢٩ ديسمبر ١٨٣٥ حين خفض سعر ثوب البفتة من ٧٠ قرشا الى ٦٠ قرشا (٥٥) وفى نفس العام أيضا خفض سعر ملح البارود ١٤ قرشا وذلك لانتشـار ملح البـارود المستحضر من الخارج ومزاحمته لنا (٥٦) وقد كان محمد على يشكو دائما من سوء وعدم جودة المنتجات الصناعية فى المصانع ونعرض هذه المصانع الى الخسائر فهناك أمر من محمد على الى مدير المدابغ فى ١٢٥١ هـ - ١٨٣٥ م أن الجلود التى تنتج بالمدابغ أقـل جودة واسوأ عن تلك الجلود المستوردة من أوربـا ويطلب تحسين الصناعة ويقول له أيضا (يكفى خسائر ياروس) (٥٧) والخواجه روس هو مدير المدابغ وقد كان التجار فى البلاد يعرضون عن شراء المنتجات المصرية الأقل جودة فقد جاء فى أمر من الجناب العالى ٠٠٠ (لايرغب التجار فى شراء الأقمشة الواردة من الأقاليم الى الديوان لأن معدلها فاسد فتراكم فيه ٠٠٠ (٥٨) ولذا لجأت الحكومة لعرض تصريف المنتجات الى بيع الأصناف مقابل نصف ثمنهـا نقدا والنصف الآخر على حوالة تستحق بعد أربعـة أشهر وأحيانا كان كل الثمن يستحق الدفع على حوالة بعد عدة أشهر (٥٩) والسبب فى عدم اضمحلال هذه المصانع جملة فى أيـام محمد على يرجع الى أمرين أولهما أنه كان القابض على زمام مالية البلاد فكان ينفق على هذه المصـانع كل ما تحتاج اليه ثانيهـا ان المحصولات التى كان يشتريها من الأهالى كان لا يدفع ثمنها نقدا بل كان يبادل بها منهم منتجات المصانع ٠

---

(٥٣) على الحريتلى — نفس المرجع ص ١١٤ . ١١٦ ٠

(٥٤) على الجريتلى — نفس المرجع ص ١٣٧ ٠

(٥٥) أمين سامى — تقويم النيل — جـ ٢ ٠ ص ٤٥٩ ٠

(٥٦) أمين سامى ٠ تقويم النيل ٠ جـ ٢ ٠ ص ٤٦١ ٠

(٥٧) أمين سامى ٠ تقويم النيل جـ ٢ ٠ ص ٤٥٨ ٠

(٥٨) دار الوثائق بالقلعة ٠ محفظة ١٠١ — دفتر رقم ٢٤ ترجمة الأمر التركى رقم ٤٧١ بتاريخ ٢٤ ذى القعدة سنة ١٢٤١ هـ ٠

(٥٩) دار الوثائق بالقلعة دفتر رقم ٤ محفوظات ديـوان التجارة والمبيعات بتاريخ ٤ صفر سنة ١٢٥٨ هـ ٠

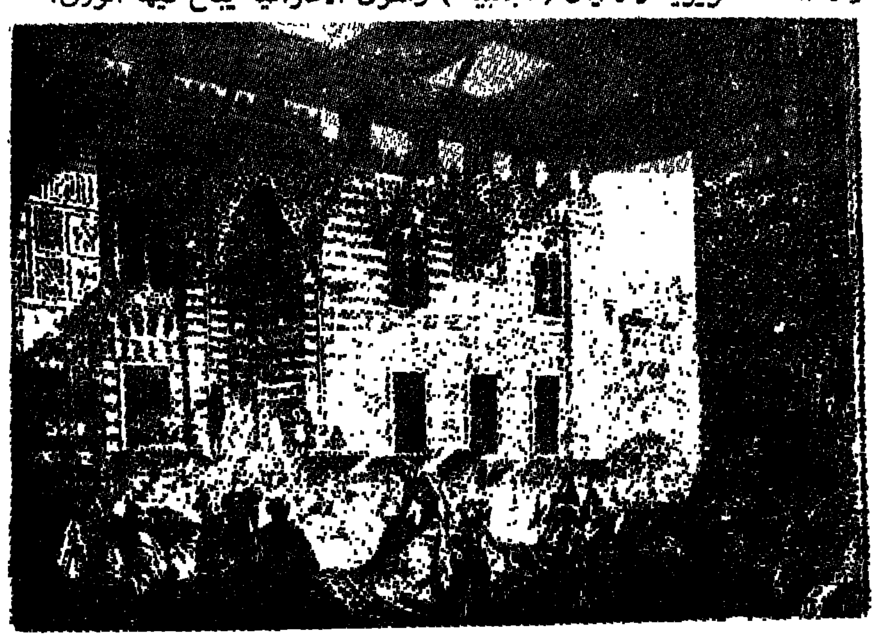
التجـــار

ظلت القاهرة طوال الحكم العثمانى تمثـل مركزا هامـا للتجـارة الداخلية والخارجية وكان التجار فى القاهرة يدخلون كما هو الحال لأصحاب الحرف وغيرها فى طوائف تجمع كل أصحاب تجارة معينة معا تحت اشراف شيخ الطائفة ويظهر التجار كطائفة ممتازة فى القاهرة العثمانية وواضح أن التجارة كانت تفتح امكانيات للصعود الاجتماعى أكبر من الموجود لدى الحرف وتتغير أسر التجار الكبار البارزة بصورة سريعا نوعا مما يجعل المرء يميل الى الاعتقاد أن هذه الفئة كانت مفتوحة نسبيا وكان الجانب الأكبر من ثروات التجار المعروفين مستثمر فى العقارات (المحلات ٠ والوكالات ، البيوت المؤجرة) وقليل منها فى الورش الحرفية ثم اتسعت استثماراتهم فى خلال القرن ١٨ فى الالتزامات الزراعية وكان غنى بعض التجار عظيما فقد وصلت القاهرة عام ١٧٨٨ قافلة لأحدهم تتكون من ٦٠٠٠٠ جملا تحمل الأقمشة والبن والعطارة من الجزيرة العربية وكانت قوة التجار تستمد من الارتبـــاطات الأســـرية عـــلاقات التزاوج بين العــائلات الكبرى والتى أدخلوا فبهـا مماليكهم وعلى اتساع التزاماتهم الزراعيـة ٠ ومارس شيخ طائفتهم (الشهبندر) ـ من أمثال قاسم الشربينى وأحمد يس عبد السلام وأحمد المحروقى ـ نفوذا كبيرا على البيوت المملوكية واحتل بعضهم مناصب جليلة مثل كتخدا واختيارى وأمير طبخانه وجاويش واودة باشى وصـار لبعضهم ممالبك بدورهم ٠ وكذلك بيت الشرايب وأصبح مماليكه من أعيان مصر (٦٠) ولكن يلاحظ أن التجـارة الداخليـة قد ضعفت مع قرب نهاية القرن الثامن عشر وذلك لعدة أسباب أهمهـا ضعف القوة الشرائيـه بين الأهليين بسبب انخفاض مستوى معيشتهم لتـأخر الزراعـة والصناعـة وكذلك لا ضطراب الأمن وفوضى النقد مما أدى الى اضطراب المعاملات المالية بين النـــاس ، وكذلك لصـعوبة المواصـلات فلم تكن هنـاك طرق معبدة ولا عربات للنقل البرى بل كان النقل لمسافات قصيرة بواسطة دواب الحمل

---

(٦٠) أحمد صادق سعد : تاريخ العرب الاجتماعى ص ١٣٧ ٠

بخاصة الجمال (٦١) . كانت المدن مراكز للتجارة يأتى اليها سكان المناطق المجاورة لبيع حاصلاتهم وشراء ما يحتاجون من سلع أو حيوانات وكان لكل مدينة يوم معين للسوق مرة فى كل أسبوع عادة ، وكان على البائعين دفع ضريبة السوق مقابل عرض سلعهم للبيع وتحصل تلك الضريبة بطريقة الالتزام ، وكانت القاهرة أكبر مركز للتجارة فى مصر ، وكان لها ميناءان نهريان على النيل وهما مصر القديمة وبولاق (٦٢) هذا وتشغل الأسواق جزءا من مدينة القاهرة ، ويتجمع عادة أصحاب كل حرفة فى ناحية واحدة من العاصمة حيث نجد شوارع بأكملها أو أجزاء منها مخصصة لصنف واحد من التجارة فهناك سوق الغورية حيث تباع الشيلان الكشمير والأقمشة الحريرية والاتيال (أجنبية) وسوق الاشرافية يباع فيها الورق،



سوق تجارى بالقاهرة

وسوق الخان الخليلى ويشغله الجواهرجية وتجار النحاس والسجاجيد ، والحمزاوية حيث يوجد تجار الجوخ وفى سوق السلاح نجد تجار أسلحة ، وفى الجمالية نجد تجار البن والطباق ، وفى وكالة الجلابة توجد تجارة الرقيق . وهذه الأسواق عبارة عن شوارع مغطاه من كثير من النواحى حتى تقى الناس حرارة الشمس وتوجد الدكاكين على جانب الشارع حيث يعرض التجار بضائعهم ومن ناحية التجارة الخارجية فقد ازدهرت بشكل ملحوظ خلال حكم محمد على وتغيرت من حيث الحجم والنوع والادوات

(٦١) أحمد الحتة : تاريخ مصر الاقتصادى ص ١٨ : ١٩ .
(٦٢) أحمد الحتة : نفس المرجع ص ٢٢ .

والدول المتعامل معهما وقد قدرت الصادرات في عام ١٨٠٠ بـ ٢٨٨ ألف جنيه ، والواردات بـ ٢٦٩ ألف جنيه فقط وكانت الصادرات تتكون أساسا من فائض البلاد من الحبوب ، وبعض الغزول والمنسوجات المحلية ، و ... ألخ • أما الواردات ، فكان أهمها المنسوجات الفاخرة والمنتجات المعدنية والزجاجية ، والتوابل الواردة من الشرق ، وبعض مواد الترف التى كان يستهلكها حكام البلاد من المماليك (٦٣) وفى عهد محمد على نمت تدريجيا تجارة مصر الخارجية ، وان تعرضت من وقت الى آخر الى تقلبات كثيرة وهو ما أشارت اليه تقارير قناصل الدول الأجنبية فى عهده فمثلا أشار قنصل روسيا العام « دوهامل » فى بعض تقاريره الى « ان الموازنة بين تجارة مصر اليوم ، وتجارتها فى عهد المماليك ، وفى السنوات الأولى من حكم محمد على ، لا يسع الناقد النزيه ازاءها الا أن يعترف بما حدث من تقدم عظيم » (٦٤) ويرجع ازدياد حجم وقوة تجارة مصر الخارجية فى ذلك الوقت الى عدة عوامل منها ازدياد حجم المحاصيل الزراعية القابلة للتصدير مثل القطن طويل التيلة وأيضا ازدياد الدخل القومى ، وانتشار الأمن واحترام قواعد المعاملات فقد اصدر محمد على أوامره بتوحيد الموازين والمكاييل بين الميرى والأهالى وذلك فى عام ١٢٥٠ هـ • ١٨٣٤ م (٦٥) كما عمل على توحيد قيمة النقود وشدد فى عدم التلاعب فيها وذلك فى عام ١٢٥٧ هـ ـ ١٨٤١ م (٦٦) وأيضا سهولة طرق المواصلات فى الداخل والخارج ، وكذلك انخفاض قيمة الجمارك المفروضة على البضائع المستوردة حيث بلغت قيمتها على التجار الأجانب ٥٪ •

وفى عام ١٢٥٨ هـ ـ ١٨٤٢ م صدر أمر من محمد على بأن تكون قيمة الجمارك على البضائع المستوردة بالنسبة للتجار المصريين ٥٪ كما هو الحال بالنسبة للتجار الأجانب وذلك لتشجيع المصريين على ممارسة التجارة ويلاحظ أن محمد على كان قد أبرم اتفاقية تجارية مع الروس فى عام ١٢٥١ هـ ـ ١٨٣٥ م بمقتضاها خفضت الجمارك على التجار الروس الى ٣٪ فقط (٦٧) • كما فرضت ضريبة قدرها ½ ٪ على الأشياء (٦٨)

(٦٣) حسين خلاف • التجديد فى الاقتصاد المصرى الحديث دار احياء الكتب العربية ١٩٦٢ ص ٣٤٠ •

(٦٤) محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر محمد على ص ٣٣٦ نقلا عن تقرير « دوهامل » •

(٦٥) دار الوثائق بالقلعة ـ دفتر ٤٠ ـ أوامر ديوان التجارة والمبيعات ـ ٢٩ شوال ١٢٥٠ هـ •

(٦٦) دار الوثائق بالقلعة دفتر ٦ محفوظات ديوان التجارة والمبيعات ٣ ذى القعدة ١٢٥٧ هـ •

(٦٧) دار الوثائق بالقلعة ـ دفتر ٦ ـ محفوظات ديوان التجارة المبيعات ـ ٢٢ رجب ١٢٥٨ هـ •

(٦٨) دار الوثائق بالقلعة ـ دفتر ٤ محفوظات ديوان التجارة والمبيعات ٣ ذى الحجة ١٢٥٨ هـ •

والبضائع الواردة من جانب الهند الى السويس بمعرفة التجار الانجليز لتصديرها الى أوربا رأسا وذلك في عام١٢٥٨هـ ـ ١٨٤٢ م ولا شك أن اضطرار الأهالي ببيع منتجاتهم للحكومة في عهد محمد علي كان سببا فيما لاحظه بعض معاصرى ذلك الوالى من عدم اشتداد اقبال الزراع على اقتناء السلع الأجنبية التي تكفل لهم الراحة والنعيم ، ولكن كان يعوض النقص في قيمة الورادات الناجم عن هذا السبب اقبال محمد علي على استيراد مايلزم لمصانعه من عدد والات واستيراده الزخائر والأخشاب وغير ذلك(٦٩) كذلك فقد كان الجزء الأكبر من تجارة مصر الخارجية وقد ذهب البعض (٧٠) الى تقديره ب ٩٥٪ من تلك التجارة ، احتكارا لمحمد علي ، أما البضائع المعدة للتصدير ، فكانت كلها تكاد أن تكون ملكا للحكومة كذلك أضافوا أن هذه البضاعة الأخيرة كانت تبيعها الحكومة بطريقة المزايدة • على ان هذه الطريقة لم تتبع الا ابتداء من سنة ١٨٣٥ • أما قبل ذلك ، فكان الباشا يبيع محصولاته سلفا ، فكان التاجر الذى يدفع الثمن مقدما يحصل على فرمان أو (أذن) بألف قنطار من القطن مثلا ، وكان يستلم ما يرد من البضاعة أولا بأول (٧١) وليس صحيحا أن احتكار محمد على للتجارة الخارجية أدى الى حرمان التجار الوطنيين من هذا النوع من التجارة كما يدعى بعض الباحثين فهناك وثيقة (٧٢) توضح عدد التجار الذين قاموا بعمليات تصدير واستيراد بين عامى ١٢٢٦ هـ ــ ١٨١٠ م و١٢٣٥ هـ ــ ١٨١٩ م يتضح منها وجود عدد لا بأس به من التجار المسلمين مثل أحمد أغا ومحمد أغا وشريف محمد وبلال أغا ناظر الحريم ومصطفى العلانية لى وعبد الله والمعلم صالح وحسن بك أغا حاكم البحيرة ومحرم بك محافظ الاسكندرية وهناك أيضا بعض التجار الشوام والمغاربة مثل عبد الله الطرابلسى ويوسف كنعان والسيد محمد الطرابلسى ومحمد بدر الدين المغربى ، هذا بالاضافة الى عدد كبير من التجار الأجانب مثل روستى وجوانى وتركى المورة لى وقبودانات أسبانيا وجومانسى والخواجة قره بت وغيرهم ، وقد بلغ عدد بيوت التجار الأجانب فى القاهرة ١٥ بيتا وفى الاسكندرية ٣٥ بيتا وذلك فى عام ١٨١٥ • (٧٣) وكانت اتجاهات التجارة الخارجية مع دول فرنسا والنمسا وتسكانيا وكما ازدهرت التجارة مع السودان ، وفى عام ١٢٥٧ هـ ــ ١٨٤١ م صدر أمر بالغاء جميع محال الجمارك الموجودة فى بلاد السودان لغاية أسوان وتأسيس جمرك واحد

---

(٦٩) محمد فؤاد شكرى ــ نفس المرجع ص ٤٩٩ نقلا عن تقرير بورنج •

(٧٠) محمد فؤاد شكرى ــ نفس المرجع ص ٣٣٤ نقلا عن تقرير دوهامل •

(٧١) حسين خلاف : نفس المرجع ص ٣٤٣ •

(٧٢) دار الوثائق بالقلعة : دفتر ٤١ ــ اوامر خزئية تركى •

(٧٣) هيلين ان ريفلييتن : الاقتصاد والادارة دار المعارف ١٩٦٧ م •

فقط فى أسوان التى نعد باب السودان وتحصيل رسم جمرك بمقدار ١٢٪ فقط من البضائع الواردة من السودان الى مصر انما البضائع الصادرة من (٧٤) مصر الى السودان فلا يؤخذ منها رسم جمرك أصلا لترويج الصادرات المصرية وفى العام التالى قامت الحكومة برفع قيمة الجمارك عن الماشية المجلوبة من السودان وذلك لزيادة عددها فى مصر (٧٥) ويلاحظ ان نشر الزراعات السلعية ونمو الصناعة ، وتوسع المعاملات النقدية والسوق بصورة عامة قد سبب نموا للتجارة الخارجية أيضا • وقد استفادت التجارة الداخلية ـ وان كان بشكل تابع من تحسين المواصلات البرية والنهرية ومن انشاء بعض خطوط السكك الحديدية الضيقة والقصيرة• وكانت الجمارك الداخلية يقوم بالاشراف على مراكزها ملتزمون ففى عام ١٢٥٩ هـ ـ ١٨٤٣ م نمت الموافقة على احالة التزام جمرك مصر القديمة الى عهدة المعلم يعقوب القطاوى وشركاه الحاج عثمان أغا والمعلم حبش ميخائيل لمدة سنة ببدل مبلغ ٣١١٠ كيس (٧٦) وكان تجار القطاعى والتجزئة فى القاهرة يقومون ببيع السلع والبضائع بالأسواق اما داخل الدكاكين أو على جانبى الطريق • وفى أوقات الازمات كانت تختفى بعض السلع وترتفع أسعارها بشكل حاد مما يؤدى الى تدخل الباشا فى الأمر والزام التجار بعرض سلعهم وعدم رفع الأسعار ويقوم المحتسب ومساعدوه بالمرور على الأسواق ومراقبة عمليات البيع والشراء والموازين والمكاييل ومنع حدوث أى تدوير أو غش وكانت توقع عقوبات شديدة من جانب المحتسب على التجار المخالفين مثل الضرب والجلد وتخريم الأنف والأذان والتشهير بالمخالف وعندما استقرت الأمور لمحمد على فى البلاد أصدر أوامره بتسعيرة جبرية تسرى لمدة عشرة سنوات من ١٨٢٥ الى سنة ١٨٣٤ (٧٧) على كثير من السلع والبضائع منها اللحم الضانى والماعز والبقرى والجاموس والبقول مثل اللوبية والشعير والأرز والعدس والسمسم والسكر والقطن والكتان والمسلى والعسل الأبيض والزيوت مثل زيت الزيتون وزيت الخص وزيت الكتان وزيت السمسم والقرطم •

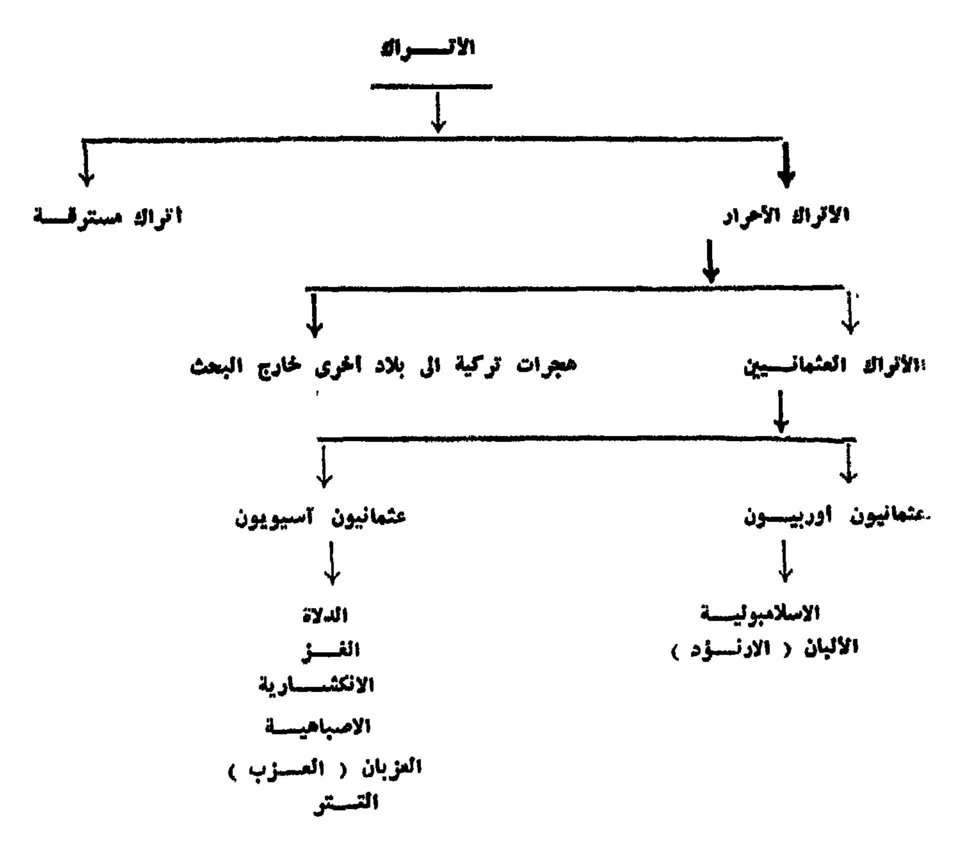
(٧٤) دار الوثائق بالقلعة : دفتر ٦ محفوظات ديوان التجارة والمبيعات ٢٤ شوال ١٢٥٧ هـ •

(٧٥) دار الوثائق بالقلعة : دفتر ٦ محفوظات ديوان التجارة والمبيعات ٢٣ رجب ١٢٥٩ هـ •

(٧٦) دار الوثائق بالقلعة . دفتر ٦ محفوظات ديوان التجارة والمبيعات ٢١ رمضان ١٢٥٩ هـ •

(٧٧) أمين سامى ـ تقويم النيل ـ جـ ٢ • ص ٣٢١ •

الأتـــــراك



شكل توضيحي يبين اهم العناصر التركية التى عاشت فى مصر خلال تلك الفترة

يرجع الأتراك جميعا فى أصلهم الى منطقة أواسط أسيا ومنها انتشروا الى باقى المناطق وينقسم الجزء الذى اتجه شرقا الى قسمين :

الأول : هو العنصر التركى الحر وأهمهم الأتراك العثمانيـين وهما ينقسمان الى العثمانين الأوربيين وأشهرهم الاسلامبولية نسبة الى استانبول

ويتبع هؤلاء العثمانيون الأوربيون عدة طوائف تركيـة تابعـة لهم أهمها طائفة الالبانيين أو الارنؤط • أما العثمانيون الأسيويون فكانوا من أصول مغولية كما كانـوا أقـل حضـارة ومدنيـة من الفرع العثمانيلى الأوربى الاسلامبولى وأهم طوائف العثمانيين الأسيوية التى عاشت بمصر هى فرق الانكشارية والأصباهية أو الأسباهية كما يسميهم الجبرتى ويمكن ان تلحق بهم طوائف الغز الدلاة الذين قطنوا مناطق الأكراد • وهناك عناصر تركية أخرى هى العناصر المسترقه وهم الذين كانوا يباعوا أطفالا وشبانا بسبب فقر أهليهم من مناطق اذربيجان والقوقاز وغيرها وذلك فى أسواق الجلابة فى اسـتانبول والقاهرة ومنهـم تكونت دولة المماليك المستقلة فى مصر عام ١٢٦٠ م / ١٥١٧ م ثم المماليك العثمانيـة من ١٥١٧ م / ١٨١١ م (مذبحة القلعة) ثم مماليك محمد على الذين عملوا فى خدمته وتولوا بعض المناصب الكبرى **ورغم ازدياد عدد سكان مصر فى ذلك الوقت فاننا نلاحظ انخفاض عدد المماليك العثمانيين وذلك للأسباب الآتية :**

١ ــ وقف استيراد المماليك الترك من القوقاز عقب الغزو الروسى فى الربع الأخير من القرن الثامن عشر التى كانت تعتبر فى ذلك الوقت المصدر الرئيسى لهذه التجارة •

٢ ــ التخلص من عدد كبير من المماليك بسبب حروبهـم الطاحنة ضد بعضهم البعض وحروبهم ضد حملة بونابرت ومع محمد على •

٣ ــ تمكن محمد على من القضاء على عدد كبير من كبار المماليك فى مذبحة القلعة مارس ١٨١١ م •

٤ ــ عمل محمد على على اقصاء عناصر تركية أخرى كانت معادية له عن البلاد كالدلاه وارنؤط والانكشارية وغيرهم سـواء بابعادهم فى حروب خارجية ببلاد العرب أو السودان أو المورة •

المماليك والأتراك العثمانية فى مصر •

يرجع تاريخ هذه الطائفة فى مصر الى أيام الفتح العثمانى عام ١٥١٧م ذلك الفتح الذى استمر قائما فى البلاد حتى ضعف بصورة واضحة بتولى محمد على باشوية مصر فى عام ١٨٠٥ م وكان من نتائجه استمرار تعيين

أول عثمانى يوفده الأستانة الى مصر نعاونه فى الحكم الحامية العثمانية والمماليك وكان ذلك الحكم الثلاثى مدعاة لتوطيد نفوذ الجالية التركية فى مصر مدة ثلاثة قرون استتب فيها نفوذ الوالى والحامية والمماليك بدرجة شملت كافة نواحى البلاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية فلما جاء محمد على قضى على هذا النفوذ الثلاثى كما قضى على نفوذ السلطان العثمانى ولكنه لم يقض على الأجناس التركية فى البلاد وانما كل ما فعله هو تنظيمه لوجودها والتخلص من الطوائف الفوضوية منهم والاستعانة ببعض الأتراك فى الادارة • وقد ميز الجبرتى المماليك عن العثمانيه ولقب هؤلاء المماليك بالأمراء المصرية أو المصرلية (٧٨) كما يلقبهم أيضا بالأمراء القبالى أى أمراء الجنوب بسبب اعتصامهم الدائم بالجنوب عند تقهقرهم أمام الغزاة كما حدث لهم أمام العثمانين فى عام ١٥١٧ فلما ضعف النفوذ العثمانى فى القرن ١٨ عادوا الى القاهرة والدلتا حتى كانت حملة نابليون على مصر ففروا أمامها الى الصعيد من جديد وحتى بعد رحيل حملة نابليون عن مصر ١٨٠١ اضطر هؤلاء القبالى الى البقاء بالصعيد خوفا من بطش خلفاء الحملة الفرنسية على مصر وهم الباشاوات العثمانيون فى الفترة ما بين ١٨٠١ — ١٨٠٥ ثم أمام قوة محمد على بعد ذلك منذ عام ١٨٠٥ وما تلاه الى أن كانت مذبحة المماليك الكبرى بالقلعة عام ١٨١١ فقضت عليهم وأيدت اعتصام فلولهم الباقية بالصعيد الأعلى وبلاد النوبة •

أولا : المماليك •

بعد دخول العثمانيين مصر عام ١٥١٧ م استعانوا بمماليك فى حكم البلاد وكان البكوات يختاروا من بين المماليك الذين يعتبروا فئة ممتازة وكان المماليك يجلبوا من القوقاز — جورجيا — سيركاسيا — منغوليا — اذربيجان كما كان البكوات يصدروا أوامرهم الى عملائهم فى القسطنطينية لكى يشتروا عدد معين من المماليك وفى حالة عدم كفاية الامدادات من هؤلاء المماليك أو فقد الكثير منهم فان ذلك كان يعوض عن طريق العبيد السود من أفريقيا واذا وجد أن أحد هؤلاء العبيد السود قابل للتعليم فانه كان يجهز بالملابس العسكرية ويسلح مثل المماليك وكانت هناك عناية خاصة تقدم لتعليم مثل هؤلاء الصبية المفضليين وكانوا يدربون تدريبات على القوة وخفة الحركة وكان هناك احترام يقدم من هؤلاء الأتباع الى أستاذهم وبعض هؤلاء المماليك يصلوا الى درجة ممتازة فى الكتابة والخطابة لكن الغالبية العظمى منهم لا تعرف القراءة والكتابة ومثالا لهذا النقص انه

---

(٧٨) الجبرتى • عجائب الآثار • ج ٢ • ص ٢٥١ •

كان ملحوظ فى مراد بك نفســه • وكان المماليك التابعين يظهــروا فى زى عســكرى ، ومسلحين بزوج من المســدسات ، وسيف وخنجر وفى أثناء المعارك كان كثير من المماليك يرتدى خوذه مفتوحه ودرع مجدول من حبال الصلب وخيولهم منتقاة من الخيول العربية الأصيلة(٧٩) وبعد أن يتلقى العبد تعليما جيدا فانه يرتقى الى درجة مملوك وكلمة مملوك منشتقة من كلمة مالك ويتسلم من أستاذه حصان وأسلحة وملابس ويعاد تجديد هذه العهدة كل سنة فى شهر رمضان والمماليك مشهورون بحب المــال وليس لديهم أى مبادىء للحصول على الأموال وقد قدر دخل مراد بك بما يتراوح بين ١٠٠٠ الى ٢٠٠٠ كيس سنويا أو البكوات الذين هم فى درجة أقل فان دخلهم يبلغ حوالى ٣٠٠ كيس وبجانب أن المماليك هم الحكام لمناطق معينة فى مصر فان العديد منهم يحصل على مناصب أخرى من الباب العالى مثل شيخ البلد أو حاكم المدينة ــ الدفتر دار • أو المحاسب العام ــ وأمير الحج ــ أو قائد المحمل ــ أمير الصعيد أو حاكم مصر العليا وهذه المناصب لها رواتب مخصصة من الباب العالى (٨٠) وأغلب المماليك لا يتزوجون والعدد القليل منهم الذى يتزوج نادرا ما ينجب أطفالا فان الابن لا يعطى له أى اعتبارات شخصية حتى ولو كان ابن بك لذلك فان المرأة ربمــا ما تعمــل اجهاضا لنفسها ويقول براون أنه كان يعــرف معــرفة جيدة بتاريخ ١٨ بك وان أثنين فقط منهم هم الذين لديهم أبناء أحياء •

وقد قدر عدد المماليــك فى مصر عند دخول الحملــة الفرنسية بنحو ٨٥٠٠ رجل وكان أهم بيــوت الأمراء البكوات بيت ابراهيم بك وكان يمتلك حوالى ستمائة مملوك ويليه مراد بك بمماليكه الأربعمائة أما بقيه البكوات وعددهم ثمانية عشر أو عشرين فكان تعداد مماليكهم يتفاوت بين الخمسين والمائتين وفيما عدا هؤلاء كان هنــــاك عدد كبير مــن المماليك المستقلين الذين لا تعرف تبعتهم لأحد البكوات (٨١) وقد قدر براون عدد المماليك فى مصر بين عام ١٧٩٢ م الى ١٧٩٨ م بما يتراوح بين ١٠ آلاف واحدى عشر ألف رجل (٨٢) وأضاف أن عددهم منذ أحد عشر عاما كان يصــل الى ١٦ ألف مملوك وقد قضى الطاعون الأخير على ألف رجل منهم ولأسباب أخرى نقص عددهم حتى وصل الى الرقم السابق •

---

(٧٩) Brawne-travels in Africa, Egypt London 1799, p. 49.

(٨٠) Brawne aibid — p. 52.

(٨١) عبد الرحمن زكى ــ التاريخ الحربى لعصر محمد على الكبير دار المعارف سنة ١٩٥٠ ص ٤٠ •

(٨٢) Brawne — op. cit., p. 70.

ولكن المماليك لم يسايروا المتغيرات التى طرأت على مصر مما أدى الى زوال نفوذهم وتقلص وجودهم بالبلاد ويقول محمد فؤاد شكرى ان النظام المملوكى فى حد ذاته قد بدأ ينحل ويتداعى من الداخل فالرابطة التى كانت تربط بين الأستاذ ومماليكه وهى من مقومات النظام المملوكى التى تعمل على الطاعة الكاملة وتنفيذ أوامر الأستاذ سواء كان بك أو كاشف أو قائد هذه الرابطة قد دب فيها الضعف والتفكك كما ان المماليك لم تكن لديهم دراية أو ثقافة مناسبة فأغلبهم لايجيد القراءة والكتابه حتى ان المماليك عندما علموا بمقدم الفرنسيين الى مصر وجاء ذكر الفرنسيين فى الحديث رفعوا عقيرتهم قائلين أنه اذا قدم الفرنسيون عليهم فعلوا فيهم بسيوفهم فعل السكين بالبطيخ (٨٣) أضف الى ذلك الضربات الموجعة والخسائر الكبيرة التى حلت بالمماليك نتيجة معاركهم الطويلة مع الحملة الفرنسية ثم مع محمد على باشا بعد توليته باشوية القاهرة مما أدى الى تلاشى قوة المماليك ونقص اعدادهم بشكل ملحوظ ثم أكمل محمد على باشا ذلك كله بقيامه بمذبحة القلعة فى مارس ١٨١١ م التى راح ضحيتها ٤٦٩ من كبار المماليك واتباعهم (٨٤) وقد اختلف الباحثون فى الأسباب التى دعت محمد على الى القيام بمذبحة القلعة والقضاء عليهم بالرغم من ان قوتهم الحقيقية قد زالت فمنهم من ارجعها الى أسباب اقتصادية حيث يقول أحمد صادق سعد لعل مذبحة المماليك لم تكن عملية سياسية بحتة اذ كان هؤلاء مسيطرين على الصعيد المنطقة المنتجة للحبوب وقتذاك ويشاركون العربان فى الاتجار بمحاصيله وكان محمد على فى ذلك الوقت فى حاجة شديدة الى الحبوب (٨٥) ومنهم من ارجع السبب فى مذبحة القلعة الى خروج جيشه فى الحملة الوهابية فاراد أن يؤمن الداخل من أى تهديد من قبل المماليك الذين كانوا يتحفزون لاقصاء محمد على(٨٦) ويقول دروفتى ان السبب فى مذبحة القلعة هو معرفة محمد على بوجود مراسلات بين المماليك بالقاهرة وبين البكوات والمماليك الموجودين بالصعيد وكذلك مع سلمان باشا والى الشام مما أثار الشك فى نفس محمد على أما استراد فورد كاننج فيقول ان هذه مذبحة وقعت بناء على أمر من السلطان الى محمد

---

(٨٣) ادوارد جوان ـ تعريب محمد سعد مصر فى القرن التاسع عشر القاهرة الطبعة الأولى القاهرة ١٩٢١ م ص ١٢٩ .

(٨٤) الجبرتى ـ عجائب الآثار ـ حـ ٣ . ص ٣٢٠ ، ٣٢٧ .

(٨٥) أحمد صادق سعد ـ نفس المرجع ص ٢٣٦ .

(٨٦) عمر الاسكندرى وسليم حسن تاريخ مصر من الفتح العثمانى مطبعة المعارف ١٩٢١ ص ١٣٢ .

على (٨٧) ومن النتائج المباشرة لمذبحة القلعة هو خضوع أقاليم مصر الوسطى والعليا تماما لمحمد على فقد كتب الوكلاء الفرنسيين فى القاهرة الى حكومتهم فى أبريل ١٨١٢ م أن ابراهيم بن محمد على أصبح حاكما على الصعيد واتخذ أسنا مقرا له وهذا ولم يبق من المماليك بعد المذبحة الا ما يقرب من ٥٠٠ أو ٦٠٠ رجل التفوا حول ابراهيم بك وعثمان بك حسن فى أعالى الصعيد ودفعهم محمد على الى الفرار للسودان بسبب ضعف قواهم وعدم مقدرتهم على التعاون والاتحاد فيما بينهم حتى أن ٢٢٠ من المماليك فضلوا الاستسلام الى ابراهيم باشا على حياة البقاء فى السودان وكانوا يأملون في عفو الباشا عليهم ولكن ابراهيم باشا عمل فيهم السيف فكانت مذبحة أخرى للمماليك لم تقم بعدها قائمة لهم فى مصر (٨٨) ٠

ثانيا : الفرق العثمانية الاسيوية فى مصر :

كان من بين الفرق العثمانية طائفة العثمانلية بحسب الاصطلاح الشعبى الذى كان يطلق عليها في ذلك الحين الا أن كلمة عثمانلى ظلت دائما كلمة غامضة طالما كان ينضوى تحت لوائها جميع العثمانين الأسيويين والأوروبيين وكانت طائفة الدلاة أو الدلاتية كما يلقبهم الجبرتى تنتمى الى الفرق العثمانية الأسيوية ويرجع الجبرتى اصلهم الى الشام (٨٩) ، أما ادوارد جوان فيذكر انهم الأكراد الفرسان (٩٠) ـ واشتهر الدلاة بالعنف والشراسة وكان سلاح الواحد منهم السيف وطبنجتان وكانوا يحملون على رؤسهم قلنسوة اسطوانية من اللبد الأسود وأرتفاعها عشرة ابهامات وهى لا حافة لها وانما بأسفلها شريط من التيل على شكل الانبوبة ويضيف جوان أن فى ٢٩ فبراير ١٨٠٤ وصل الى مصر ٣ ألاف جندى عثمانى فاقيم لهم معسكر بمصر القديمة وكانوا جميعا من الفرسان السوريين الذين تتألف منهم الفرقة المعروفة بالدلاة أو الدالاتية وسموا بهذا الاسم الذى معناه الهوس أو الجنون لتحمسهم فى القتال واقتحامهم الأخطار وقد عاملهم خورشيد باشا بالتسامح والاعفاء لاعتقاده انهم سيكونوا له حصنا ولم يكتف بأن خصص لدفع مرتباتهم ستمائة كيس فى الشهر بل أباح لهم المضى فيما اعتادوه من الظلم والاعتداء على الناس

---

(٨٧) محمد فؤاد شكرى ـ مصر فى مطلع القرن التاسع عشر القاهرة ١٩٥٨ جـ ٣ ص ١٣٤ ٠

(٨٨) محمد فؤاد شكرى ـ نفس المرجع جـ ٣ ص ١٣٣٠ ٠

(٨٩) الجبرتى ـ عجائب الآثار جـ ٣ ص ٢٧٥ ٠

(٩٠) ادوارد جوان ـ نفس المرجع ص ٤١٤ ٠

بالسلب والنهب (٩١) • ولكن الدلاة شكلوا خطرا داهما على الأهالى وعلى خورشيد باشا نفسه مما أدى الى خلعه ونشروا الفساد والشغب بالقاهرة ويقول الجبرتى فى ١٧ محرم ١٢١٩ هجرية ـ ٢٨ أبريل ١٨٠٤ م قدمت عساكر ودلاة فى المراكب ودخلوا البيوت المصرية وأخرجوا أهلها وسكنوها واذا سكنوا دارا خربوها وكسروا أخشابها وأحرقوها فاذا صارت خرابا تركوها وطلبـوا غيرها وفعلوا بها كذلك وهذا دأبهم من حين قدومهم الى مصر (٩٢) واستمر شغب الدلاة بعد تولية محمد على وازداد ضجر الأهالى منهم مما دعى محمـد على أن يقطع رواتبهم وأصـدر أمرا بالسفر الى بلادهم (٩٣) وذلك فى ١٢٢٢ هجرية ١٨٠٦ ميلادية •

ولكن يبدو أن الدلاة لم يقوموا بتنفيذ هذا الأمر واستمر جزء منهم فى البلاد حتى جاءت مناسبة الحرب الوهابية التى إشترك فيها محمد على بقواته مما نتج عنها التخلص من عدد كبير من الدلاة (١٨١١/١٨١٢) •

وفى منتصف رمضان ١٢٣٠ هجرية / ١٨١٥ ميلادية عاد باقى الدلاة من الحجاز الى القاهرة مع قائدهم حجو بك ويذكر الجبرتى حدوث انزعاجات وكوارث وليس هنـاك سبب يدعو الى ذلك وقد قام محمـد على بالباس حجو بك خلعـه وتوجه بطرطور طويل ويضيف الجبرتى قائلا (وانخلع هو وطائفته من طريقتهم التركية التى كانوا عليها) (٩٤) ولم يرد بعـد ذلك أى ذكر عن شغب أو فوضى الدلاة بمصر وذلك يرجـع الى انخفـاض اعدادهم بعد الحملة الوهابية وتخليهم عن صفاتهم الشرسة •

فرق عثمانية أسيوية أخرى :

هناك فرق أسيوية غير الدلاة منها الانكشارية ومعناها العسكر الجديد والقليوبنجية والأصباهية أو الأسباهسة الجوربجبة أو الشنوربجية (٩٥) •

وكانوا من الاوجاقات العثمانية المقيمة بالأقاليم فى مصر العثمانيـة وهناك طوائف مملوكية أخرى مرتبطة بزعيمها ومسماه باسمه بمصر وذلك خلال القرن ١٨ واشهرها القاسمية نسبة الى قاسم ايواظ والفقارية نسبة الى زعيمها ذو الفقار بك ••• وقد شهد النصف الأول من القرن ١٨ صراعا

---

(٩١) ادوارد جوان ـ نفس المرجع ص ٣٠٣ •

(٩٢) الجبرتى عجائب الآثار جـ ٣ ص ٩٦ •

(٩٣) الجبرتى عجائب الآثار جـ ٣ ص ٢٢٨ •

(٩٤) محمد فؤاد شكرى ـ الحملة الفرنسية على مصر وظهور محمد على دار الفكر العربى بدون تاريخ ص ١١ •

شديدا بين طائفتى القاسمية والفقارية على السلطة (٩٦) ٠

وقد ذكر الجبرتى أسماء طوائف أخرى منهـا العزب أو العزبـان وطائفة الغز أو الأغز وكذلك التتر وهذه الطوائف جميعا قد اندثرت بمرور الوقت وانخرطت فى المجتمع المصرى حتى ان كلوت بك يذكر أنه فى خلال عهـد محمـد على كان السـواد الاعظم للأتـراك فى مصر من الأتـراك الأوربيين (٩٧) ٠

الأتراك الأحرار الأوربيون :

أما عن أتراك أوربا فكانوا بدورهم منقسمين الى عدة فرق من أهمها الأسلامبولية أو الاستانبولية ـ (٩٨) ـ نسبة الى استانبول أو الأستانة عاصمة الدولة العثمانيـة فى ذلك الوقت واصلهم منهـا وكذلك يمكن ان تضيف الى هؤلاء الأتراك الأوروبين الاسلامبولية أتراكا أخرين من مقاطعة الروملى الشرقى وتراقيا ويمكن أن نضيف أيضا طائفة الارنؤط أو الألبان وهم من مقاطعة البانيـا ووصفهم كلوت بك بانهـم جنس مستقل بذاته وذريته لا تمت الى الأتراك بحبـل القرابة ٠٠ وهم مشـهورون بالبسالة والولع بالقتال والعناد وحب الثروة وجمع المال وكان محمـد على بنفسه هو رئيس الأرنؤط بين عامى ١٨٠١ و ١٨٠٥ م ومن زعماء هـذه الطائفة أيضا طاهر باشا الأرنؤطى (٩٩) الذى اشتهر بصداقته لمحمد على وتولى باشاوية مصر لمدة ٢٦ يوما من أول مايو ١٨٠٣ الى ٢٦ مايو ١٨٠٣م(١٠٠)٠ هذا وينبغى الا تخلط بين طـاهر باشا الأرنؤطى هذا وزعيم أخر لطائفـة الأرنؤد يدعى حسن باشا طاهر الأرنؤطى الذى كان مؤيدا لمحمـد على فى حروبه ضد المماليك وأثناء مذبحة القلعة ٠

وكان من زعماء الطائفة أيضا رجب أغا الذى غدر به محمد على ونفاه الى بلاده البانيا فى ٢٨ شوال ١٢٢٢ هـ / ١٩ نوفمبر ١٨٠٧ م للتخلص منه (١٠١). وقد عانى أهـالى القاهرة كثيرا من فوضى وشغب الألبـان فى

---

(٩٦) كلوت بك ـ لمحة عامة الى مصر جـ ٢ ص ٢٩٣ ٠

(٩٧) كلوت بيك ـ نفس المرجع جـ ٢ ص ٢٩٤ ٠

(٩٨) كلوت بيك ـ نفس المرجع جـ ٢ ـ ص ١٩٤ ٠

(٩٩) الجبرتى ـ عجائب الآثار ـ جـ ٣ ـ ص ١٩٧ ٠

(١٠٠) ومن المعروف ان حكم طاهر باشا قد انتهى بمقتله على يد العسكر ٠

(١٠١) الجبرتى ـ عجائب ٠٠ جـ ٣ ص ٢٧١ ٠

القاهرة فقد كانوا ينهبون البيوت والأسواق ويكسرون أبواب الدكاكين وينهبون منها التحف الثمينة والبضائع والنقود ويفسدون باقى المحتويات ويعتدون على المنازل واختطاف ما فيها وكان الرجال يقومون بالتصدى لهم ومنعهم من المزيد من الأذى ويغلقون الحوانيت والأبواب والدروب وقد ذكر الجبرتى وادوار جوان حوادث عديدة تكرر فيها شغب الجنود الألبان وأول حادثة يذكرها الجبرتى فى ربيع الأول ١٢١٦هـ/١٢ يوليو ١٨٠١م(١٠٢).

ولم يقتصر عدوان الأرنؤط على الأهالى الوطنيين.. بل كذلك اعتدوا على الأوربيين فى القاهرة أيضا كما حدث فى ٢٨ ربيع عام ١٢١٩ هـ ٨ يونيو ١٨٠٥ م عندما اعتدى أثنان من الأرنؤط على منزل طبيب يونانى وبصحبته صيدلى فرنسى مما أدى الى جرح الأوربيين ومقتل أحد الأرنؤط وكادت الأزمة تتفاقم لولا تدخل محمد على زعيم الأرنؤط فى ذلك الوقت لاحلال الأمن فى الحى الأفرنجى ومنع الأرنؤط من شغبهم وعقد صلح بين المتخاصمين دفع بمقتضاه مبلغ أربعة آلاف قرش لتسقيق القنيل الأرنؤطى (١٠٣) . وكان الباب العالى يدرك مدى خطر الجنود الألبان فى مصر فاصدر فى عام ١٨٠٤ أمرا لهم بمغادرة البلاد بعد أن انتهت مهمتهم وجلاء الحملة الفرنسية لكنهم لم يمتثلوا للأوامر وفضلوا البقاء فى مصر لما وجدوه من حياة أفضل وايسر لهم غير ان عدد قليل منهم أرغم على مغادرة البلاد ولم يتوانى خورشيد باشا عن سفرهم وترحيلهم (١٠٤) .

هذا وقد استمر الألبان فى شغبهم بالقاهرة بعد تولية محمد على حتى أنه فى الرابع عشر من أكتوبر ١٨٠٧ عندما وصل محمد على الى القاهرة قادما من الاسكندرية تهافت عليه الشيوخ والأعيان يشكون اليه فوضى الألبان فقام محمد على بزيادة دوريات العسكر بالقاهرة كما كان يقوم بنفسه بجولات لتفقد وتوطيد الأمن (١٠٥)

وعندما اشترك محمد على فى الحرب الوهابية أدى ذلك الى القضاء على عدد كبير من الجنود الألبان نتيجة اشتراكهم فى القتال وبذلك فان هذه الحرب كانت من أسباب تضاءل عدد الألبان فى مصر وعندما أراد

---

(١٠٢) الجبرتى ـ عجائب .. جـ ٢ ص ٤٧٩ .

(١٠٣) ادوارد جوان ـ نفس المرجع ص ١٣٥ .

(١٠٤) ادوارد جوان ـ نفس المرجع ـ ص ١٦١ .

(١٠٥) ادوارد جوان ـ نفس المرجع ـ ص ٣٩٣ .

محمد على تكوين جيش جديد فانه عمل على احلال جنود سودانيين ومصريين محل الجنود الألبان (١٠٦) وتمكن محمد على من تكوين ٢٠ ألف جندى نظامى فى عام ١٨٢٣ كان ذلك هو علامة على زوال عهد الجنود الألبان فى مصر ٠

(١٠٦) جورج يانج تعريب على أحمد شكرى مصر المطبعة الرحمانية ١٩٣٤ ص ٩٨ ٠

المغـاربة

كانت الجالية المغربية أبان الحكم العثمانى قوة لا يستهان بها ولها دور فى توجيه النظام الادارى ويرجع ذلك الى ثراء هذه الجالية من ناحية ومن ناحية أخرى الى انتماء كثرة من أفراد هذه الجالية انتماء عضويا الى أوجاقات الحامية العثمانية للتمتع بامتيازتها المادية والأدبية ... ونتيجة للنشاطات المتعددة التى مارسـها أفراد الجالية فى داخل مدينة القاهرة وامتداد تنظيماتهم الى كل خطط هذه المدينة فان كثير من خطط هذه الأحياء وشوارعها وحاراتهـا تحمـل أسماء مغربيـة . أما عن الهيـكل التنظيمى للجاليات المغربية داخل مدينة القاهرة فانه كان قائما على أساس طائفى طبقا للنظام الذى كان سائـدا فى المجتمع حيث انهم كانوا ينتسبون الى طائفة تجارية أو حرفية طبقا للعمل الذى تقوم به ويختارون شيخـا لهم متحدث ومدافع عنهم أمام سلطات القاهرة (١٠٧) .

وكان سلطان فاس يقوم بارسال وكيلا عنه الى القاهرة يقوم برعاية أمور ومصالح المغاربة وينوب عن السلطان بمصر وكان وكيل المغاربة فى مصر حتى عام ١٢٥٢ هـ /١٨٣٦ م هو محمد المغربى الذى ابعد عن منصبه بناء على طلب سلطان فاس بسبب خيانته وغدره برعايا المغـاربة بمصر ، وقد قام محمد على بتعيين أحد المغاربة فى ذلك المنصب وهو عبد الرحمن الطوير وذلك بصفـة مؤقتـه الى حين حضور وكيـل من طرف سلطـان فاس (١٠٨) .

ويعتبر وضع المغاربة فى مصر مختلفا عن وضع الأجـانب أو باقى العرب فهم من ناحية يعتبروا عربا مسلمين ولهم هذا الوضع داخل مصر ومن ناحية أخرى يعد المغرب دولة مستقلة لا تخضع للدولـة العثمانيـة

---

(١٠٧) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ـ المغاربة فى العصر العثمانى تونس ١٩٨٢ ص ٥٠ ، ٥٣ .

(١٠٨) أمين سامى ـ تقويم النيل جـ ٢ ص ٤٧٦ .

ولذلك فللمغـــاربة فى مصــر قنصلية وممثــل للسلطان مثــل الجاليات الأجنبية فى مصر ٠

وهناك وثيقة تبين حقيقة مشاركة المغاربة فى الحياة العلمية فى الجامع الأزهر (١٠٩) حيث تذكر ان الشيخ أحمد الشرفى المغربى يشغل منصب التدريس بهذه الجامعة الى جانب شغله لمنصب شيخ رواق المغاربة ، كما ثبت أن هذا الشيخ أصبح نائبا لقاضى الشرع ٠

كما تتضح حقيقة أخرى وهى ان بعض المغاربة أصبح يمتهن بعض المهن مثل مهنة الحلاقة وغيرها فالاسطا محمد بن الحاج محمد بن المرحوم محمد التونسى المربى كان يعمل حلاقا ٠

وهناك وثيقة تبين دور المغاربة التجارى وطريقة عقدهم للصفقــات التجارية وكيف أنه كان يوجــد لهؤلاء التجــار وكــلاء فى بعض البنــادر (الموانى) العربية الأخرى وخاصة بندر جدة ٠

وتؤكد وثيقة أخرى على دور المغاربة فى القاهرة حيث يوجــد وقف لاحد المغاربة بباب الشعرية كما ان شيخ رواق المغاربــة بالأزهر كان هو الناظر والمتصرف فى أوقاف المغاربة فى القاهرة ٠

وهناك وثيقة أخرى يتضح منها أنه أصبح من حق الناظر على الوقف التخاصم لدى القضاء مع الواقف اذا أراد الأخير التراجع عن وقفة (١١٠)٠

وقد استمر دور المغاربة فى الحياة الاجتماعية بمدينة القاهرة طوال عهد محمد على خاصة فى مجال التجارة وتصدير المنتجات المصرية من الحبوب الى خارج البلاد وكذلك قام بعضهم بامتلاك سفن نقل وذلك بغرض نقــل البضائع بين مصر وأوربا لحساب الحكومة المصرية (١١١) ٠

---

(١٠٩) وقد قامت المجلة التاريخية المغربية بنشر بحث هام عن أحوال المغاربة فى مصر قام به الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم من خلال الوثائق وذلك فى العددان (٨ و ٩) من المجلة بتاريخ يولية ١٩٧٧ ــ ومن خلال هذا البحث يمكن ان نعرض حالة الجالية المغربية فى ذلك الوقت ٠

(١١٠) المجلة التاريخية التونسية العدد (٩) يوليو ١٩٧٧ م ٠

(١١١) دار الوثائق بالقلعة ــ دفتر (١) محفوظات ديوان التجارة والمبيعات مكاتبة رقم (٥) ربيع أول سنة ١٢٣٧ ٠

الســـوريون

قدم الســـوريون الى مصـــر منـــذ زمن طويل وكانت تدعوهم اليها الراوابط العديدة التى تربط بـــلادهم بالقطر المصرى ولقد عالجوا فيهـــا التجارة فلم يلبثوا ان احرزوا منها الثروة الواسعة وظل اعقابهم يسيرون على النهج الذى سلكه أجدادهم فآباؤهم وكان معظم السوريين على المذهب الكاثوليكى ويقـــدر عددهم فى القاهرة بنحـــو ثلاثة آلاف شخص وكانوا يحرصون على جنسهم من اختلاط الأنساب وبذلك ظلوا محتفظين بتقاليدهم وعاداتهم واخلافهم (١١٢) ٠

ولم يقتصر عمل السوريين على التجارة بل اشتغلوا أيضا بامور المال وحســـاب المكوس والضرائب كما التحق عدد منهم بمصانع الباشا واظهروا براعة فائقة مثـــل ما حدث مع أحـــد المواطنين السوريين الذى قام بتطوير وعمل بعض التعديلات فى الضربخانة (١١٣) ٠ كما برع السوريون فى مجال الترجمة وقد استعان بهم الباشا فى أول الأمر قبل ان يكتمل فريق متكامل من التراجمة المصريـــين ومن أشهر التراجمـــة السوريـــين فى ذلك الوقت يوسف روفائيل ويوسف عنحورى والأب روفائيل (١١٤) ٠

وقد ظلت مصر خلال عهد محمد على تمثل عنصر جذب للسوريين ومن أشهر الأسر السورية ميخائيل لطف الله الذى قدم الى مصر عام ١٨٤٥ م الذى جمع هو واخيـــه المترجم حبيب ثروة هائلـــة من وراء التجـــارة بين السودان ومصر ٠

---

(١١٢) كلوت بيك ــ نفس المرجع جـ ٢ ص ٥٧٠ ٠

(١١٣) الجبرتى ــ عجائب ــ جـ ٣ ص ٣٤٤ ٠

(١١٤) انظر هذا الكتاب ص ١٥٨ ٠

وكذلك أسرة كرم الطرابلسى ومن أعضائها سمعان كرم وأخيه جورج اللذين عملا بتجارة الأخشاب بين الشام والاسكندرية وكونا ثروة ضخمة ٠

واسرة يوسف حنا سياج الذى ولد فى مدينــة دمشق عام ١٨٤٥ ورحل الى الاسكندرية وعمل بالتجارة وصرف السندات المالية وكان غيورا محبا لطائفته الأرثوذكسية (١١٥) ٠

---

(١١٥) الياس زخورا ـ السوريون فى مصر المطبعة العربية ١٩٢٧ ص ١٠ و ٣٦ ٠

قدر ادوارد وليم لين عدد الأقباط فى مصر فى ذلك الوقت بحوالى ١٥٠ ألف نفس يعيش منهم ١٠ آلاف بالقاهرة وذكر مادن أن عددهم بالقاهرة كان يبلغ ٦ آلاف فقط ٠

وبالنسبة للأعمال التى كان يمارسها الأقباط فتنحصر غالبا فى الكتابة والزراعة وبعض الأعمال العادية اليدوية البسيطة كالتجارة والصناعة وعمل السواقى والطواحين (١١٦) ٠

وأضاف بورنج فى تقريره أن منهم من عمل فى مصانع النسيج التى أنشأها محمد على وقد قامت بجوار بطريركية الأقباط فى حى الأزبكية بالقاهرة عدة صناعات تتصل بالمسيحيين وطقوس الكنيسة مثل العمائم السوداء التى يلبسها رجال الدين الأقباط ونسج وحياكة الملابس الكهنوتية وملابس الشمامسة وصناعة الصلبان من الخشب المطعم بالصدف أو العاج والأبنوس أو من الفضة والذهب وصناعة الشمع الذى يوقد فى الكنائس (١١٧) ٠

وللأقباط مدارس عديدة ولكنها للصبيان فقط وقلة من القبطيات ممن يستطعن القراءة وهن نتلقين مبادىء التعليم بالمنزل ويتعلم الأولاد مزامير داوود والانجيل ورسائل الرسل باللغة العربية (١١٨) ٠

وكان الأقباط فى مصر عند مطلع القرن التاسع عشر يعدون أقلية لذلك كان يوجد نوعا من التميز أو التفريق بينهم وبين الأهالى فهم يرتدون زى خاص بهم له ألوان محددة ويقطنون حيا خاصا بهم فى القاهرة ولعل ذلك كان السبب وراء ادعاء بعض الكتاب بوجود اضطهاد للأقباط ومعاملة سيئة للغاية ولكن من يدقق فى حوادث ووقائع تلك الفترة لن يجد حادثة واحدة تدل على وجود اضطهاد أو قمع حقيقى تجاه الأقباط وغاية الأمر هو وجود نوع من التميز أو التفريق بين تلك الأقلية وبين مجموع الأهالى

(١١٦) يعقوب نخلة رفيلة ــ تاريخ الأمة القبطية القاهرة ١٨٩٨ ص ٣٢٧ ٠
(١١٧) محمد سيد كيلانى ــ فى ربوع الأزبكية القاهرة ١٩٥٧ ص ٨٧ ٠
(١١٨) أ٠ وليم لين ــ نفس المرجع ص ٤٥٣ ٠

وهذا يمكن ان نجده فى أى مجتمع آخر به أقليات ، وعند قدوم الحملة الفرنسية الى مصر كان بونابرت يبغى تحقيق أهدافه مما حدا به الى ان يدعى اسلامه على الرغم من أن المصريين لم يثقوا به ويصدقوا ذلك الادعاء (١١٩) ٠

Rellgion in The Middle East "Arberry editor".

وقد جاء فى كتاب العقيدة فى الشرق الأوسط أنه عندما وصلت اخبار الحملة الى القاهرة انتاب الأقباط حالة من الذعر والخوف من الاجراءات التى يمكن أن يتعرضوا لها من جانب القاهريين كالابادة أو استئصالهم نهائيا من القاهرة ويرجع الفضل الى ابراهيم بك فى منع وقوع مذبحة كبيرة لأقباط القاهرة وقد اتخذ الأقباط فى بادىء الأمر موقفا حذرا تجاه الحملة الفرنسية ثم بدأ التعاون يظهر تدريجيا بين رجال الحملة والأقباط حتى أنه قد تم تجنيد ما يقدر بنحو ٥٠٠ قبطى فى جانب الفرنسين وقد استعان بونابرت باقباط مصر لكى يعاونوه فى عملية جمع الضرائب التى يحتاج اليها وكان جرجس الجواهرى رأس هؤلاء الأقباط ويتضح من تاريخ الجبرتى ان حالة الأقباط قد تحسنت بشكل عام ابان الحملة الفرنسية حيث انهم كما يقول « أن الأقباط الآن يركبون الخيل ويرتدون الملونات وقد شكى كثير من المصرين الى نابليون لكى يأمر الأقباط بارتداء الزى الخاص بهم من عمامة وحذاء وخلافه كما أن الأقباط قد استطاعوا أن يتطاولوا على الأهالى بالسب والشتم بعد اخماد ثورة القاهرة الثانيه لذلك فاننا نجد خدم الأمراء ينغمون برفع أصواتهم ويلعنون النصارى الملاعين (الأقباط) والفرنسيين (١٢٠) وذلك عند جلاء الحملة عن مصر ٠

عادت مصر تحت حكم الأتراك برحيل الحملة الفرنسية عن مصر وفى فترة الانتقال أقامت القوات التركية فى حى الأقباط وأعطت لهم الحرية الكاملة للسلب والنهب والاغتصاب فى ذلك الحى وقد اتهم كثير من « الأقباط بالتعاون مع الفرنسيين وحكم على عدد منهم بالاعدام من قبل الباشا التركى ٠ وذكر الجبرتى أن الأوامر قد صدرت الى الأقباط بالعودة الى الزى القديم ٠

وفى عام ١٨٠٥ أعتلى محمد على ولاية مصر وفى اثناء حكمه تولى كثير من الأقباط مناصب عالية فقد كان محمد على يختار أكثر الرجال كفاءة وتأهيلا لكى يعينهم فى أعلى المناصب الحكومية بغض النظر عن انتماءاتهم

---

(١١٩) Rellgion in the Middle East «Arborry Eddilor» London 1969, -- p. 426.

(١٢٠) الجبرتى : عجائب الآثار ج ٢ ص ٣١٩ ، ٣٥٠ ٠

الدينبه أو الفودمه وحتى ان محمـــد على قد منح عدد من المسيحيين ألقـابا سرفية مثل بك أو باسا ولعده سنوات كان المعلم غالى المستشار المالى وكاتم سر محمد على كما أنه يعد رئيسا أو كبيرا للأقباط وكان من بين ممتلكاته ستون جارية بيضاء وسوداء وحبشية (١٢١) كما أنه فى عام ١٢٣٠ هـ ــ ١٨١٤ م التزم بأن يتولى دفع الجزية المفروضـــة على الأقباط الذين عجزوا عن تسديد ما عليهم (١٢٢) وفى عام ١٨٢١ أصدر محمد على أمرا باعدام المعلم غالى الذى أعدم فى حضور ابنه ويرجع السبب فى هذا الحكم كما يقول الجبرتى لاتهامه بالاختلاس ٠

وكان على رأس الأساقفة الأقباط فى مصر بين عامى ١٨٠٩ ، ١٨٥٢ م البطريرك مرقس السابع الذى كان يهتم بالتطورات الجديده التى فى مصر طوال مدة رئاسته كذلك كان يهتم برفع مستوى رجال الدين الأقباط وقد رحبت أديرة الصحراء القبطية بمحمـــد على الذى أعاد الأمن الى الصحراء والى الحالة الداخلية (١٢٣) ٠

واستمرت حالة الأقبـــاط فى تحسن خـــلال حكم محمد على حتى ان اسقف الأقباط قال « ان التحسن فى هذه الناحية لا يكاد يصدق اذا كانت العقيدة المسيحية فيما مضى تعرض صاحبها لمضايقات لا حد لها (١٢٤) ومن ذلك أيضا أن لسلطات كانت تصـــدر تراخيص بتعمير وترميم الكنائس بالقاهرة (١٢٥) غير ان محمد على لم يكن يتهاون فى انزال أشـــد العقاب بمن يخطىء أو يسىء عمله من الأقباط ومثال ذلك ما حـــدث للمعلم غالى كما ذكرنا آنفا كما أن الباشا كان يقوم بنفى أى رجل دين قبطى الى طور سيناء كما حدث فى نفى كريلوس يور غالى الى طور سيناء نفيا مؤبدا فى عام ١٢٥٨ هـ ــ ١٨٤٢ م (١٢٦) وان لم ترشدنا الوثيقة الخاصة بذلك عن الأسباب التى حدت بمحمد على لأن يقوم بهذا العمـــل ولعل من أهم الاجراءات التى اتخذهـــا محمد على للمساواه بين الأقبـــاط والمسلمين هى قيامه بتجنيد نحو ٤٠٠٠ شاب من الأقباط واليهود فى عام ١٨٣٢ والحاقهم

---

(١٢١) الجبرتى : عجائب الآثار جـ ٣ ص ٣١٢ ٠

(١٢٢) الجبرتى : عجائب الآثار جـ ٣ ص ٤٧٣ ٠

(١٢٣) Religion, p. 427.

(١٢٤) محمد فؤادى شكرى ــ بناء دولة مصر ص ٦٩٣ ٠

(١٢٥) سجلات المحكمة الشرعية محكمة الديوان العالى مسلسل ٧ ص ٩٧ مادة ٤١١ ٢٩ ذو القعده سنة ١٢٥٣ هـ ٠

(١٢٦) سجلات المحكمة الشرعية ــ محكمة الديوان العالى مسلسل ٧ مادة ٤٣٦ ص ١٦٨ أواخر الحجة سنة ١٢٥٨ هـ ٠

بالجيش (١٢٧) ومن المعروف ان الأقباط واليهود كانوا لا يلحقون بالجيش أو يجندون وقد جاء فى أمر محمد على الصادر فى ١٨٣٦ م الى حبيب أفندى لصرف ماهية ومرتب الى الأقباط الذين يأخذون للجهادية وعدم تحصيل ضريبة أو جزية منهم بعد الآن كالذين فى ترسانة الاسكندرية (١٢٨) غير ان محمد على أوقف تجنيد الأقباط واليهود بين عامى ١٨٣٨ ، ١٨٤٠ م ٠

أما عن نظام أحوالهم الشرعية والشخصيه من زواج وميراث ووصاية وغيرها فانه ترك لرجال الدين الأقباط الحرية فى تطبيق شرائعهم وقوانينهم على أبناء دينهم (١٢٩) أما الأحوال الجنائية والمدنية والادارية فانهم كانوا يخضعون للسلطات الحكومية فى تلك المسائل ٠

ومن المعروف أن الأقباط كانوا يقومون بدفع جزية بالاضافة الى الضرائب المفروضة عليهم وعلى المسلمين وكانت قيمة الجزية فى القاهرة تتراوح بين تسعة قروش ، ٣٦ قرشا على الفرد البالغ ، أما الضريبة فكان يدفعها المسلم والقبطى ونبلغ قيمتها ١/١٢ من قيمة دخله السنوى (١٣٠) أما عن المساواة الكاملة فى النواحى السياسية والمالية وحرية المعتقدات الدينية فقد تمت على مرحلتين الأولى فى نوفمبر ١٨٣٩ عندما صدر خط كلخانة بهذا الشأن ولكنه لم يطبق بشكل عام حتى صدر خط هميونى يكفل كل هذه الحقوق فى ١٥ فبراير سنة ١٨٥٦ م (١٣١) ٠

ولكن يلاحظ بصفة عامة فى أثناء حكم محمد على اكتساب الأقباط احساسا متزايدا بالهوية والشخصية وزادت مهاره ونشاط الأقباط فى مجالات الأعمال والتجارة والحرف ومما يلاحظ أن نسبة الأقباط الأغنياء والمتعلمين كانت أكبر من نسبتهم العددية الى السكان ٠

---

(١٢٧) هيلين ان ريفيلين ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى الاقتصاد والادارة دار المعارف ١٩٦٧ ص ٢٩٥ ٠

(١٢٨) أمين سامى تقويم النيل جـ ٢ ص ٤٧١ ٠

(١٢٩) سجلات المحكمة الشرعيه ـ محكمه الديوان العالى ـ مسلسل ٧ مادة ٢ ص ١ ٤ رجب سنة ١٢٥٤ هـ ٠

(١٣٠) أ٠ وليم لين ـ المصريون المحدثون ـ ص ٤٥٥ ٠

(١٣١) عزيز خانكى التشريع والقضاء المطبعة المصرية ١٩٤٤ ص ٤٤ ٠

اليهـود

لم تكن أوضاع اليهود عند مطلع القرن التاسع عشر بأحسن حالا من الأقباط وأن لم تكن أشد سوءا فاحتقار الأهالى لهم كان أكبر وأعظم وقد قدر وليم لين عددهم بنحو خمسة آلاف فرد وقدرهم كلوت بك بنحو سبعة الاف فرد ٠ ويسكن السواد الأعظم من يهود القطر المصرى مدينة القاهرة ولهم فيها حى خاص بهم ضيق الطرقـات مظلم قذر ملوث بالوساخـات المتخلفة وله أبواب خاصة يغلق بها فيحبس اليهود انفسهم فيه كلما ارادوا ذلك ليكونوا فى معزل عن بقية سكان المدينة ومنازلهم متلاحمة متراكمة الى بعضها رديئة التقسيم زرية الشكل (١٣٢) ومن عاداتهم لبس الثياب الرثة البالـيـة وعدم الاهتمام بها وان كانـوا يهتمون بنظافة وأناقة أثاث منازلهم من الداخل التى لم يكن مسموح للغرباء ان يدخلوها الا فى القليل النادر وهم لا يقيمون أية علاقات اجتماعية مع غيرهم من الطوائف ٠

ولليهود ثمانية معابد بمدينة القاهرة (١٣٣) وهم يدفعون جزية مثل الأقباط ٠ أما فى مسائلهم الشخصية والشرعية فقد ترك الحريـة لرجال الدين اليهودى فى تطبيق شرائعهم على أبناء جلدتهم أما باقى القوانين فقد خضعوا الى سلطة الحكومة وعرف عنهم أيضا انتشار الجهل بشكل واضح بينهم وشدة تعصبهم الدينى والمدارس الخاصة بهم كانت فى حالة سيئة ٠

أما عن أعمالهم فقد اشتهر أغنياؤهم بتسليف النقود بالربا الفاحش وغيرهم يزاولون بيع الأمتعة القديمة أو يتداخلون بين الباعة والمشترين

---

(١٣٢) كلوت بك ـ لمحة عامة ـ جـ ٢ ـ ص ٢٠٧ ٠

(١٣٣) Madden-Egypt and Ali-London, 1843, pogye 88.

لأداء مهنة السمسره أو يعملون بالصاغة ويعمل بعضهم بالبقالة وبيع الفاكهة والقليل منهم يحترف النجارة (١٣٤) وكذلك عمل اليهود باعمال الصيارفة ولكن عرف عنهم التلاعب بتداول النقود ببعض الزيادات ولما بلغ محمد على بذلك فأرسل يهددهم أما بالمعاملة الجيدة أو بالنفى خارج القطر (١٣٥) .

---

(١٣٤) كلوت بك ـ ج ٢ ص ٢١١ .

(١٣٥) دار الوثائق بالقلعة ـ دفتر ١٨ المعين التركى وثيقة ١٤ ـ ٢٩ صفر ١٢٣٩ .

الـرقيق

أنسب تصنيف للعبيد فى مصر القرن التاسع عشر هو ذلك الذى يتم طبقا لاون بشرتهم (الأبيض ـ البنى ـ الأســود) وطبقـا للجنس (ذكر / أنثى) وقد كان يحكم مصر لما يقرب من ٦٠٠ عام صفوة مختـارة من العســكريين الذين كانـوا عبيدا من ذوى البشرة البيضـــاء الا وهم المماليك٠٠وكثير من الذين كانوا يعيشون فى مصر مطلع القرن التاسع عشر والذين كانوا لايزالون يحكمونها بشكل جزئى قد ابيدو فى مذبحة كبرى نفذها محمد على فى مارس ١٨١١ ٠

وكان العبيد البيض يجلبون من مناطق مختلفة فى وسط آســيا مثل جورجيا واذربيجان وأرمنيا ومنغوليا وغيرها ٠٠٠ وكانت هنـاك فئة أخـرى من العبيد الذكور البيض ممثلة فى أسرى الحرب اليونانيين أسروا أثناء حملة ابراهيم باشا فى السنوات من ١٨٢٥ الى ١٨٢٨ ٠٠٠ وقد قدر عددهم فى عام ١٨٢٦ بثلاث آلاف و (بما فى ذلك النساء والأطفال) (١٣٦) وفى تقدير آخر وصل عددهم الى خمســة آلاف (١٣٧) بالاضـــافة الى ثلاثة آلاف أخرى قيل أنه تم شراؤهم عقب معركة نفــارين البحــرية (أكتوبر ١٨٢٧) وكانوا يباعون سرا بمعرفة من أسرهم الى تجـار العبيد الذين يقومون بدورهم ببيعهم (١٣٨) ٠

وفى أواخر العشرينات من القرن التاسع عشر بذل قناصل الجاليات الأوربية فى القاهرة محاولات لافتداء أولئك الذين لم يعتنق منهم الاسلام ٠٠ وفى ٧ ربيع الأول ١٢٤٤ هـ / ٣١ أغسطس ١٨٢٨ م صدر أمر من محمد على يشير بوصول اثنين من فرنسا لشراء الأسرى الأروام الموجودين طرف الأهالى بمصر والاسكندرية وانه يدعى البطريك فى أثناء البيع وهؤلاء

(١٣٦) محمد فؤاد شكرى مصر فى مطلع القرن التاسع عشر جـ ٢ ص ٣٥٧ ٠

(١٣٧) عمر الاسكندرى وسليم حسن نفس المرجع ص ٢٦ ٠

(١٣٨) ج ـ بير ـ نفس المرجع ص ٣١٨ ٠

من أسرى حرب مورة وغيرها (١٣٩) ٠

وفى أوقات الحرب اليونانية أحضرت كبير من اليونانيات أيضا الا أنه وبعد تلك الفترة الاخيرة كانت جميع الاناث من العبيد البيض فى مصر شركسيات وجرجيات من المستعمرات القوقازية والشركسية فى آسيا الصغرى (١٤٠) وكان أغنياء الأتراك يمتلكون الفتيات البيض تماما مثلما كانوا يمتلكون العبيد الذكور البيض حيث كان يوجد أكبر عدد منهن فى حريم أسرة محمد على ٠

والمحظيات الشركسيات كن يقمن بالاعمال الخفيفة مثل اعداد وعمل القهوة واعداد واشعال الشبك واعداد وجبات من الطعام من وقت لآخر بينما كانت العبيدات السوداوات يقمن بجميع الأعمال الصعبة وفى كثير من الحالات كان وضع الفتيات الشركسيات ينتهى غالبا بالزواج من سيدهن أو من ابنه (١٤١) الا ان التكلفة العالية للفتيات ذوات البشرة البيضاء قد جعلتهن بعيدات المنال بالنسبة للجميع باستثناء أغنى الشخصيات أما المصريون من الطبقة المتوسطة الذين كانوا يمتلكون محظيات فكان عليهم ان يرضوا بالموقع الثانى فى ترتيب الأفضلية أى كان عليهم أن يرضوا بالفتيات الحبشيات وبالنسبة للون ووضع هؤلاء الفتيات فقد كن فى وضع متوسط بين الفتيات البيضاوات والفتيات السوداوات ويوضح ذلك لين فيقول (وهن أنفسهن) يعتقدون انهن يختلفن بقدر يسير للغاية عن الفتيات البيض لدرجة انه لا يمكن اقناعهن بالعمل كخادمات واطاعة زوجات أسيادهن اما الفتيات السوداوات (أو الزنجيات) فيشعرن بنفس المشاعر تجاه الحبشيات الا انهن يرغبن تماما فى خدمة السيدات البيض (١٤٢) وكان هناك أيضا عبيد ذكور من الأحباش وان كان عددهم أقل من فتيات هذه الفئة وأخيرا فقد كان هناك أيضا عبيد من نوع آخر لا هم بالبيض ولا هم بالسود الا وهم أطفال العائلات المصرية الفقيرة الذين كانوا يباعون أحيانا بمعرفة آبائهم وأمهاتهم فيصبحون عبيدا ٠ الا ان غالبية العبيد فى مصر كانوا عبيدا من السود الذين جلبوا من أماكن مختلفة من افريقيا سواء كانوا ذكورا أو اناثا وكانوا يستخدمون فى خدمة المنازل حيث كانوا يؤدون الأعمال الصعبة ـ أما

---

(١٣٩) امين سامى تقويم النيل جـ ٢ ص ٣٣٧ ٠

(١٤٠) ادوارد لين المصريون المحدثون ص ١٩ ٠

(١٤١) ج ٠ بر ـ دراسات فى التاريخ الاجتماعى ص ٣٢٠ ٠

(١٤٢) ادوارد لين نفس المرجع ص ٢٠ ٠

الأسر التي كانت تحتفظ بالعبيد والخدم الأحرار في آن واحد فانه في هذه الحالة كان الخدم الأحرار هم الذين يقومون بأحط الأعمال (١٤٣) .

ولكن على الرغم من ذلك فان وضـــع العبيد داخل الأسرة لم يكن يعد في مرتبـة أدنى من باقي أفراد الأسرة فان جيرار كان يعتبر العبودية في مصـــر بمســـابة نوع من التبني كمـــا ان الجواري كن يرفضن الحريه ويتمسكن بالحياة داخـــل الأسرة التي تمتلكهن (١٤٤) وقد يكون ذلك راجعا من ناحيه الى تعاليم الاسلام التي تحض على معامله الناس سواسيه ومحاربة التميز بين الأفراد بغض النظر عن الجنس واللون وخلاف ذلك ومن ناحية أخرى يرجع الى ان العبيد كانوا يجدون في المنزل الذي يأويهم ملاذا لهم ووسيلة لكسب الرزق وظروف معيشية أفضل مما كان يجدون في بلادهم الأصلية ومع ذلك نجـــد بعض الوثائق التي تدل على أن بعض العبيد يتم عتقهم واطلاق حريتهم (١٤٥) وبالاضـــافة الى الأعمال المنزليه فان العبيد السود عملوا في مجالات أخـــرى مثـــل الجيش والصناعة والزراعة .

ونلاحظ ان الجيش قد استـأثر بالغالبية العظمى من اعداد السود المجلوبين الى مصر خـــلال عهد محمد على الذي كون منهم في بداية الأمـــر الايان يتألف الواحد منهم من ثلاث أورط (كتيبة) وقد تكونت الأورطة الواحـــدة من ثمـــانية بلوكات وهـــذان الايان تحمـــلان الرقمـــين التاسع والعاشر (١٤٦) .

والى جانب الأعمال السابقة عمل العبيد السود في المصانع العديدة التي أنشأها محمد على فعملوا في مصـــانع البنادق والمدافـــع والبارود والحدادة والمهمات كما عمل النساء منهن في مصنع النسيج الذي انشيء في القلعة (١٤٧) ، كما ان بعض العبيدات السوداوات الحقن بمدرســة الولادة عند افتتاحها لتعلم الولادة ومباشرة ذلك في المستشفى .

---

(١٤٣) ادوارد لين ـ نفس المرجع ـ ص ٢١ .

(١٤٤) جيرار دى نرفال ترجمة كوثر عبد السلام بحيرى رحلة الى الشرق دار الكاتب العربي ١٩٦٦ ـ حـ م ـ ص ٢٩٧ .

(١٤٥) سجلات المحكمة الشرعية محكمة الباب العالي مسلسل ٣ مادة ٤٧٩ ص ١٧٤ ٢٤ صفر ١٢٢٨ هـ .

(١٤٦) محمود السروجي الجيش المصري في القرن ١٩ دار المعارف ١٩٦٧ ص ٣٦٨ .

(١٤٧) السيد يوسف نصر الوجود المصري في افريقيا دار المعارف ١٩٨١ ص ٤٦ .

(١٤٨) ج. بيير ـ نفس المرجع ص ٣٢٥ .

وبالاضافة الى استخدام العبيد في منافع عملية فان امتلاكهم كان يستخدم كرمز ودليل على الوضع الاجتماعى المرموق حتى ان امتلاك عبد واحد يعد من الأمور الضرورية التى تؤدى الى الاحترام بين الجيران. ومن المحتمل ان يكون هذا الاحترام الاجتماعى متعلقا بالتقاليد والعادات ونجد على مبارك فى مؤلفه الخطط التوفيقية كلما يريد ان يركز على الأهمية الاجتماعية للأعيان فانه يؤكد ان من بين أتباعهم والموالين لهم كان يوجد عدد كبير من العبيد ٠ واذا كان امتلاك أنواع معينة من العبيد مثل العبيد البيض والطواشين الذين سيأتى ذكرهم ٠٠ كان قاصرا على أغنياء القوم فان العبيد السود كانوا يمتلكهم جميع فئات المجتمع لرخص أثمانهم وقلة تكاليفهم ولم يكن امتلاك العبيد قاصرا على المسلمين بل امتد أيضا الى الأقباط واليهود والأوربيين الذين أقاموا بمصر وكان من بين الأجانب الذين امتلكوا عبيدا القنصل الفرنسى (١٤٨) ٠

هذا وكان هناك عبيد سود من نوع خاص الا وهم الخصيان أو الطواشيون وكان هذا النوع موجود فقط لدى أسرة محمد على والأسر الثرية فى مصر (١٤٩) وقد أوكل الى هؤلاء الطواشين عمل خاص وهو حراسة وخدمة الحريم ونزلائهم من النساء كما الحق محمد على عدد منهم بمدرسة الطب عند افتتاحها لكى يتولوا معالجة ورعاية النساء المرضى (١٥٠) ٠

وفى أوائل القرن التاسع عشر كان يتم سنويا تطويش عدد يتراوح من مائة الى مائتى صبى ويقول كلوت بك ان نظام الجب لا يطبق اليوم الا فى مصر وحدها التى تورد الخصيان لخدمة الحريم حتى جعلت من هؤلاء العبيد تجارة رائجة شجعها على مزاولتها غلاء أولئك التعساء وتعتبر مدينة أسيوط وجرجا فى مصر المختصين بمزاولة عملية الجب وخاصة فى قرية زاوية الدير قرب أسيوط وكان يقوم بها القساوسة الأقباط ثم يصف كلوت بك عملية الجب ان العملية تتم فى فصل الخريف باعتباره أنسب الفصول لاجرائها وتتم باستئصال أعضاء التذكير بموس ثم يصبون على الجرح زيت مغلى ثم توضع أنبوبة فى الفتحة الباقية من القناة البولية ثم يرش مسحوق الحناء فوق الجرح ثم يدفن الصبى حتى بطنه فى الأرض لمدة ٢٤ ساعة وبعد استخراجه يدهن الجرح بمرهم من الطمى والزيت (١٥١) ٠

---

(١٤٩) لوليم لين ـ نفس المرجع ص ٢٠ ٠
(١٥٠) امين سامى تقويم النيل ـ جـ ٢ ص ٣١٥ ٠
(١٥١) كلوت بيك ـ نفس المرجع جـ ٢ ص ٣٩٢ ٠

هذا ويذكر بورنج فى تقريره أماكن أخرى نجرى فيها عملية الجب على يد رجال آخرون حيث يقول (أبلغن مستر هوكرديو أن خصى الأولاد الذين يخدمون السيدات التركيات في الحريم يجرى فى كردفان على نطاق واسع ومن أهم الذين يقومون بهذا العمل شقيق ملك داوفور السابق) (١٥٢) .

ثم يضيف أنه قد سمع ان بعض الأوربيين يقومون باجراء تلك العملية فى الحبشة ومناطق أخرى ، وقد قدر بورنج عدد العبيد الطواشين فى العام بحوالى ٣٠٠ صبى وكان الصبى الخصى يساوى ضعف ما يساويه غير الخصى اذا كانا فى سن واحدة وظروف متشابهة **اما عن أثمان العبيد فكانت على النحو التالى :**

		قرش		قرش
الغلام المراهق سليم البنية	: من	٤٠٠	الى	٥٠٠
الغلام العادى	: «	١٥٠	«	٣٠٠
الذكر من الدنكا	: «	٧٠	«	١٠٠
الولد الحبشى	: «	٦٠٠	«	١٠٠٠
الفتاة فى سن المراهقة	: «	٢٠٠	«	٤٠٠
المرأة من الدنكا	: «	١٠٠	«	٢٠٠
البنت الحبشية	: «	٦٠٠	«	١٥٠٠(١٥٣)

وقد ذكر الرحالة الأوربيون أثمانا أخرى للعبيد في مصر ولكنها لا تختلف كثيرا عما ذكره بورنج .

أما عن عدد العبيد فى مصر فانه من المستحيل على الاطلاق تحديد عدد العبيد على وجه الدقة فى أى وقت خلال تلك الفترة ، وقدر عددهم فى الفترة من ١٨٣٨ الى ١٨٤٠ بانه يتراوح بين ٢٢ الف ، ٣٠ الف مقسمين كالتالى من ٤٫٥٠٠ الى ٥٫٠٠٠ ذكور من ذوى البشرة السوداء ومن ١٢٫٠٠٠ ــ ٢٠٫٠٠٠ زنجيات واناث حبشيات ومن ٢٫٣٠٠ الى ٤٫٠٠٠ ذكور ذوى البشرة البيضاء ٣٫٠٠٠ اناث ذوى بشرة بيضاء (١٥٤)

(١٥٢) محمد فؤاد شكرى بناء دولة مصر ص ٥٧٥ نقلا عن تقرير بورنج .

(١٥٣) محمد فؤاد شكرى بناء دولة مصر ص ٥٥٧ نقلا عن تقرير بورنج .

(١٥٤) ج بير نفس المرجع ج ٢ ص ٣٢٥ .

تجـــارة العبيد :

كان العبيد البيض فى القرن التاســـع عشر يجلبون الى مصر من الأراضى الواقعة على الشاطىء الشرقى للبحر الأسود الجركسى + جورجيا، ومن المستعمرات الشركسية فى الأناضول عن طريق اســـتانبول وكان بعضهم يختطف عن طريق غارات منظمة • كما كان البعض الآخر يؤخذون كأسرى فى الحروب الدائرة بين العشائر المتنافسة الا أن معظمهم كانوا يشترون كأطفال من آبائهم الذين كانوا يبيعونهم بهدف تحسين أحوالهم المعيشية ولذلك فان كثيرا من الفتيات الشركسيات كان يتـم بيعهن فى أوقات الهجرات الكبرى الى تركيا خلال أواخر الخمسينات اذ أن تجـــار العبيد والكثيرين منهم كانوا متعهدين أو خدم للبكوات المحليين فى ولاية طرابزون ينقلونهن على انهن زوجـات لهم الى اســـتانبول وهناك يبيعوهن سرا لبعض النساء ـ بعضهن من الطبقات العليـا فى المجتمع اللائى كن يتعهدن بتعليمهن فكن يتلقين دروسا دينية ويتعلمن القـــراءة دون تعلم الكتابة ، واشغال الابرة والتطريز مع تعلم الموسيقى فى بعض الأحيان وبعد فترة من التعليم كان يتم بيعهن بشكل مباشر الى والى مصر أو يتم بيعهن عقب نقلهن الى مصر (بصحبة طواشين يعمل على الحيلولة دون تفتيشهن عن طريق الادعـاء بانهن الحريم التابع لاحـــدى الشخصـيات الهامة) لأعيان آخرين كانوا قد طلبـوا شراءهن أو لتجار يحتفظون بهن فى بيوت خاصة حيث يتم عرضهن على مشترين مرتقبين •

وقد تدهورت هذه التجارة خلال القرن التاسع عشر نتيجة للتوسع الروسى ونضال الشراكسة المستمر ضــد روســـيا فولاية المستعمرات الشركسية فى الأناضول أصبحت هى المصـــدر الرئيسى المتبقى للامداد بالعبيد (١٥٥) •

أما العبيد السود الذين كانوا يجلبون من أفريقيا فهناك عدة مناطق رئيســية لجلبهم وأهم تلك المناطق هى دارفور (١٥٦) بالنسبة لكميــة الامداد السنوى أو مداومة الانتاج طوال القرن وكانت قافلة دارفور تسلك الطريق المباشر الى أسيوط عن طريق واحة باريس وواحة الخارجة •

وكانت ســـنار (١٥٧) هى مركز الامداد التـــانى الذى يمد مصر بقوافل عبيد منتظمة وكان طريق هذه القافلة من سنار الى بربر ثم ابريم

---

(١٥٥) ج بير نفس المرجع ص ٣٢٦ •

(١٥٦) علماء الحملة ـ ترجمة زهير الشايب وصف مصر مطبعة الخانكى ١٩٨٠ جـ ٤ ص ٢٦٠ •

(١٥٧) علماء الحملة ـ ترجمة زهير الشايب جـ ٤ ص ٢٧٢ و ٣٨٩ •

ثم دراو واسنا وهناك منطقة نالتة تقع بين المنطقتين السابقتين فى دنفله حيث توجد قبائل الشيلوك والدنكا وكان تجار العبيد يقومون بصـــيد وقنص العبيد من تلك المنطقة ونقلهم الى مصر ٠

أما المنطقة الرابعة التى كانت تمد مصر بالعبيد فهى بورنو جنوب غرب بحيرة تشاد ٠ والى الجزء الشرقى من تشاد الحديثة ، وكان العبيد من هذه المنطقة يجلبون الى مصر عن طريق ليبيا والصحراء الغربية ومن المحطات الرئيسية لتلك القافلة واحة كفرا وواحة جـالو فى ليبيا وواحة سيوة وكرداسة وأبو رواش فى الجيزة ٠

وأخيرا نجد ان الأحباش العبيد من الساحل الشرقى لأفريقيا كانوا يجلبون الى مصر عن طريق مينـاء سـاساوا وميـنـاء زيلع بالقوارب عبر البحـر الأحمر وأحيـانا عن طـريق جـدة الى أن يصـلوا بالقـرب من السويس (١٥٨) وبالاضافة الى طرق جلب العبيد التى قام بها تجار العبيد فان محمد على بعد ان تم له فتح السودان لعب دورا كبيرا فى جلب العبيد الى مصر عن طريق الصيد أو الشراء أو نظام الفردة أو الضرائب ٠

وكان أول هذه الطرق الصيد وتتم بمهاجمة قوات محمد على لقبائل الســودانيين فى مكان وذلك لالقاء القبض على العدد المطلوب من العبيد السود بعد ذلك يتم ارسالهم الى مصر ويتضح ذلك جليا من أحد خطابات محمد على الى حاكم السودان الذى جـاء فيه (٠٠٠٠٠ فارنى همتك فان أعز مطلوبنا هو ان تشدوا الرحال وتشمروا عن ساعد الجد نافرين بهمة واقدام الى مهمة جلب العبيد ٠٠٠ بل نطلب ان تذهبوا الى كل صـــوب وجهـة بمزيد من الجد والاقدام فتنقضوا وتضربوا وتأخذوا ما ينفعنـــا ويوافق عملنا ٠٠) (١٥٩) ٠

ويبدوا أن عمليات الصيد التى قامت بها قوات محمد على قد أضرت بالأحوال الاقتصادية بالسودان وأدت الى انتشار الفوضى والذعر بين الأهالى مما دعا محمد على أن يستبدلها بطريقة أخرى وهى الشراء ٠٠ فقد طلب محمد على من ناظر مصلحة أسوان ان يقوم بشراء العبيد السـود وخاصة الذكور منهم من تجـار الجلابة القادمين من دارفور وطلب أن يترك النساء والمسنين والصبيان وكانت طريقة الشراء أن يقوم ناظر مصلحة أســوان اما بشراء العبيد من التجار باثمانهـــم الأصليـــة واما أن يقايضهم على ما معهم من عبيد ذكور بالجوارى ويدل على ذلك بما ورد فى احدى خطابات

---

(١٥٩) السيد يوسف نصر ـ نفس المرجع ص ٣٦ ٠

(١٥٨) ج ٠ بير ـ نفس المرجع ص ٣٢٨ ٠

محمد على الى ناظر مصلحة أسوان الذى جاء فيه (حاصل القول يا ولدى ان المصلحة تقتضى المتاجرة مع جلابى دارفور بمبادلة العبيد بالجوارى) .

الى جانب عمليات الشراء هذه استخدم محمد على طريقة أخرى تتمثل فى نظام الفردة الذى كان يعتبر نوعا من أنواع الضرائب المعروفة بالسودان فقد قرر محمد على أن يحصل على عبد واحد مقابل الفردة المقررة على كل خمس سواقى ومن المرجح أن هذه الطرق الثلاث التى استخدمها محمد على فى جلب العبيد السود لعبت دورا كبيرا فى جلب أكبر عدد ممكن من هؤلاء العبيد السود اللازمين لمشروعاته العسكريه والاقتصادية وقد اختلفت التقديرات فى عدد العبيد المجلوبين من السودان فقد قدرهم مكى شبيكة بـ ٤٠٠٠ عبد يتم جلبهم من السودان كل عام الى مصر والحجاز (١٦٠) .

وفى عام ١٢٥٨ هـ / ١٨٤٢ م أصدر محمد على أمرا بانشاء جمرك للعبيد فى أسيوط وذلك لأن بعض الجالبين كانوا لايعرجون على جمرك أسوان (١٦١) .

ولم يقتصر بيع العبيد فى مصر وحدها بل كان يتم تصدير عدد منهم الى الاستانة (١٦٢) .

وكان تجار العبيد فى مصر ينقسمون الى فئتين : التجار الذين يشتغلون بتجارة العبيد السود (الجلابة) والتجار الذين يشتغلون بتجارة العبيد البيض (اليسرجية) (١٦٣) وقد ظل تجار العبيد منقسمين الى تلك الفئتين طوال تلك الفترة كما انهم كانوا ينضمون تحت طائفة خاصة بهم شأنهم فى ذلك شأن أصحاب المهن والحرف والأعمال فى ذلك الوقت ، وفى أوائل القرن التاسع عشر كان هناك فى القاهرة وكالة للجلابة التى وصفها بورنج بقوله (وفى الساحة الوسطى من السوق تجلس القرفصاء جماعات كبيرة من الرقيق الأسود أغلبها من الأطفال وتحيط بالساحة مساكن عادية يقيم بها الشباب وأغلبه من النساء أما اللواتى يصلحن للحريم من الرقيق الأبيض فيأوين الى مساكن خير منها) (١٦٤) ، غير ان حالة الوكالة بصفة عامة كانت سيئة وتعانى

---

(١٦٠) مكى شبيكة بالسودان فى قرن مطبعة لجنة التاليف والنشر ١٩٤٧ ص ١٢ .

(١٦١) دار الوثائق القلعة ـ دفتر رقم (٤) ديوان التجارة والمبيعات بتاريخ ٤ محرم ١٢٥٨ هـ .

(١٦٢) محمد فؤاد شكرى نفس المرجع ص ٣٣٣ نقلا عن تقرير دوهامل سنة ١٨٣٧ م .

(١٦٣) ج بير نفس المرجع ص ٣٣٠ .

(١٦٤) محمد فؤاد شكرى نفس المرجع ص ٥٧٠ نقلا عن تقرير بورنج .

كثيرا من الاهمـــال وعدم النظافة كذلك كان حـــال الرقيق الموجـود بالوكالة (١٦٥) وفى عام ١٢٣٥ هـ / ١٨٢٠ م قام محمـد على باحتكار التجارة مع السودان واستولى على وكالة الجلابة فى القاهرة (١٦٦) ولكن عندما الغيت احتكاراته أرجع النظام القديم الى ما كان عليـه بيما عدد الوكالات قد ازداد ، وقد أدى ذلك الى اصدار محمد على أمره فى سبتمبر ١٨٤٢ بنقل بيع العبيد الى منطقة تقع بجوار ضريح قايتباى عند مشارف القاهرة (١٦٧) وكانت القاهرة هى المستودع الكبير والرئيسى لتجـــارة الرقيق فى مصر وان شـــاركتها بعض المدن فى ذلك منـل الاسـكندرية وطنطا وخاصة أثناء مولد السيد البدوى •

محاولة الغاء تجارة العبيد فى عهد محمد على :

ان الرقيق وتجارة الرقيق فى مصر كان لها مؤسسات جيدة التكوين بحيث كان من الصعب على محمد على حتى اذا أراد أن يلغيها •

ومع ذلك قد بذلت محاولات كثيرة لالغـاء الرق بمصر منذ منتصف الثلاثينات حتى توقيع اتفاق الغاء تجـارة العبيد بين مصر وانجلترا فى ٤ أغسطس ١٨٧٧ بالاسكندرية •

ففى عام ١٨٣٦ وجه القنصـــل الجنرال الروسى دوهامل (١٦٨) استفسارا للباشا محمـد على عن الغـاء سلطة السيد على العبد من ناحية القتل وسوء المعاملة • ولقد فكر محمـد على فى انه يجب فعل شىء ازاء العبيد الرجال ولكنه لم يفكر فى أى شىء ازاء العبيد النساء وذلك من ناحية سوء المعاملة وقد قال محمد على ان الحريم يعد مكان مقدس لا يمكن لأى أحد غريب ان يدخله وهذا هو أساس الموضوع • ان تجارة العبيد هى أحد خطوط التجارة فى البلاد التى يحكمها محمـد على وعملية جلب العبد كانت تتم على فترات وذلك من السودان والبـــلاد الواقعة جنوب السودان وهؤلاء العبيد كانوا يحملون فى قوافل ذات حجم مناسب •

كما أن الاحتلال الروسى لمنطقة جورجيا وغيرها أدى الى انخفاض عدد العبيد المجلوبين الى مصر •• وقد أصبحت المشكلة أكثر سوءا وذلك لأن تنظيمات الحكومة المصرية فى ذلك الوقت سمحت للأوربيين بالسفر داخل السودان بكل أمان فعلى ســـبيل المثال الطبيب الكريتى هو لوريود ذكر تفاصيل دقيقة عن عمليـــة اصطياد العبيد وعن كيفية معاملتهـــم وكذلك ما فعله بالمريستون من اثارة الرأى العــــام الانجليزى ضـــد حـــكومة

---

(١٦٦) أمين سامى حـ ٢ تقويم النيل ص ٢٨٦ •

(١٦٧) ح بيير — نفس المرجع ص ٣٣٣ •

(١٦٨) Dodwell op. cit., p. 230.

محمد على (١٦٩) وبعد الزيارة التى قام بها محمد على الى اقليم السودان ١٨٣٨ اتخذ اجراءات من شأنها الحد من تجارة العبيد هناك ٠

فقد أصدر أمرا جاء فيه (لهذا آمركم بأن تكفوا في المستقبل القريب عن اعطاء العبيد الى الضباط والجنود وغيرهم من المواطنين لقاء مرتباتهم واعلم أننى لا أحب أن أجنى منفعا من تجارة لاتشرفنى بل اننى على استعداد لأن أحتمل بعض التضحيات التى قد يتطلبها ابطال هذه التجارة) (١٧٠) ٠

ومع ذلك فان قوات محمد على بالسودان استمرت فى جمع العبيد وارسالهم الى مصر للالتحاق بالجيش وكان محمد على يرد على احتجاج انجلترا فى هذا الشأن (بانه قد يحدث عصيان من بعض القبائل أو تعدى من قبيلة على أخرى فتزحف الجنود بالضرورة ومن أسر من الصبيان والنسوة يرد لأهله ومن كان فى سن التجنيد يدخل فى سلكها ولا يعامل معاملة الرق بل يتمتعون بكامل حريتهم ولا يمنعون من التزوج مثل الجنود المجندة من الأهليين (١٧١) وقد عقد فى انجلترا فى أواخر الثلاثينات مؤتمر لمقاومة الرق أخذ يتابع مسائلة الرقيق بمصر والخطوات التى تتخذ بصددها وقد أرسل المؤتمر فى أغسطس ١٨٤٠ خطابا الى محمد على يعبر فيه المؤتمر عن اقتناعه القوى بالدور الذى قام به محمد على خلال غزوته فى افريقيا الشرقية وذلك بتحذيره الشفوى لقواته وجنوده بأنهم يمتنعوا عن عمليات جمع وخطف العبيد ويرجو منه بذل مزيد من الجهد (١٧٢) ٠غير ان تلك الجهود لم يقدر لها النجاح خلال عهد محمد على بالغاء الرق وتجارته في مصر ولعل تزعم انجلترا لهذه الحملة الكبيرة ضد تجارة الرقيق يحمل بعض البواعث السياسية التى تتخفى وراء دوافع وأهداف انسانية ٠٠ فانجلترا كانت تتزعم فى ذلك الوقت حركة مقاومة توسع محمد على فى الشام والأناضول لتأييد الباب العالى ضده وهذا بينما كانت فرنسا تؤيد محمد على ولهذا وجدت انجلترا في مكافحة الرقيق فى مصر ثغرة تنفذ منها الى بسط نفوذها فى مصر ومكافحة النفوذ الفرنسى فى بلاط واليها التركى ، كما ان الانجليز أنفسهم كانوا يتاجرون فى الرقيق الأسود فى نفس مستعمراتهم فى غرب أفريقيا حتى عام ١٨٣٨ م (١٧٣) أى فى نفس الوقت الذى كانوا ينادون فيه بمحاربه الرق فى مصر ٠

---

(١٦٩) Dodwell — aibid — p. 232.

(١٧٠) محمد فؤاد شكرى نفس المرجع ص ٥٨٢ نقلا عن تقرير بورنج ٠

(١٧١) مكى شبيكة ــ نفس المرجع ص ٥٠ ٠

(١٧٢) Madden op. cit., p. 110.

(١٧٣) محمود عبد الحميد حياة الأتراك الاجتماعية رسالة جامعية غير منشورة ٠

الأجانب

من أبرز التطورات التى شهدتها مصر خلال عهد محمد على ازدياد عدد الاوربيين بشكل ملحوظ فى البلاد وتغلغلهم فى مختلف جوانب الحياة ولاشك ان ذلك لعب دورا كبيرا بالاضافة الى البعثات العلمية التى أرسلها محمد على الى أوربا فى الامتزاج والاحتكاك بين التراث والتقاليد والفكر المصرى العربى الاسلامى وبين الحضارة والثقافة الأوربية مما أدى الى بداية التأثر ونقل العلوم والفنون الأوربية وكذلك الى نشأة الصراع بين التقليديين والمجددين ولقد قدر عدد الأوربيين فى مصر عند بداية عهد محمد على بنحو ٣٠٠٠ شخص أجنبى وبلغت التقديرات فى عام ١٨٣٣ م الى ٤٤٨٦ شخص وفى عام ١٨٣٥ تم تقديرهم بنحو ٥٠٠٠ شخص (١٧٤) وقدر عددهم فى عام ١٨٤٣ م بنحو ٦١٥٠ شخص منهم ٢٠٠٠ يونانى ، ٢٠٠٠ ايطالى ، ١٠٠٠ ملطى، ٨٠٠ فرنسى ، ١٠٠ انجليزى، ١٠٠ نمساوى، ٣٠ روسى ، ٢٠ اسبانى ومائة شخص من جنسيات أخرى (١٧٥) وان كانت هذه الأرقام تعتمد على التقديرات فانها تعطينا مؤشرا بأن عدد الأوربيين فى مصر كان يتزايد باستمرار ذلك فى تلك الفترة ويرجع ذلك الى عدة أسباب أهمها الامتيازات الأجنبية التى منحتها الدولة العثمانية لبعض الدول الأوربية التى كانت متحالفة معها فى وقت الأزمات ففى عام ١٥٣٥ م تعاقدت الدولة العثمانية مع فرنسا على عمل معاهدة تجارية حررت بين السلطان سليمان الأول وفرنسوا الأول ملك فرنسا وكان مضمونها التأمين على أرواح الفرنسيين وتجارتهم . وقد ظل تجديد هذا التعاقد الى ان عقدت معاهدة ١٧٤٠ م بين السلطان محمود الأول ولويس الخامس عشر ملك فرنسا وصارت هى صاحبة الشأن فى حماية الأجانب

---

(١٧٤) محمد فؤاد شكرى ـ بناء دولة مصر محمد على ص ٤ ٢ .

(١٧٥) أحمد الحتة ـ الأجانب فى مصر والسودان مستخرج منه مجلة الاقتصادى والادارة العدد الثانى .

الذين يلجأون اليها وحذت الدول الأخرى حذو فرنسا فى عقد هذه المعاهدات المعروفة باسم العهود نامات وأخذت الامتيازات تزداد شيئا فشيئا (١٧٦) فعلى سبيل المثال . حصلت النمسا فى عام ١٥٦٧ م وانجلترا فى عام ١٥٩٢ م مثل ما حصلت عليه فرنسا (١٧٧) . وكانت هذه المعاهدات نافذة على مصر بوصفها جزء من الدولة العثمانية خاصة ان الفرمان الصادر لمحمد على باشا فى أول يونيه ١٨٤٠ م اشترط فيه مراعاة المعاهدات الموجودة .

واذا كانت تلك الامتيازات سهلت قيام الازدهار التجارى فى تركيا أول الأمر فقد كانت فى الحقيقة وسيلة استفادت بها القوى الأوربية بعد ذلك لممارسة الضغط المتزايد على الامبراطورية العثمانية .

وشملت هذه الامتيازات جوانب مالية وقضائية فقد قضت معاهدة ١٧٤٠ باعفاء الفرنسيين والمستخدمين لدى القناصل من دفع أى خراج أو أية جزية ولم يفرض عليهم سوى بعض الرسوم الجمركية وقد تراوحت فى مصر خلال عهد محمد على بين ٣٪ و ٥٪ وقد زادت أهمية هذه الامتيازات بعد صدور فرمان ١٨٦٧ وآخر ١٨٦٩ جعلا الأجانب مساويين للعثمانيين فى حقوق تملك العقارات والصرف فيها وذلك فى جميع الممالك العثمانية ما عدا الحجاز ولكن محمد على كان قد سمح للأجانب ١٨٤٢ بحق تملك الأطيان والعقارات (١٧٨) .

وبمقتضى الامتيازات القضائية كان لايجوز لرجال الحكومة المحلية ان يدخلوا منزل أجنبى الا برضاه وهذا طبقا للمعاهدة المحررة ١٧٤٠ فقد جاء فى البند (٧٠) منها ما يأتى :

« ليس لمامورى المحاكم ومامورى بابنا العالى ورجالنا المسلحة أن يدخلوا قهرا وبدون سبب يوجب الى بيت يسكنه فرنساوى واذا وقع ما يوجب الدخول الى هذا البيت تعلن الكيفية للسفير أو القنصل ، اذا كان منهم أحد فى محل الواقعة ويسار الى ذلك البيت مع من (١٧٩) يعين من قبل السفارة أو القناصل ، على أن من خالف هذا الحكم يعاقب على مخالفته كذلك قد منح الأجانب امتيازات قضائية أخرى جعلتهم غير خاضعين للقضاء الوطنى ، ولقد تمتع الأجانب فى مصر بالامتياز القضائى طوال العهد العثمانى ، على نحو أوسع مما كانت عليه الحال فى الدولة العليا نفسها فالنزاع ولو كان متعلقا بعقار يفصل فيه القنصل التابع له

(١٧٦) أحمد قمحة ــ نظام القضاء والادارة مكتبة الهلال ١٩٢٥ ص ٥٧ .
(١٧٧) أحمد صادق سعد ــ تاريخ العرب الاجتماعى ص ٦٤ .
(١٧٨) عزيز خانكى ــ التشريع والقضاء ص ٣٦ .
(١٧٩) أحمد قمحة : نفس المرجع ص ٥٨ .

الأجنبى المدعى عليه ٠ والاجانب المتحدى الجنسيه يفصـل فى منازعنهم قناصلهم لا المحاكم الوطنية ، أيا ما كان نوع القضية ٠ وهم كانوا يحاكمون عما يرتكبون من جرائم فى البلاد أمام هؤلاء القناصـل ولو كان المجنى عليه فيها من المصريين (١٨٠) كذلك سمح للأجانب بحق الدخول والافامه بمصر دون قيد أو شرط ولم يبدأ بوضع نظام خاص لهجرة الأجانب الى مصر الا فى عام ١٨٥٧ م كما تمتع الأجانب فى مصر طوال عهد محمد على بحرية المعتقدات الدينية وكانت الاوامر تصدر فى ذلك الوقت ببناء أو تعمير الكنائس التابعة للطوائف المسيحية الأجنبية ومثال ذلك ما حدث بالتصريح لتعمير بطرخانة الأرمن الكائنة بحارة زويله فى عام ١٨٣٧/١٢٥٣ (١٨١) وكذا الترخيص بترميم الكنيسة الخربة بجهة الحمزاوى التابعة لطائفـه الأروام فى عام ١٢٥٤ هـ / ١٨٣٨ م (١٨٢) وأيضا رخصة بتعمير كنيسة النصارى الكاثوليك (١٨٣) فى عام ١٢٥٥ هـ / ١٨٣٩ م ومما سـاعد أيضا على كثرة دخول الاجانب الى مصر استتباب حالة الأمن بصفة عامه فى البـلاد (١٨٤) كما أن محمـد على اعتمد فى تطوير جيشه وادخال الصناعات الحديثة والتعليم ومختلف الشئون الحكومية فى بادىء الامر على الأجانب الذين تدفقوا على مصر من أجل حياة أفضل أو مستوى معيشة أعلى وذلك قبل ان ينبع محمد على سياسة احلال الوطنيين محل الأجانب وبهذا شهدت البلاد هجرة الألوف من الأجانب لمصر لطلب الرزق من كل الوجـوه للاستيطان الدائم وقدم الى مصر المهندس والطبيب والصحفى والمعلم للعمل الحر أو فى خدمة الحكومة وكذلك جاء صاحب الحانوت الصغير والكبير وصاحب المصنع الصغير والكبير ورجال الأعمال ، وانتشر الأجـانب فى ريف مصر وحضرها واقتنوا العقارات بهذا كله أصـبح للجاليات شأن فى حياة مصر لم تعـرفه قبل محمـد على ٠ وقد أدرك محمد على ما فى هذه المخالطة من نفع لخططه المختلفة لرقى البلاد ، واعتقد محمد على ان سطوته الشخصية تغنى عن وضـع اتفاقات دولية جديدة تنطبق على الظروف الجديدة وتقى أمته وخلفاءه الأضرار البالغة التى نجمت

---

(١٨٠) شفيق شحاته : تاريخ حركة التجديد فى النظم القانونية دار احياء الكتب العربية ١٩٦١ ص ٤٨ ٠

(١٨١) سجلات المحكمة الشرعية ـ محكمة الديوان العالى مسلسل ٧ ص ٨٧ مادة ٣٦ فى ٢ ذو الحجة سنة ١٢٥٣ هـ ٠

(١٨٢) سجلات المحكمة الشرعية ـ محكمة الديوان العالى مسلسل ٧ ص ١٠١ مادة ٤٩٤ فى أول صفر ١٢٥٤ هـ ٠

(١٨٣) سجلات المحكمة الشرعية محكمة الديوان العالى مسلسل ٧ ص ١٥٢ مادة ٣٩٣ فى ١٣ رمضان ٠

(١٨٤) انظر هذا الكتاب ص ١٨٢ ٠

عن تطبيق معاهدات القرون الثلاثة قبل القرن التاســـع عشر فى ظروف القرن التاسع عشر ٠

الا أن عصره قد شـــهد البوادر الدالة على المستقبل وقد قاومهـــا بسطوته الشخصية فعلى ســـبيل المثـــال تلك الواقعة صدر أمر منه الى شوارى المعاونة بأنه صار منظورى شقكم المؤرخة فى ٧ الجارى الشاملة للحركات غير المرضية التى حصلت مع ارسلان أغا أمين جمرك بولاق من قنصـــل سردينيـــا وانه صبر وتحمل هـــذا الأحمق ضرب القنصل له وعدم مقابلته بمثله فى محل الواقعة فأوجب ذلك اضطراب ضميرى ، وحيث انى قد نبهت آكيد على القنصل الجينرال بعزل المذكور وابعاده عن مصر فاذا استعلم من الديوان عن اشغال تتعلق بالميرى قبـــل مخابرة القنصل الجينرال فلا يلتفت الى ما يرد منه ، وأن لاتعطى اليه أية اجابة من الديوان. وأن ينبه على المعاون الأول بالقبض على الياساقجى خارج منزل القنصلية نوا واحضاره الى الديوان وضربه ٥٠٠ نبوت أدبا له على ما وقع منه فى ديوان جمرك بولاق ٠ وافهامه بأن القصد من اعطاء الياستجيه للقناصل هو لصيانتها والمحافظة عليهـــا وليس لمســـاعدتهم فى فعل أعمـــال مغايرة كهذه ٠ وان أمكن من يليق لأمانة جمرك بولاق بدل ارسلان أغا فبرفع من وظيفته جزاء على عدم محافظته على شرف وناموس الحكومة لقبوله الضرب وعدم مقابلة القنصل المذكور بالمثل (١٨٥) كذلك صدر أمر من محمد على مفاده أن أحد الأشخاص حماية سردينيـــا ويسمى المدعو سابا كحيل يلقى القبض عليه ويحبس لأن موعد استحقاق الدين الذى عليه قد حان ولكنه لم يسدد أى شيء وعلى قنصـــــل سردينيا الا يعترض على ذلك لأنه يمكن حبس القنصل نفسه اذا كان عليه دين ورفض سداده (١٨٦) ٠

ورغم ذلك فان محمـــد على كان يعقـــد معـــاهدات منفردة مع الدول الأجنبية مثل تلك الاتفاقية التجارية التى أبرمها مع حكومة روسية (١٨٧) ومن الجاليات الأجنبية الهامة التى عرفتها مصر فى ذلك الوقت الجالية الفرنسية وكان أول من أتى مصر من التجار الأوربيين فى العصور الحديثة الفرنسيون وسبقهم فى ذلك البنادقة وكثر وفود الفرنســـيون الى مصر عقب انهيار امبراطورية نابليون الأول أى منذ ســـنة ١٨١٥ ٠ وكان محمد على يذكر انه مدين بجيشـــه وبأكثر انجازاته وأعمـــاله فى مصر للفرنسيين كما انه مدين بوجوده السياسى لعطف الحكومة الفرنسية (١٨٨) ٠

---

(١٨٥) أمين سامى تقويم النيل ـ ج ٢ ـ ص ٥١٨

(١٨٦) أمين سامى نفس المرجع ـ ج ٢ ـ ص ٤٧٦ ٠

(١٨٧) انظر هذا الكتاب ص ٣٥ ٠

(١٨٨) محمد فؤاد شكرى نفس المرجع ص ٢٤٠ ، ص ٢٤٥ نقلا عن تقرير بولكنت ٠

ومن أبرز الشخصيات الفرنسية الجنرال سـيفا أو سليمان باشا فى الجيش وكلوت بك فى مجال الطب ، وهامون الذى أشرف على مدرسة الطب البيطرى ، وايسم الذى أشرف على مدرسة الكيمياء وغيرهم ممن كانوا يديرون منشآت محمد على الادارية والعلمية والزراعية .

أما اليونانيون فقد بكروا فى المجىء الى مصر وقد انخرط عدد منهم فى جيش محمد على بعد ان قضى على المماليك فى مذبحة القلعة واشتغل اليونانيون عامة بالشئون التجارية (١٨٩) اما الأرمن فقد اشتغلوا بوظائف الادارة وارتفع شأنهم الى حد كبير فى مصر بفضل ما تمتع به باغوص بك فى كنف محمد على من نفوذ واسع وجاه عريض وقد قدر مادين عددهم بنحو ٢٠٠٠ وذكر انهم اشتغلوا بالتجارة وليس لهم حى خاص بهم فى القاهرة أو الاسكندرية (١٩٠) ويقسم الأرمن من حيث الدين طائفتين هما الأرمن الأرثوذكس الذين يؤلفون الأغلبية ويخضعون لسلطة بطارقهم والأرمن الكاثوليك الذين يعترفون لبابا روما بالسيادة الروحية .

وكانت الجالية الأرمنية أولى الجاليات سبقا الى انشاء المدارس فى عهد محمد على فأنشأت مدرسة (كالوسييان) فى بولاق ١٨٢٨ وكانت تابعة للبطريركية الارثوذكسية .

ويعتبر الانجليز كذلك من أوائل الأوربيين الذين آتوا الى مصر فى العصور الحديثة ، وكانوا فى بداية الأمر يشتغلون بالتجارة . وقد عمل حوالى ستة أو خمسة من الانجليز فى خدمة محمد على . ومن الجاليات الأجنبية الأخرى التى عرفتها مصر فى ذلك الوقت أيضا الجالية الاسبانية وقد عمل حوالى خمسة من الاسبان فى خدمة الباشا (١٩١) .

يتألف الأجانب فى مصر من عدة فئات على رأسها القناصل وينضم الى القناصل مختلف المعاونين والوكلاء (١٩٢) . وكان قناصل الدول الأجنبية يحصلون على براءات اعتماد من الباب العالى وتسجل هذه البراءات فى المحكمة الشرعية بالقاهرة عند قدوم القنصل اليها مثل فرمان تعيين قنصل روسيا بمصر (الكساندر دو هامل) فى عام ١٢٥٣ هـ/ ١٨٣٧ الذى سجل فى محكمة الديوان (١٩٣) العالى وكذلك براءة تعيين

(١٨٩) محمد فؤاد شكرى نفس المرجع ص ٢٤ .

(١٩٠) Madden — op. cit., p 9.5.

(١٩١) محمد فؤاد شكرى نفس المرجع ص ٢٤٦ .

(١٩٢) كلوت بك لمحة عامة الى مصر جـ ٢ ص ١٤٩ .

(١٩٣) سجلات المحكمة الشرعية ــ محكمة الديوان العالى مسلسل ٧ مادة ٢٥٩ ص ٨٥ رجب ٢٥٣ .

قنصل أمريكا بمصر (الكساندر طنود) فى ١٢٦٠ هـ / ١٨٤٤ م (١٩٤)
وفى عهد محمد على كانت بمصر قنصلية لكل من انجلترا وفرنسا واليونان
والولايات المتحدة الامريكية والنمسا وأسبانيا وبلجيكا وكان القنصل
العام لكل من انجلترا وفرنسا والنمسا يرعى مصالح بلاده السياسية
فضلا عن التجارية ويقيم فى الاسكندرية صيفا وفى القاهرة شتاء طبقا
لمكان انعقاد ديوان محمد على اما القناصل الآخرون فكانوا يقيمون باستمرار
بالاسكندرية وكل قنصل يمثله وكيل قنصل فى كلا من القاهرة ورشيد
ودمياط وكان لانجلترا وكيل قنصل بالسويس لرعاية مصالح البريد
والموظفين الانجليز بين الهند وانجلترا وكان من مهام القناصل ان يفصلوا
فى القضايا التى تنشأ بين رعايا دولتهم اما القضايا التى يقوم فيهما
النزاع بين الأجانب والوطنيين فكان يفصل فيها الباشا نفسه أو الهيئة
التى يعهد اليها بذلك نيابة عنه وفى الحالات التى يتعذر فيها تبعية
المتقاضيين لكونهم من رعايا دول مختلفة كانت تنظر قضاياهم لجنة تحكيم
مختلطة (١٩٥) وظل ذلك الأمر حتى أنشئت المحاكم المختلطة ١٨٧٦ م
وانتقلت اليها تلك المهام (١٩٦) كما ان للقنصل العام الاشراف والسيطرة
على شئون بلاده السياسية والتجارية فى كريت وسوريا ومصر وبلاد
العرب وهو يعالج الأمور مع الباشا وحده ويرسل مكاتباته رأسا الى وزارة
الخارجية التابع لها وترسل صور من المكاتبات الهامة الى سفير دولته لدى
الباب العالى (١٩٧) ويذكر بورنج انه باستثناء قناصل بريطانيا وفرنسا
والنمسا وروسيا وأسبانيا وبلجيكا فتقوم معاملات تجارية بين قناصل
الدول الأخرى وبين الباشا وقد جمع كثير منهم ثروات طائلة على أثر
تعاملهم مع الحكومة كما اتخذ الباشا بعضهم وكلاء عنه فى استيراد
احتياجات الحكومة من الخارج وفى تصريف الصادرات المصرية فى أوربا
وكثيرا ما كانت مصالحهم تتعارض مع واجباتهم الرئيسية ٠ وكان الباشا
يأمر بعدم تحصيل رسم الجمرك من الأشياء الواردة باسم قناصل الدول
وصرف النظر عن فتحها ومعاينتها (١٩٨) اما التجار الأجانب فتجار
الجملة منهم كانوا يقيمون غالبا بالاسكندرية وعددهم أربعون فى
عام ١٨٤٠ م بينما كان العدد ١٦ فى عام ١٨٢١ م ٠ أما التجار الأجانب

---

(١٩٤) سجلات المحكمة الشرعية ـ محكمة الديوان العالى مسلسل ٨ مادة ٣١ ص ١٢ ٠ سنة ١٢٦٠ ٠

(١٩٥) محمد فؤاد شكرى نفس المرجع ص ٢٦ ٠

(١٩٦) صالح جودت ـ مصر فى القرن التاسع عشر ـ القاهره ١٩٦٠ ص ٧ ٠

(١٩٧) محمد فؤاد شكرى نفس المرجع ص ٢٧١ ٠

(١٩٨) دار الوثائق بالقلعة دفتر ٦ محفوظات ديوان التجاره والمبيعات ١٨ ذى القعدة ١٢٥٨ هـ ٠

الذين كانوا يشتغلون لحساب أنفسهم بالقاهرة فكان عددهم قليلا وعلى ذلك كان بها وكلاء من البيوت التجارية بالاسكندرية وكان أغلب المحلات التجارية الاجنبية فى القاهرة للانجليز والفرنسيين بالاضافة الى ذلك وجد ٩ محلات نمساويه ، ٤ محلات تسكانيه واثنان سردينيان واثنان يونانيان (١٩٩) كما قام كثير من الأجانب بالعمل كوكلاء بالعمولة مع الحكومة المصرية وقام بعضهم بمهمة نقل البضائع بين مصر وأوربا عبر البحر بالسفن التجارية المؤجرة وكذلك بدا نشاط التجار الأجانب فى عمليات التصدير للمنتجات المصرية وخاصة الحبوب الى أوربا (٢٠٠) والى جانب التجار الأجانب وفد الى مصر كثير من الصناع والعمال من أوربا للعمل فى مصانع الباشا الحديثة التى استوردت آلاتها من أوربا وذلك لتشغيل المصانع وتعليم فنون الحرفة للمصريين وقد أشار الجبرتى فى عام ١٢٣٣ هـ ١٨١٧ م الى وصول نحو مائتى شخص من بلاد الروم أرباب صنائع وحرف مختلفة (٢٠١) ويلاحظ أن محمد على قد عانى كثيرا من بعض الفرنجة الذين اضطر الى الاستعانة بهم فى تنظيم مرافق دولته الناشئه بأنه فضلا عن المرتبات الباهظة التى كانوا يأخذونها لم تكن تتوافر فى كثير منهم المؤهلات والكفاءة التى تؤهلهم للاطلاع بما يحال اليهم من مهام ، كما ان بعضهم كانت تصدر منهم بعض الأعمال المخلة بالآداب والسلوك العام والتقاليد فقد صدر أمر فى سنة ١٢٥٢ هـ/ سنة ١٨٣٦ م الى مساعدى الاسطوات الأوربية اللذان حضرا من أوربا لتصليح الساعات واسكانهما فى الموسكى والتنبيه عليهما بألا يحصل منهما ما يخل بالآداب وان لا يشتغلا بغير صنعتهما فقط (٢٠٢) . أما أصحاب المشروعات الاستثمارية الأجانب فكانوا يجدون التشجيع الكافى لدى محمد على باشا لاستثمار أموالهم فى انشاء بعض العمليات والمشروعات الصناعية والمالية التى لاتمارسها الحكومة كما كانت الحكومة تمنحهم امتيازات اقتصادية تشجيعا لهم على المضى فى هذه المشروعات مثل الأمر الصادر من محمد على سنة ١٢٤٣ / ١٨٢٧ م باعطاء اذن الى الخواجة بياجة بيرونى (٢٠٣) لفتح مصنع لتصنيع شمع على النظام الأوربى بالاسكندرية واذا ظهر غيره لغاية ستة سنوات فامنعوه .

غير ان احتكار الحكومة للصناعة والزراعة والتجارة كان عقبة أمام

---

(١٩٩) أحمد الحتة ـ تاريخ مصر الاقتصادى ص ٣٠٤ ـ ٣٠٦ .

(٢٠٠) انظر هذا الكتاب ص ٢٧٤ .

(٢٠١) الجبرتى عجائب الآثار حـ ٢ ص ٥٧٩ .

(٢٠٢) أمين سامى تقويم النيل جـ ٢ ص ٤٧٢ .

(٢٠٣) دار الوثائق بالقلعة دفتر ٧٤٥ ديوان خديوى ترجمة الأمر العالى رقم ١٣ ـ ١٩ ذى الحجة سنة ١٢٤٣ هـ .

نمو الاستثمار الفردى بأشكاله المختلفة (٢٠٤) كما استعان الباشا بكثير من الخبرات والموظفين الأجانب فى ادارة مختلف الشئون الحكومية مثل بوغوث بك الأرمنى الذى يمكن ان نعتبره بمثابة رئيس وزارة فى حكومة محمد على وسليمان باشا الفرنساوى الذى أشرف على تكوين الجيش وكلوت بك الذى أدار المصلحة الطبية وهامون الذى أشرف على مدرسة الطب البيطرى بالاضافة الى بعض الانجليز والأسبان وغيرهم وكانت المرتبات التى خصصها الباشا للأوروبيين والعاملين فى خدمته سخية بوجه عام اذ يتقاضى بعض من يشتغلون بمناصب عالية ٢١ كيسا فى الشهر حوالى ١٠٥ جنيه شهريا (٢٠٥) ٠ والى جانب الأوروبيين الذين أقاموا بمصر بصفة دائمة أو شبه دائمة للعمل واكتساب الرزق ، كان يفد الى البلاد باستمرار أعداد من المسافرين منهم للسياحة أو الرحلات الذين يقصدون بزياراتهم فى أوقات فراغهم الانتفاع بمشاهدتهم لمعرفة ما يجهلون من الحضارة القديمة وعادات وتقاليد السكان ومنهم المتخصصون من الكتاب والدارسين الذين قاموا بتأليف كتب وضعوا فيها مشاهداتهم وأرائهم فى البلاد مثل ادوارد وليم لين الانجليزى الذى وضع كتاب المصريون المحدثون عاداتهم وشمائلهم وجون لويس الذى وضع كتاب عن الأمثال الشعبية فى مصر تحت عنوان الأمثال العربية ٠

(٢٠٤) على الجرتلى : نفس المرجع ص ٨٣ ٠

(٢٠٥) محمد فؤاد شكرى نفس المرجع ص ٧٢٤ نقلا عن تقرير باورنج ٠



الباب الثانى

العمران والشئون الصحية

العمران

أسس الفاطميون مدينـــة القـــاهرة فى الخامس من أغسطس من عام ٩٦٩ م وجعلوها عاصمة لهم • وللقاهرة وظيفة استمرت طوال فترة تزيد عن ١٠٠٠ ألف عام ولولا تلك الوظيفة لأضمحل أو هجر هذا المكان الذى بنيت عليه القاهرة • لقد كانت الوظيفة الأساسية لهذا الموضع منذ تأسيس الفسطاط هى الوظيفة السياسية وما زالت كذلك : قاعدة الحكم فى مصر وباستمرار هذه الوظيفة دخلت وظائف أخرى للموقع أضافت الى المدينة مبررات أخرى للبقاء والنمو وترتب عليها علاقات جديدة صنعها الانسان • أدت هذه العلاقات المكانية الى تركز الحركة التجارية والحرفية والصناعية بحكم ان القاهرة أصبحت فيما يشبه منتصف الطريق •

١ ــ بين الدلتا والصعيد •

٢ ــ بين المغرب العربى والمشرق العربى •

٣ ــ بين البحر المتوســـط ــ أوربـا ــ البحر الأحمـر ــ عالم المحيط الهندى •

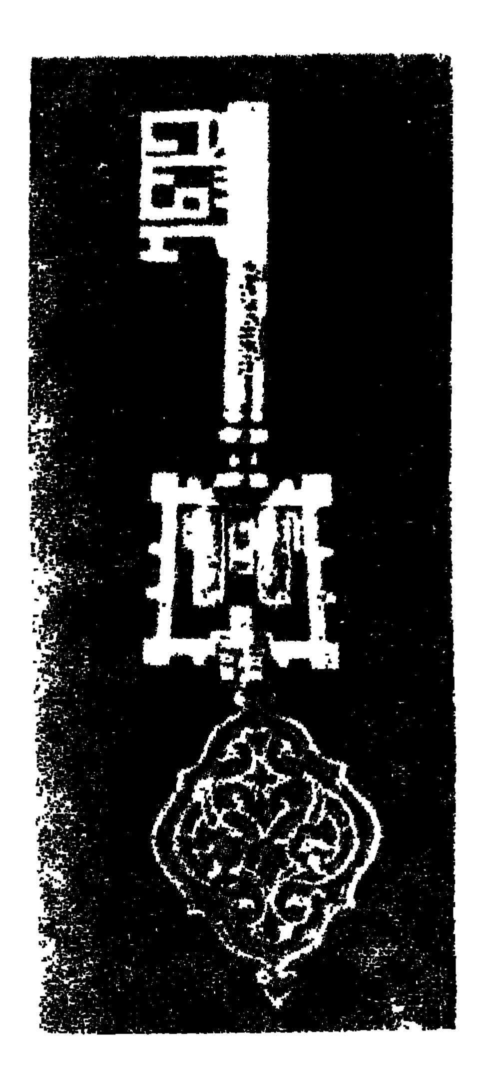
ويحتاج شرح أهمية كل من هذه الطرق الى بحث آخـــر غير هذا البحث •

كانت القاهرة فى نهاية القرن الثامن عشر أكثر امتدادا فى الطول منها فى العرض وتعتبر المدينة الأولى بين مدن الامبراطورية العثمانية بعد الاستانا انها تشغل من الأرض ما مسطحه ٩٠٠ هكتـارا ومبلغ محيطها ٢٥٠٠٠ متر هذا ما قاله كلوت بك •

أما سانت جون فقد ذكـــر ان محيط مدينـــة القاهرة ٩ أميال أى ما يقرب من ١٥٠٠٠ متر • ويقول ورنر عام ١٨٤٧ م (١) ان محيط

---

(١) ورنر هوفميتر ــ ترجمة محمد رضا ــ رحلة الى مصر فى عهد محمد على ــ مطبعة المقتطف والمقطم • سنة ١٩٤٧ م ص ٥٢ •



مفتاح القاهرة

القاهرة الجديدة لايزال عظيما جدا بالنسبة الى عدد السكان فهى تبلغ ضعفى أو ثلاث أضعاف مساحة برلين تقريبا ويدخل فى نطاق هذه المساحة طبعا أكوام الخرائب الكبيرة وكذا الطرق فى بعض الأنحاء التى تكاد تكون خالية من السكان والتى يشمل أعظم جزء منها منازل متهدمة . وفى أواخر القرن ١٨ سجلت الحملة الفرنسية خريطة القاهرة فى صورة مستطيل كبير حده الشرقى من القلعة الى تل قطع المرأة فى الدراسة الى تلال ومقابر باب النصر وحده الغربى خط يكاد يوازى شارع عماد الدين ومحمد فريد من باب الحديد الى السيدة زينب وحده الشمالى من الحسين

الى الفجالة وباب البحر وحده الجنوبى من القلعة الى طولون الى البغالة (٢) والقاهرة مقسمة الى أحياء أو حـــارات ذكر أندريه ريمون ان عددها ٦٠ أما سنت جون فذكر ان عددها ٥٤ وذكر كلوت بك ان عددها يتجـاوز ٥٠ أهمها على ترتيب الاتجاه من الشمال الى الجنوب حارات الشعراوى والأزبكية والنصارى (وهى حارة الأقباط والأرمن والشوام وغيرهم ... الخ) والروم (أى حارة اليونان) واليهود والأفرنج والموسكى وذويلة والمؤيد والأزهر وباب الخلق وبركة الفيل والمغاربة وطيلون (وهذه الحارة أقدم الحارات بمدينة القاهرة) والرميله وقرة ميدان والقلعة (٣) ... الخ وتلك الحارات كانت مقسمة على أسس حرفية أو عرقية أو دينية . والحارة مليئة بمنازل مختلفة الاتساع ولها بوابة خشبية ضـــخمة ذات قفل كبير وتغلق ليلا يحرسها بواب عادة ما يكون من النوبة وهو لا يسمح لاى شخص بالدخول الى الحارة أثنـــاء الليل وللحى شـــبكة متدرجة من الشوارع تبدأ من الشريان الرئيسى وهو الدرب الذى يأخذ الحى أسمه عادة منه الى العطفات والأزقة وفى هذه الحارات كان الناس ذوى الحرفة يميلون للتجمع معا وكذلك أولئك الأفراد ذوى الأصول الجنسية الواحدة أو أبناء الدين الواحد . ويخرج من نهر النيل الخليج المصرى الذى يشق القاهرة حتى يصل الى ميدان الأزبكية وفى أثناء فترة الفيضـــان يمتلىء الخليج والأزبكية بالماء وتسبح فيهما الفلائك والقوارب وتتنزه على جوانبها الأهالى وتكثر السهرات والأمسيات .

والأحيـــاء التى تقع غرب الخليج (٤) من الشـــمال الى الجنوب هى أرض الطبـــالة وتقدر مساحتها بحوالى ٢٠٠ فدان وبهـــا بركة تسمى بركة الرطلى التى كانت تمتلىء بمياه النيل أثناء الفيضان وكانت توجـد أيضا بركة الطبالة وفى عهد محمد على ردمت البركتان بأتربة التلال التى كانت محيطة بها فتحولت أراضيها الى بيوت ومساكن ويلى أرض الطبالة خط المقس وأهم معالم هذه المنطقة جامع المقس والى جنوب خط المقس كانت أراضى زراعية يغمرها ماء النيل سنويا وكان يتخلف فيها بعد الفيضان بركة تعرف ببركة الأزبكية فالى الشمال الغربى من بركة الأزبكية كان يقع خط الأفرنج وكان خطـــا كبيرا يحد من الغرب ببركة الأزبكية ومن الشرق بالخليج المصرى ومن الشمال بخط المقس ومن الجنوب بشـــارع

---

(٢) محمود رياض ــ القاهرة دراسة تمهيدية للنمو العمرانى ــ بحث غير منشور بمناسبة العيد الألفى للقاهرة ــ ص ٩٣ .

(٣) كلوت بك ــ لمحة عامة جـ ١ ــ ص ٤٣٣ .

(٤) فؤاد فرج ــ القاهرة مطبعة المعارف ١٩٤٤ جـ ٣ ص ٥٠٢ ، ٥١٦ .



القاهرة فى بداية القرن التاسع عشر

الموسكى وهذا الحى هو محل اقامة التجار الفرنسيين والشوام والروم والايطاليين وكانت أهم معالمه حديقة روستى الشهيرة وحولها توجد دور قناصل الدول الأوربية وكان يوجد بالحى دار تياترو القاهرة وهو المسرح الذى أنشىء فى عهد حملة بونابرت وكان هناك على شاطىء بركة الأزبكية فندق واجهورن وكان يديره رجل انجليزى وكان يوجد فندق دومرج الذى يشتهر بسهراته الممتعة ثم فندق موتاى الذى انشىء فى عهد الحملة الفرنسية وفندق جارديتو الذى أسسه ايطالى كان فى خدمة الوالى محمد على وكان لخط الأفرنج بوابات ضخمة تقفل ليلا أما فى غرب بركة الأزبكية فكانت تقع سراى الألفى بك التى نزل بها بونابرت فى عهد الحملة الفرنسية وقتل فى حديقتها الجينرال كليبر كما نزل بها محمد على باشا وبويع فيها واليا على مصر وقد تحولت هذه السراى الى فندق باسم شبرد سنة ١٨٣٤ م فى عهد محمد على والى غرب السراى كانت بساتين

وحقول يليها خليج المغربى الذى كان يغذى بركة الفوالة وبركة الصابر وهى من البرك التى ردمت فى عهد محمد على بواسطة الأتربة المنقولة من التلال والاكوام التى كانت تمتد من محطة مصر الى السبتية وبولاق على الشاطىء الغربى للخليج الناصرى والى غرب هذه التلال كانت حقول وأراضى زراعية ثم مدينة بولاق ثغر القاهرة على النيل وكانت بولاق متصلة بالأزبكية بطريق مهده لوبير كبير مهندسى الحملة الفرنسية وكان يطلق عليه اسم طريق بولاق ثم عرف بشارع أبو العلا ومكانه الآن شارع ٢٦ يوليو .



احد شوارع القاهرة



القاهرة فى بداية القرن التاسع عشر

الأرض والأحياء الواقعة على الضفة الشرقية للخليج :

أما على الضفة الشرقية للخليج فسوف تجد من الشمال الى الجنوب جامع الظاهر بمساحته الهائلة وقدرها ثلاثة أفدنة تقريبا وكان الفرنسيون قد حولوه الى قلعة عرفت باسم قلعة سلكونسكى وجعلوا من مئذنته برجا للمراقبة وأقاموا به سكنات للجنود وعلى بعد قليل منه أقاموا مقبرة مؤقتة للجنرال كليبر فلما جاء محمد على باشا حول جزء من جـامع الظاهر الى مخبز للجراية ومعمل للصابون وكان حول هذا الجامع من الجنوب بساتين وحدائق ثم تلال فى جنوبها بركة صغيرة وكانت حارة الحسنية تقع خارج باب الفتوح وسور القاهرة الشمالى وتمتد الى شرق جامع الظاهر والى جنوبه وكانت التلال تمتد من باب الحسنية الى الفجالة حتى باب الحديد وقد أزيلت واستعملت أتربتها فى ردم بركة الرطلى وبركة الطبـالة كما قلنا سابقا أما داخل السور فكنت تجد قاهرة المعز القديمة وبها حارة اليهود وحارة الروم أما بركة الفيل فكانت أرض زراعية منخفضة يغمرها

.. النيل وقت الفيضان وكانت تقع الى شرق الخليج خـارج سور القاهرة الجنوبى وكانت بركة الفيل من أجمل متنزهات القاهرة وقد فتن الناس جمال موقعها فبنى أغنياء القاهرة دورهم حولها ثم تحولت أرضها تدريجيا من الزراعة الى السكن ولم يبق من أرض البركة بدون بنـاء الى سـنة ١٨٠٠ م التى رسمت فيها الحملة الفرنسـية خريطة القاهرة الا قطعة أمر محمد على بردمها ثم أقيم عليها فيما بعد سراى عباس باشا الأول والى مصر المعروفة بسراى الحلمية وحديقتها الكبيرة والى شرق بركة الفيل كانت تقع القلعة بأسوارها وقصورها المخربة وكانت قد تلفت كثيرا من مدافع الفرنسيين وثورات الجنود والحرائق فلما جاء محمد على باشـا أصلح أسوارها وبنى بها جامعه وقصره المعروف باسم قصر الجوهرة ثم أعاد تنظيم القلعة وبنى بها مصانع حربية ودار للمحفوظات الحكومية وثكنات لجنوده وأخرج منها باقى سكانها الأجانب أما الى جنوب بركة الفيل فكنت تجد آثار مدينة القطائع والعسكر ثم مصر القديمة فاذا تركت السواقى السبع التى تقع فم الخليج بجوارها تشاهد أطلالا عاليـة تطل اليوم على شكة حديد حلوان وتعرف بتلال زينهم وعين الصيرة وهذه الأطلال هى البقية من عواصم مصر الاسلامية القديمة وهى الفسطاط والعسكر والقطائع التى تخربت بيوتها منـذ القدم كما أنهـا أنقاض البيوت التى هدمتها مدافع الفرنسيين وألقيت هنـاك فتجمع منهـا على مدى السنين تلال عالية وصل ارتفاعها الى خمسين وسـتين مترا وراء مسجد السـيدة زينب وابن طولون وقد تكونت بنفس هذه الطريقة تلال البرقية التى عرفت بعد ذلك بتلال قطع المرآة بشرق المدينة .

وفى القاهرة أربع ميادين كبيرة هى : ميدان قرة وميدان الرميله بجنوب المدينة وميدان بركة الفيل فى وسطها وميدان الأزبكية فى شمالها الغربى وهذا الأخير هو أكبر الميادين وأفسحها وفى وسط المدينة أسواق كبيرة بعضها جدير بالذكر كسوق الغورية حيث تباع الشيلان الكشميرية والحرير الموصل والأقمشة الواردة من الخارج وسـوق الاشرافية حيث تجار الورق وخـان الخليلى حيث تجـار الجواهر والنحاس والسجاجيد وسوق النحاسيين وفيه تجـار المصوغات وصناعها وسوق البندقانية حيث تجار العقاقير والخردوات وسوق الحمزاوى وفيه تجار الجوخ وسـوق السروجية حيث تصنع وتباع سروج الخيل وغيرها سوق السلاح وفيه يصنع السلاح ويباع وسوق الجمالية حيث تجـار البن والتبغ الواردين من الشام أما شارع مرجوش الكبير (أمير الجيوش) فيباع فيه بالتجزئة

أتواب الأقمشة المنسوجة فى القطر المصرى وهنـــاك وكالة الجلابة التى يباع فيها الأرقاء المجلوبون من وسط افريقيا (٥) ٠

ويتكون السوق من مكان رئيسى يتشعب فيـــه فروع كثيرة وهى مغطاة بصفة عامة وتتزاحم الناس على السوق بشكل متواصل ومستمر ويعتبر السوق مركزا للمواصـــلات التى يكون أغلبهـــا على ظهور الحمير ويجلس الباعة من الرجال والنساء على جانبى الطريق لعرض بضائعهم على الأهالى كما توجد كذلك الدكاكين حيث يجلس أصحابها على مقعد حجرى وهم يدخنون الشبكات (٦) وفى الأحياء التجارية والصناعية يوجد نحو ١٣٠٠ وكالة والوكالة عبارة عن مساحة فسيحة تفتح ناحيـــة السوق محاطة بالأبنية من جميع الجهات ولهـــا بوابة قوية تستخدم كوســـيلة للدفاع عن الوكالة وهذه البوابة تبقى مغلقة طوال الليل (٧) وبالقاهرة ٤٠٠ مسجد أشهرها مســـجد عمرو بن العاص ومســـجد السلطان حسن ومسجد طولون ومسجد المؤيد ومسجد السلطان قلاوون ومسجد الغورى ومسجد السيدة زينب ثم مسجد الأزهر وهو أشهر المساجد على الاطلاق وللمسيحيين على اختلاف مذاهبهم ٢٠ كنيسة أما اليهود فلهم عشر بيعات وفى القـــاهرة ما يقرب من ١٢٠٠ مقهى ٣٠٠ صهريج ـ حمام ويوجـد كذلك ثلاث بقاع للمقابر شهيرة باتساع نطاقتها حيث مسطحاتها تشغل أكثر من ربع مسطح هذه المدينة ولم يكن بالقاهرة فى الزمن السابق سوى مستشفى واحـد هو المستشفى المعروف بالبيمارستان وفى القطر المصرى وفى ميدان الأزبكية حينذاك مستشفى ملكى جميل يحتوى ٧٠٠ سرير نصفها للرجال والنصف الآخر للنساء ويتبع هذا المستشفى مدرسة للولادة ومستشفى للمجاذيب كل هذا غير المستشفى العسكرى الفخـم المعروف بمستشفى القصر العينى الواقع فى الطريق بين القاهرة الكبرى ومصر العتيقة قرب المكان الذى كانت به عزبة ابراهيم بك على ضفاف النيل ويحتـــوى هذا المستشفى ١٣٠٠ سرير وبالقـــاهرة غير العدد العظيم من المدارس الخاصة أو الملحقة بالمنشآت الخيرية كالمساجد والاسبله وأحواض الماء مبانى عديدة مخصصة للتعليم والتربية وفيها قصور جميلة وسرايات واسعة فيها ما يملكه سمو الوالى وكل من ابراهيم باشـــا وعباس باشا والدفتر دار بك حول ميدان الأذبكية (٨) ٠

---

(٥) كلوت بك ـ نفس المرجع ج ١ ٠ ص ٤٣٦ ٠

(٦) Bartlett — The Nile bank — London, 1750, p. 54.

(٧) Bart lett — aibid — p. 55.

(٨) كلوت بك ٠ نفس المرجع ج ١ ص ٤٤٠ ٠

شوارع القاهرة :

قدر على مبارك عدد الشوارع والحارات والعطف والدروب فى عهد محمد على بنحو ١٢٩٠ فيها شـوارع كبيرة تبلغ ١٣٣ شارعا والحارات النافذة وغير النافذة ١٦٢ و العطف النافذة وغير النافذة ٧١٩ والدروب النافذة وغير النافذة ٢٠٨ والسكك ٢٤ · وفروع السكك ١٦ والطرق ١٦ وطول ذلك جميعه ٤٥٥٩ م (٩) · ويبدو أنه ليس هناك بالقاهرة شوارع بالمعنى المفهوم وانما هناك فقط مجموعة من الحوارى التى تشكل دوائر ومنعطفات مما يوضح جيدا أن كل شوارع القـاهرة قد بنيت بدون أى تخطيط للمدينة فكل واحد كان يختار على هواه رقعة الأرض التى سيبنى فوقها دون أن يعنيه ما ان كان ذلك يسد الشارع أو لا (١٠) وقد لاحظ الرحالة الأجانب مدى ضيق الشوارع فى القاهرة وصعوبة المرور فيها فان عرض الشارع ما بين ٧٥ سم الى ٥ر٤ مترا فى أعـرض الشـــوارع ومما كان يعوق حركة المرور فى الشوارع التجارية بالقاهرة تلك المصاطب الحجرية والطينية التى كانت مبنية أمام المحلات والتى كان أصحاب هذه المحلات يجلسون عليها عادة ليصرفوا شئونهم مع عملائهم فقد كان عرض المصطبة يبلغ المتر بل المتر ونصف أحيانا لذا فان الممر الباقى من الشارع كان بالغ الضيق · أما عن نظـافة الشـــوارع فقد كانت تقع على عاتق الأهالى ولم تصرف الحـــكومة اهتمام الى ذلك الأمر وعلى ذلك فان الأهالى كانوا يقومون بصفة غير منتظمة برش الشوارع خاصة الأســواق وكان ضيق الشوارع يشكل صعوبة لنظافتها وفى بعض الأحيان فان المحتسب ورجاله كانوا يقفون بالشوارع ويأمرون الأهالى بكنس ورش الشوارع(١١) وقد لاحظ الرحالة الأجانب عدم اهتمام أهالى القاهرة بنظافة الشوارع والقاء القاذورات والأتربة خارج أبواب البيوت فى الشوارع الضيقة (١٢)·

التغيرات التى حدثت فى شوارع القاهرة :

تميزت شوارع القاهرة بكثرة الحركة والمرور فيها فلك ان تتخيل ثلاثمائة ألف نسمة عليهم أن يتحركوا فى شوارع ضيقة ومنهم من يمشى

---

(٩) على مبارك ـ الخطط التوفيقية ـ جـ ١ ـ ص ٨٢ ·

(١٠) اندريه ريمون · فصول من التاريخ الأجتماعى للقاهرة ص ٦٧ ·

(١١) الجبرتى ـ عجائب الآثار ـ جـ ٢ ـ ص ٣١٥ ·

(١٢) St. John — Egypt and Nubia — London, 1945, p. 104.



على قدميه ومنهم من يمتطى صهوة الخيل أو الجمال أو الحمير أضف الى ذلك الدواب التى نحمل الامتعة والبضائع وهى تسير فى الشوارع لذلك كان على السائر أخذ حذره أثناء السير لكى لايصطدم بأحد • وكنت ترى الأولاد المكارى وهم يندفعون خلف حميرهم التى تحمل الركاب ويصيح الولد الحمار محذرا الأهالى قائلا رجلك رجلك « ذلك الى جانب التركى الثرى الذى يمتطى صهوة الخيل المطهمة وأمامه بعض غلمانه يفسحون له الطريق وهناك أيضا الجمال التى تحمل البضائع والأمتعة وهى تسير بدون أى اكتراث بأحد •

وقد لاحظ الجبرتي ازدحـــام الشوارع في القاهرة حيث قال « ان الانسان يقاسي الشدة والهول اذا مر بالشارع من كثرة الازدحام ومرور الخيالة وحمير الاوسية والجمال التي تحمل الأتربة والأنقاض والأحجار لعمائر الدولة سوى ما عداها من حمول الأخطاب والبضائع والتراسين حتى الزحمة في داخل العطف الضيقة » (١٣) ٠

وقد كان يحدث أثناء الثـــورات العديدة التي عرفتها القاهرة أيام العثمانيين ان ضيق هذه الشوارع يحول دون نقل المدافـع الى مسرح العمليات (١٤) ٠ وقد واجهت مشكله المرور والشوارع محمد على عند الاعداد لزفاف ابنته في عام ١٨١٤ م فقد كان موكب الزفاف يضم ٩١ عربة لأرباب الحرف يعرضون فوقها نشاطهم وصناعتهم غير أربعة عربات للعروس وكانت هناك شوارع سيمر بها الموكب ولكن ضيقها لن يسمح بمرور العربات فقام رجال الشرطة قبل يومين من موكب الزفاف بالمرور في الشوارع وقياس عرضها لازالة المصاطب وتوسيع الشوارع الضيقة وقد ذكر سانت جون ان حكومة محمد على تبذل محاولات في الوقت الحاضر لجعل الشوارع على النظام الأوربي أي توسعها لتصبح أكثر اتســـاعا وكذلك محاولة جعلها تسير في خطوط مستقيمة على قدر المستطاع ٠

وفي ٩ ربيع الثاني ١٢٦٢ هـ / ٨ مارس ١٨٤٩ م صدر أمر من محمد على الى ديوان المدارس « حيث انه سبق السنبيه بتوسيع أزقة وفتح شوارع الموسكي وبقطع كوم الشيخ ســلامة وشارع بولاق وفم الخليج وشارع القلعة وبنظر ذلك من الشوارع اللازم فتحها وتوسيعها لراحـة العباد من ضيق الأزقة وتزيين البلدة أيضـا ــ فلزوم شراء الأماكن التي تدخل فيها من أربابها وخصم أثمانها على جانب الميرى » (١٥) ٠ وبعد أن بذل محمـــد على اهتماما بتوسيع الشوارع ومحـاولة جعـل بعض منهـــا مستقيما وفي خطوط مستقيمة أراد أن يقلد الأوربيين في اطلاق أسماء على الشوارع بمدينة القاهرة ووضع أرقام على البيوت وذلك في ١٤ يونيه ١٨٤٦ م ٠ صدر أمر من محمد على في نسخ الوقائع المتميزة بنمرة ٦٤ « وحصل في هذه الأيام مشروع في اجراء ذلك باطلاق أسماء على شوارع القاهرة أسوة مما هو حادث في الدول الأوربية وذلك لغرض تسهيل معرفة المنـــازل والأماكن في القاهرة بمقتضى الترتيب الآتي ذكـــره أدنـــاه خمسون بندا ٠

---

(١٣) الجبرتي : عجائب الآثار جـ ٣ ٠ ص ٥٦٨ ٠

(١٤) اندريه ريمون : نفس المرجع ــ ص ٦٩ ٠

(١٥) أمين سامي تقويم النيل جـ ٢ ٠ ص ٥٣٨ ٠

البنــد الأول

انه حيث كان خليج مصر المحروسة مارا من وسطها تقريبـا وكان باب الخلق متصلا بالخليج المذكور ومركز مصر المحروسة استنسب ان الجادة الممتدة من باب الخلق الى القلعة تسمى بشارع القلعة ويكتب على رأس زوايا تلك الطريق اسم شارع القلعة وتكتب بنمر البيوت الكائنة هناك على أرض بيضاء وبمداد أسود يحيط بها برواز لونه كلون أحمـر وتنمر البيـوت التى على يمين المار بباب الخلق بنمرة الونر والتى على يســاره بنمرة الشفع أى تكون فى الجهـة اليمنى غير المزدوجة والتى فى الجهة اليسرى مزدوجة الى انتهائها ناحية القلعة · وتمضى بقية البنود الى ان نصل الى البند الأخير رقم ٥٠ ·

(البند الخمسون)

ان الطريق المبتدأ من باب الخلق الممتدة الى حارة الحمزاوى تسمى بسكة درب سعادة وبنمر المداد الأحمر وهاك الأسـماء التى أطلقت على اول خمسون شارع بالقاهرة وهى : شارع القلعة ـ شارع باب اللوق ـ شارع السيدة زينب وشارع باب الخلق ـ شـارع الشرقاوى شــارع الرميله ـ شارع الصليبية · وشارع السيدة نفيسة ـ وشارع الغورى شارع باب الفتوح ـ شارع باب النصر ـ شارع باب الحديد ـ شارع مرجوش ـ شارع الموسكى ـ شارع الحمزاوى ـ شارع الناصرية شارع درب الحمام سكة الزير المعلق ـ شارع درب القرود ـ شارع درب الحديد شارع سويقه اللاله ـ شارع عابدين ـ شارع البيدق ـ شارع البلاقسه ـ شارع حارة السقايين ـ شــارع أبى الليف ـ شــارع الحنفى ـ شــارع الهياتم ـ شارع عمر شاه شق العروسة ـ عطفة كوراوغلى ـ شـــارع السادات ـ حارة السيدة زينب ـ شارع الخليج ـ شارع عابدين ـ شارع رحبة عابدين ـ شارع سوق الجمعة ـ حارة النصارى سوق سكة ـ عطفة العقوبة ـ شارع درب الحصر ـ درب شعلان ـ درب القزازين ـ عطفـة الكوم الوسخة ـ سكة بئر الوطاويط ـ سكة الشيخ الظلام ـ سكة الكومى شارع النبوية ـ الدرب المحروق · سكة درب سعادة ·

كانت أسماء الشـوارع تكتب على ألواح خشبية باللون الأحمـــر أو الأسود وتعلق على أول الشارع بمسامير أما أرقام البيوت فكانت تكتب على باب البيت أو بجواره والمحلات ليست لها أرقام بل يكتب اسم المحل

واسم الشارع على جانب المحل (١٦) وفى زمن الحملة الفرنسية وما بعدها عرفت شوارع القاهرة الاضاءة بالمصابيح ليلا وذلك بأوامر قادة الحملة فقد كانت المدينة تضاء ليلا بمصابيح معلقة على أبواب البيوت (١٧) ٠

بيوت القاهرة :

قدر كلوت بك عدد البيوت فى القاهرة بحوالى ثلاثين ألف بيت منها البيوت العادية وبيوت وقصور الأثرياء وبصفة عامة فان البيوت كانت من طابق واحد أو اثنين وأحيانا ثلاثة طوابق وعادة ما يسكن البيت أسرة واحدة ومواد بناء المنازل فى المدينة الأحجار العادية وحجر الحصى وهما يؤخذان من الجبال المجاورة لهما ثم من حجر الأجر المطبوخ بالنار أو المعرض لحرارة الشمس (١٨) ومدخل الباب الخارجى للمنازل الخاصة يكون بصفة عامة ذا قوس ومزين بما يشبه الأمواج والباب الخارجى عادة ما يكون مدهون باللون الأخضر وفى أعلاه تكتب عبارة دينية مثل الله أكبر أو الله الباقى والباب الخارجى فى المنازل العادية يكون عادة مصنوعا من الخشب وله مزلاج خشبى وقارع من الحديد وبالقرب من المدخل يوجد مقعد من الحجر يجلس عليه سايس الفرس أو يسمى هذا المقعد مصطبة وهو يستخدم أيضا لجلوس البواب أو الخادم عليه (١٩) **صحن الدار** ٠ فى كل منزل غالبا صحن داخلى نتوافر فيه ميزتان احداهما ادخال الضوء والهواء فى حجرات الدار والثانية الاستفادة بما حوله من الأمكنة فى اقتناء الحيوانات الداجنة كالدجاج والماعز ٠٠ الخ وايواء حيوانات النقل كالخيل والحمير أو حفظ الأمتعة الفائضة عن الحاجة وقد يجعل فيها الطاحونة والفرن والمطبخ ومسكن للخدم وحجرة استقبال الزائرين (المنظرة) يتوسط ذلك كله بئر لاستخراج الماء اللازم لقضاء بعض الأغراض المنزلية ولشرب الحيوانات وهو لايستخدم كماء للشرب الا فى وقت الأزمات (٢٠) ٠

الشبابيك : وحجرات الطابق الأرضى ذات شبابيك من الخشب وهذه الشبابيك تكون عالية بدرجة كافية بحيث لاتسمح للمار فى الخارج

---

(١٦) أمين سامى ـ تقويم النيل ـ جـ ٢ ٠ ص ٥١٢ نقلا عن الوقائع المصرية العدد ٨٣ فى ٢٩ رجب ١٢٦٣ هـ ـ ١٤ يونيو ١٨٤٦ م

(١٧) علماء الحملة الفرنسية ـ وصف مصر ـ جـ ٣ ٠ ص ٢٤٠ ٠

(١٨) كلوت بك ـ نفس المرجع جـ ١ ٠ ص ٣٩٢ ٠

(١٩) St. John — Ob. Cit. — p. 107.

(٢٠) كلوت بك ـ نفس المرجع جـ ١ ٠ ص ٣٩٣ ٠



بيت السنارى بحى السيدة زينب

سواء كان راجلا أو ممتطيا صهوة دابة من ان يرى أو ينظر من خلال تلك النوافذ ونوافذ حجرات الدور الثانى عادة ما تكون بارزة الى الخارج لمسافة ٥٠ سم أو أكبر وهذه النوافذ تكون مغطاة بما يشبه الشبكة الضيقة من الخشب المتداخل أو المعشق بحيث لاتسمح للأشخاص الذين فى الخارج برؤية من فى الداخل ولكنها تسمح بمرور الهواء وهى لا تمنع دخول الشمس والضوء ونادرا ما يحدث فى حالة الطقس الحار ان تفتح تلك النافذة ذات الشبكة على آخرها وفى هذه الحالة يمكن للشخص المار بالخارج والذى يمتطى ظهر جمل أن ينظر الى داخل (٢١) الحجرة وهذه الشبابيك غالبا ما تكون مطلية بأى طلاء أما اذا كانت هذه الشبابيك معرضه جهة الشمس فعادة ما تطلى باللون الأحمر أو الأخضر فى هذه الحالة يطلق على هذا الشباك اسم ردشان أو الاسم الأكثر شيوعا

(٢١) St John — Op. cit., — p. 108.



قاعة للحريم وبها صفة توضع عليها أوانى الزهور

وهو المشربية ولهذه المشربيات بروز خارجى فى الجهة الأمامية أو جهة الجانبين ويستخدم هذا البروز لوضع اناء من الفخار يستخدم لتبريد ماء الشرب عن طريق التبخير ومن هنا اشتق اسم المشربية أى مكان للشرب واستخدام الزجاج الذى لم يكن معروفا سابقا فى الشبابيك أصبح الآن يمثل طرازا جديدا أو موضة فى القاهرة ومنازل الأثرياء فى القاهرة تتميز بأن شبابيكها ذات أطر بحيث يمكن اغلاقها فى فصل الشتاء لمنع الاحساس بالبرد ويستخدم فى منازل الأثرياء طلاء رقيق مكون من الجبس المخلوط ببعض المواد الملونة لطلاء النوافذ الزجاجية وفى هذه الحالة فانها تسمح

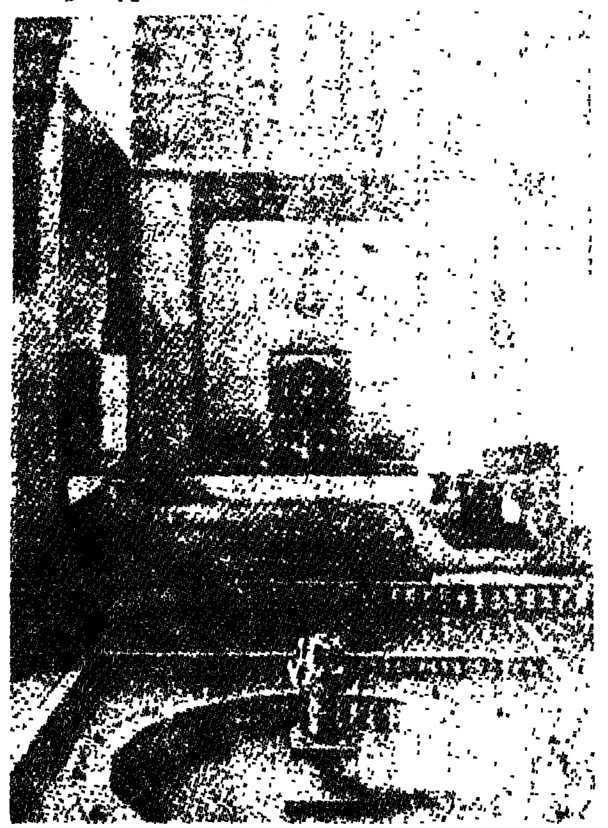
بدخول الضوء ملونا حسب لون الطلاء وحجرات المنزل ليست ذات ارتفاع واحد بل انها مختلفة في ذلك ولذا فان الشخص عليه ان يصعد أو ينزل درجة أو اثنتين عندما ينقل من حجرة الى أخرى مجاورة والسبب من ذلك هو جعل عائق أو مانع بين الحجرات خاصـة تلك المؤدية الى المكان الذى تعيش فيه النساء ويختص القسم الأعلى من الدار بالنساء وهو يحتوى على بهو كبير وكذا مخادع النوم لرب المنزل ولنسائه وجواريه وغرفا أخرى .... الخ وبسبب الطقس الحار فى فصل الصيف فانه يراعى عمل فتحه فى السقف ومنور بحيث يكون متجها ناحية الشمال وتصطدم به الرياح وتتجه الى داخل البيت للتهوية وتجديد الهواء وجـدران الحجرات من الداخل تبطن بمرسومات تمثل الكعبة ومسجد الرسول أو الأزهار أو أى شىء آخر وأحيانا يكتب على جدران الحجرات بعض الأمثـال العربيـة أو الحكم (٢٢) والبيوت فى القاهرة كافة الا القليل منهـا مشيدة على الطراز المتقدم ومقسمة بمقتضاه فاذا وجد اختلاف يسير فى الترتيب بين دار وأخـرى فانما يرجع الى التفـاوت بين أربابها فى الهيئـة الاجتماعية والجاه والثروة فبيوت الأغنياء مثلا توجد بها الحدائق غالبا وتحتوى بيوت العظماء أحيانا صحنين وحديقتين وبنايتين أحدهما للرجال والأخرى للنساء



مقعد رجالي في بداية القرن التاسع عشر

(٢٢) St. John — ibid — p. 109.

وتوجد الحمامات فى بيوت الأغنياء وتبلط جوانبها بالقاشانى وفى وسطها حوض ينبثق منه الماء ويلاحظ فى بيوت الأثرياء بصفة عامة عدم الاهتمام بالمنظر الخارجى الذى كان يبدو رديئـــا على عكس ما تحتويه الدار من الداخل من أفخر التحف وأغلى الأثاث وربما يكون ذلك راجعا الى الذوق العام الذى لم يكن يهتم بالمظاهر الجمالية أو الى التمويه واخفـــاء حقيقة ما تحتويه الدار من التحف النفيسة حتى لايكون مطمع اللصوص أو العامة فى أثناء فترات الشغب والثورات كما ان الأغنياء يحرصون على عمل مخبأ سرى داخل البيت لاســتخدامه فى أوقات الأزمات (٢٣) بالاضـــافة الى منازل الأثرياء كانت هناك فى القاهرة قصور محمد على باشا وعائلته ومن هذه القصور قصر محمد على هذا كان يعرف بقصر الأزبكية الذى بنـــاه محمد بك الألفى ثم أقام به نابليون ومن بعده كليبر الذى قتل فيه على يد سليمان الحلبى (٢٤) • وبميدان الأزبكية كان يوجد أيضا قصر عباس



غرفة استقبال صيفية للرجال

(٢٣) كلوت بك ــ نفس المرجع ــ ص ٣٦٤ ــ جـ ١ •

(٢٤) على مبارك ــ الخطط التوفيقية جـ ١ ص ١٠٢ •

الأول وطوسون قائد الحملة الوهابية (١٨١١) وقصر الدفتر دار محمد بك زوج ابنة محمد على المتوفى عام ١٨٣٣ (٢٥) وكلها قصور كانت تحيط بركة الأزبكية وامتازت بشيئين سعة مساحتها وجمال عمارتها الاسلامية ولم تكن القصور التركية العظيمة قاصرة على حى الأزبكية وحده اذ قامت هناك قصور أخرى غيرها كقصر شبرا فى أقصى شمال القاهرة وقد اهتم محمد على بزراعة حديقة قصر شبرا وانشأ فيها السواقى وزرع مختلف أنواع الخضر والفاكهة والزهور ذات الألوان البديعة المستوردة من بلاد الروم (٢٦) وهناك أيضا قصر الجوهرة بالقلعة وقصره بالجيزة وكلهـــا خاصة بمحمد على باشا كما كان لابراهيم باشا قصر بالجيزة وآخر على النيل مكان الهيلتون الحالى بالقاهرة ٠

ومن وصف بيوت القاهرة السابق ذكره تتضح بعض الخصائص الآتية :

١ ـ المحافظة على عـدم انكشـاف حريم الدار بعـدة وسائل منها جعل شبابيك الطابق الأرضى مرتفعة وتغطية شـبابيك الطابق العلوى بالمشربيات وكذلك جعل الحجرات بالطابق الأرضى غير مستوية الأرضية لاخفاء أهل الدار عن الزوار كما ان الطابق العلوى كان مخصصا لسكن الحريم حتى أطلق عليـه الحريم ولم يكن مسموح بالدخـول اليـه الا لرب الدار ٠

٢ ـ محاولة الاكتفاء ذاتيـا من الطعام والشراب لذلك يوجد بئر فى فناء المنزل لجلب الماء الذى يستخدم فى الأغراض المنزليـة وشرب الحيوانات وفى أوقات الأزمات تستخدم ميـاهه للشرب كما حرصوا على تربية الطيور الداجنة والماعز فى فناء الدار وبنوا الفرن ومخازن الغلال ٠

٣ ـ كذلك أثرت طبيعة الطقس الحار فى فصل الصيف فى تصميم البيوت لذلك عملت فتحة للتهوية وتجديد الهواء فى الأسقف كما ان البيوت كانت تكاد تتلاصق عن طريق المشربيات البارزة التى تقوم بعمل مظلة تقى الأهالى فى الشارع من وهج الشمس والمشربيات كانت تصنع من الخشب المعشق والمتداخل حيث تكون ثقوب ضيقة لتسمح بدخـول الهواء الى الداخـل ٠

٤ ـ لم يهتم الأهالى بالمظهـر الخارجى للبيت حتى لا يكون مطمعـا للسلب أو النهب وخاصة عند الأغنياء الذين حرصوا أيضا على عمل مخبأ سرى يستخدم فى وقت الأزمات ٠

---

(٢٥) محمد فؤاد شكرى بناء دولة مصر محمد على ص ٣٦٥ ٠

(٢٦) الجبرتي عجائب الآثار جـ ٣ ص ٣٧٠ ٠



المشربية

٥ ـ عدم وجود تخطيط مسبق لبناء البيوت لذلك فاننا نجد بعض البيوت تبرز الى الطريق أو لا تبرز على حسب رغبة صاحب الدار •

٦ ـ بداية التأثر بالغرب وتمثل ذلك فى ازدياد استخدام النوافذ الزجاجية ومحاولة توسيع بعض الشوارع وجعلها مستقيمة ثم أخذ بنظام وضع أرقام البيوت وأسماء الشوارع على لافتات •

نمــو القــاهرة

لقد شهدت القاهرة فى تلك الفترة نمــوا عمرانيــا اتخذ شكلين أو اتجاهين تمثل الأول فى زيادة رقعة القاهرة من ناحية المساحة أما الشكل الثانى فتمثل فى ازدياد العمران والأبنية المختلفة داخل المساحات الخالية الممتدة فى القاهرة أو مكانة البيوت الآيلة للسقوط ويلاحظ ان ازدياد العمران لم يكن نتيجة خطة مدروسة ومسبقة ولكنه تم كرد فعل أو نتيجة لنشاطات مختلفة صناعية وتجارية وعسكرية وسكانيــة وصحية وغيرها لذلك فان عمران القاهرة لم يكن ســببا بل كان نتيجة لعوامل أخــرى ومما يدل على ذلك ما ذكره الجبرتى فى عام ١٢٣٣ هـ / ١٨١٧ م ان أجرة البيوت زادت الى عشرة أضعاف الأجر السابق (٢٧) وقال أيضــا فى حوادث عام ١٢٣٥ هـ / ١٨١٩ م ان أجرة المحلات التجارية التى كانت تبلغ ثلاثين نصف فضة ارتفعت ارتفاعا كبيرا وصلت الى ٣٠ قرشا وان الأهالى يسارعون الى استئجار تلك المحــلات قبل أن يتم استكمال البناء وقد أرجع الجبرتى السبب فى ذلك الى زيادة عدد السكان فى القاهرة وأن المدينة ضاقت بأهلها والى زيادة عدد الأجانب بمصر والى استيلاء الباشا وعليــة القوم على عمــال البنــاء لبنــاء انشــاءات مختلفة لهم (٢٨)

أما عن زيادة رقعة القاهرة : يعتبر الاندفاع نحو الأماكن الخالية ونحــو المياه الضرورية لتحقيق البهجة بقدر ما هى ضرورية للحياة نفســها • العامل الأساسى فى تطور الأحياء التى اختارها الارستقراطيون لسكناهم وفى هذا تفسير لاندفاعهم المستمر نحو الشمال الغربى الذى اتخذ طوال تاريخ المدينة شكل الظاهرة الطبيعية حتى وصل الى الخليج ثم تجاوزه متوقفا عند البرك (البحيرات) التى كانت تحد المدينة العثمانية فى الغرب ثم واصل مســيره فى القرن التاسع عشر والقرن العشرين حتى وصل الى النيل ثم ما وراء النيل •

---

(٢٧) الجبرتى : عجائب الآثار — جـ ٣ ص ٥٧٦ •

(٢٨) الجبرتى : عجائب الآثار — جـ ٣ ص ٣٧٤ ، ٦٢٢ •

وقد ذكر أندريه ريمون أن اندفاع الأمراء تجاه الشمال الغربى ونهر النيل حدث فى القرن الثامن عشر وذلك لسببين الأول التماس الأمن والبعد عن مراكز التوتر والثورات وكذلك طلب طيب الهواء ومصدر المياه والثانى هو حسب التقليد أو الموضة التى جعلت الأمراء يقلدون بعضهم(٢٩) ومقدمات نمو القاهرة فى القرن التاسع عشر الميلادى أخذت صورة تكرار فى انشاء قصور للحكام خارج مركز المدينة وأهم الأمثلة قصر محمد على بشبرا وقصر عباس بالعباسية وقصر القبة القصر العالى لابراهيم باشا بجادرن سبتى وفى اتجاه تلك القصور كان العمران يمتد مع الطرق الواسعة المتجهة اليها من المدينة ٠

وفى ٢٧ ربيع أول سنة ١٢٦٥ هـ / ١٩ فبراير ١٨٤٨ م شهدت القاهرة امتدادا عمرانيا ناحية الشرق بانشاء الحصوة أو العباسية فقد صدر النطق العالى فى ذلك اليوم من سعادة أفندينا ولى النعم بعمل رسم عن بلد مستحدثة على اسم دولته جهة الحصوة ويلزم ترتيب من يلزم لأخذ خارطة الأراضى ما بين سكة السويس وسكة الخانكة ببعد مقداره ألف متر وان بين سراى الحصوة والحدود الغربى أرض المزارع (٣٠) ٠

أما عن زيادة العمران والمبانى والانشاءات المختلفة داخل مدينة القاهرة فى تلك الفترة فقد تم على النحو التالى :

١ ـ المنشآت الصناعية

اهتم محمد على بانشاء المصانع أو الفابريكات من أجل اقامة نهضة صناعية يعتمد عليها فى سد حاجات الجيش بصفة أساسية وعلى ذلك فقد شهدت القاهرة عديد من تلك المصانع وأول ما نلاحظ هو تركز المنشآت الصناعية فى منطقتين بالقاهرة وهما القلعة وبولاق وتركزت المصانع العسكرية بالقلعة وقد يرجع ذلك الى الطبيعة الأمنية للقلعة ــ ففى مصنع الأسلحة بالقلعة يشتغل تسعمائة صانع فى معامل الأسلحة يصنعون فى الشهر ما بين ٦٠٠ الى ٦٥٠ بندقية وفى مصنع آخر تصنع زناد بنادق المشاه وسيوف الفرسان ورماحهم وفى معامل أخرى تصنع النيازك (النواشيك) وحمائل السيوف وكل ما يتعلق بمعدات المشاه والفرسان وكذلك الجم والسروج وملحقاتها وصناديق المفرقعات ومواسير البنادق وأهم هذه المعامل معمل صب المدافع الذى يستدعى بذل مجهود

---

(٢٩) اندريه ريمون ــ نفس المرجع ص ٢١٢ ٠

(٣٠) دار الوثائق بالقلعة ــ دفتر ١٢٨ مدارس عربى ص ١٣٧ نمرة ٤١٨ من الديوان الى مدرسة المهندس خان (٢٧ ربيع أول سنة ١٢٦٥ هـ ٢١ فبراير سنة ١٨٤٨ م) ٠

كبير وانتباه أكبر ويصنع فيه ٣ - ٤ مدافع شهريا وفى بعض الأحيان يصب فيه مدافع الهاون وعماله لا يقلون عن ١٥٠٠ عامل (٣١) ولم تقتصر مصانع الأسلحة على القلعة فقد اقيمت ثلاث مصانع فى أماكن مختلفة من القاهرة فمعمل البنادق بالحوض المرصود وتأسس عقب انشاء معامل القلعة وفى حوالى آخر سنة ١٨٣١ م شرع فى جمع العمال له وأعد للعمل وقد كان قبل هذا التاريخ معملا للنسيج وبلغت أعداد العمال فى هذا المعمل ألفا وخمسمائة شخص ما بين عامل ورئيس عمال وصبى وهم يصنعون فى الشهر نحو ٩٠٠ بندقية كما انشىء مسبك للحديد فى بولاق وكان مبناه فخما وله منظر جميل ينم عما يؤديه وقد وضع رسم هذا المسبك سيوجالدى المهندس الميكانيكى الذى كان فى خدمة الوالى وقد وضعه على نموذج مسبك لندن والمكلف بادارته رئيس انجليزى ومعه خمسة من الانجليز وثلاثة ملطيون رؤساء عمال وفيه أربعون تلميذا مصريا موزعون على جميع أقسام المسبك · وقد تأسس فى جزيرة الروضة بالمقياس معملا للبارود فى مكان فسيح وبلغ عدد عماله ٩٠ عاملا موزعون على أقسامه الكثيرة (٣٢) ·

وقد أقيمت هذه المصانع فى أماكن أخرى غير القلعة وقد يرجع ذلك الى عدم وجود أماكن كافية لها بالقلعة فقد أقيم المصنع الأول بالحوض المرصود بسبب وجود مصنع للنسيج فى هذا المكان لذلك أمكن بسهولة احلال صناعة البنادق بدلا من النسيج · والثانى أقيم فى بولاق وقد يرجع ذلك الى ملائمة حى بولاق لانشاء المصانع حيث انها تقع مباشرة على النيل وبها مرسى نيلى للمراكب الناقلة للخامات · أما المصنع الثالث فقد أقيم فى جزيرة الروضة وذلك لخطورة صناعة البارود وخشية اندلاع الحرائق والانفجارات لذلك أقيم فى منطقة غير مأهولة السكان كما حرص على أن تكون قريبة من مصدر المياه لمواجهة الحرائق عند نشوبها وأسلوب تشييد مصانع الأسلحة تم باحدى طريقتين :

الطريقة الأولى : على النظام الأوربى حيث ان المشرفين على المصانع كانوا يجلبون من الخارج وتعهد اليهم مهمة انشاء المصنع وادارته لذا فانهم كانوا ينقلون نماذج المصانع الأوربية وحدث هذا فى مسبك الحديد ومصنع البارود ·

---

(٣١) عمر طوسون - الصنائع والمدارس الحربية فى عهد محمد على - الاسكندرية مطبعة صلاح الدين الكبرى سنة ١٩٣٢ ص ٣٤ ·

(٣٢) عمر طوسون - نفس المرجع ص ٣٧ ·

والطريقة الثانية : هي استغلال مصنع قائم وتحويل انتاجه الى انتاج آخـر كما حدث ذلك في معمل البنادق بالحوض المرصـود وبجانب المصانع الحربية التى أنشاها محمد على أسس مصانع أخرى فى القاهرة مثل مصنع الغزل والنسج بالخرنفش الذى أسس عام ١٨١٦ م (٣٣) وقد شهد حى بولاق عديدا من مصانع الغزل والنسيج بحيث يمكن أن نطلق على هذا الحى اسم حى صناعى وقد أنشئت عام ١٢٣٤ هـ / ١٨١٨ م فبريقة الجوخ وفى عام ١٢٣٧ هـ / ١٨٢١ م أنشئت دواليب القطن الهندى وفى عام ١٢٣٨ هـ ـ ١٨٢٢ م تم انشاء الفبريقة الكبرى (فبريقة مالطة وقد عرفت بهذا الاسم لكثرة عدد المستخدمين الملطيين بها) وفى ١٢٤٤ هـ ـ ١٨٢٨ م تم انشاء مصنع مبيضة فى جهة البحر وأنشئت فى جوار المحل المذكور ودواليب القطن تدار بالنار (أى البخار) وفى ١٢٤٦ هـ ـ ١٨٣٠م انشئت عنابر لصناع العباءات (٣٤) وفى عام ١٨٣٣ م تم انشاء مصنع النسيج البركال بالقرب من مبيضة بولاق ولم يقتصر انشاء مصانع الغزل على حى بولاق بل اقيمت بعض المصانع الأخرى فى القاهرة مثل مصنع النسيج ومشاط الغزل بحى السيدة زينب وبلغ عدد عمـاله ٥٠٠ عامل كما أنشئت مصانع للمنسوجات الصوفية والحبال بالقاهرة (٣٥) وفى الروديه بجوار المغربلين أنشئت ورشة للترزية طولها مائة وثلاثون ذراعا وعرضها تسعون محاطة من جهاتها الأربعة بغرف تشغيل الأسطوات الترزية يتوسطها ميدان واسع وقد بنيت سنة ١٢٤٨ هـ / ١٨٣٢ م وفى الحسنية بجوار مسجد الظاهر أقيم مصـنع للورق فى عام ١٢٤٩ هـ / ١٨٣٣ م كما اتخذت الحكومة جانبـا من مسـجد الظاهر وأقامت به مصبغة فى عام ١٢٣٢ هـ / ١٨١٦ م (٣٦) ٠ من هذا يتضح أن بولاق قد استأثرت بالنصيب الأكبر من المصانع التى شـيدها محمد على وقد يرجع ذلك الى قربها من مصدر المياه (النيل) والى وجود ميناء لبولاق ييسر عملية نقل الخامات والبضائع ٠

٢ ـ المنشآت التجارية :

ازداد عدد المخازن والمحلات التجارية بشـكل ملحوظ فى القاهرة خلال تلك الفترة ويرجع ذلك الى نظام الاحتكار الذى طبقه محمد على فى

(٣٣) الجبرتى : عجائب الآثار ـ جـ ٢ ٠ ص ٣٠٥ ٠

(٣٤) دار الوثائق ترجمـة وثيقة من محفظة رقم ١٠٣ عابدين ـ ملف متفرقات ١٢٤٦ هـ ٠

(٣٥) عمر طوسون ـ نفس المرجع ص ٨ ـ ١٣ ٠

(٣٦) دار الوثائق بالقلعة ـ نفس الوثيقة ٠

الصناعات والتجارة مما أدى الى ازدياد الحاجة لمخازن حكوميه لتخزين المنتجات الصناعية أو الحاصلات الزراعية أو التجارية وكذلك فان عدد سكان القاهرة قد ازداد بشكل ملحوظ كنتيجة للاهتمام بالصحة وهجرة كثير من الفلاحين الى القاهرة للعمل بمصانع الباشا وورود أعداد كبيرة من الأجانب للعمل فى المصانع أو بغرض التجـارة أو التدريس فى المدارس الحكومية وغير ذلك ٠

وقد استغل بعض كبار القوم مثل سليمان السلحدار تلك الظروف (فتسلط على بقايا المساجد والمدارس والتكايا التى بالصـــحراء ونقل أحجارها وانشأ بجهة خان الخليلي وكالة وجعل بها حواصــــل وطبـــاقا وأسكنها نصارى الأروام والأرمن بأجرة زائدة اضعاف الأجرة المعتادة وأجرة الحانــوت بثلاثين قرش فى الشهر والعجب فى اقدام الناس على ذلك واسراعهم فى تاجيرها قبل فراغ بنائها ثم أخذ بناحية داخل باب النصر مكانا متسعا يسمى حوش عطى انشأ فيه أبنية عظيمة تحتوى على خانات متداخلة وحوانيت وقهاوى ومساكن وطباق وسكن غالبها أيضا الأرمن وخلافهم بالأجرة الزائدة ثم انتقل الى خان الخليلي فأخذ الخان المعـروف بخان القهوة وما حوله من البيوت والأماكن والحوانيت والجامع المجاور فهدم ذلك كله وأنشأ خانا كبيرا يحتوى على حواصـــل وطباق وحوانيت عدتها ٤٠ حانوت ٣٠ أجرة كل حانوت ٣٠ قرشا فى كل شهر ثم انتقل الى جهة الخرنفش بخط الامشاطية وأخذ أماكن ودورا وهدمها وكان يطلب رب المكان ليعطيه الثمن فلا يجد بدا من الاجابة فيدفع له ما سمحت به نفسه ان شاء عشر الثمن أو اقل أو أزيد بقليل واذا قيل له انه وقف أمر بتخريبه ليلا ثم يأتى بكشـــاف القاضى فيراه خـرابا فيقضي له (٣٧)) ٠

أما المخازن الحكومية فقد أقيمت فى بولاق لملائمة المكان لذلك فأول مخزن قد انشأ فى بولاق ١٢٣٢ هـ / ١٨١٦ م وفى ١٢٣٣ هـ / ١٨١٧ انشئت وكالة الأصناف وأخرى للسكر وفى ١٢٣٨ هـ / ١٨٢٢ م أنشئت وكالة للحصير وفى ١٢٤٠ هـ / ١٨٢٤ م انشئت شونة لخزن القطن ـ فى عام ١٣٤١ هـ / ١٨٢٥ م أنشئت شونة للعصفر وأخرى للحناء وفى ١٢٤٤ هـ ١٢٤٥ ، ١٨٣٨ ، ١٨٢٩ م انشئت مخازن حصر وفى ١٢٣٩ هـ / ١٨٢٣م أنشئت حواصل فى بولاق لخزن مهمات عساكر الجهادية وفى ١٢٤٠/ ١٨٢٤ م أنشئت شـونة جديدة للمسك وانشئت ١٢٤١ ، ١٢٤٢ هـ / ١٨٢٥ ، ١٨٢٦ م شونة للفحم وانشئت ورمت شـونة جرايات الجهادية الواقعـــة ببولاق ١٢٤٦ ، ١٢٤٨ ، ١٨٣٠ ، ١٨٣٢ م وانشئت ببولاق

---

(٣٧) الجبرتى عجائب الآثار جـ ٣ ٠ ص ٦٢١ ٠

١٢٤٨ هـ / ١٨٣٢ م بالرسانة مخازن الصيدلة وغرف أيضا (٣٨) وفى
وفى عام ١٢٣٤ هـ/١٨١٨ م رمت الحكومة بيت عبد الله الراد الواقع بخط
الخرنفش لتأجيره مخزن للأقمسة وهذا المخزن تحفظ فيه منتجات مصنع
الخرنفش للنسيج الذى تأسس عام ١٨١٦ م .

٣ ـ المنشآت الصحية :

اهتم محمد على بالعنايه بصحة المصريين الذين يعتمد عليهم فى بناء دوانه الحربية ولذلك أسس محمد على مدرسة الطب ١٨٢٧ م اجابة لاقتراح الدكتور كلوت بك مقرها فى أول عهدها بـأبى زعبـل لوجود المستشفى العسكرى بها من قبل فأنشئت المدرسة بالمستشفى اذ كان اليق مكان فى ذلك الحين لايواء المدرسة لتوفر وسائل التعليم الطبى والتمرين والغرض منها تخريج الأطباء المصريين للجيش ثم صار الغرض عاما بأن صار الأطباء يؤدون من الأعمال الصحية للجيش وللبلد عامة (٣٩) ولكن ظهرت منذ نقل معسكر التعليم العسكرى من الخانقاه حاجة الى نقل المدرسة والمستشفى من أبى زعبل الى نقطة أخرى فخصص فى عام ١٨٣٢ م للمستشفى ومدرسة القصر العينى الكبرى الواقعة بين القاهرة وبولاق تجاه جزيرة الروضة على مسافة قليلة من العاصمة والقصر العينى بناية مربعة الشكل تحيط به المنتزهات الجميلة وله طابقان فوق الطابق الأرضى وكل الاجنحة منه عبارة عن ضفتين من الغرف تفصلهما دهاليز بقدر امتدادهما وكل جناح ينقسم الى أربع غرف فى كل غرفة خمسون سريرا والطابق الأرضى عبارة عن مغاور معقودة تصلح لمستودعات ومخـازن وفى وسط المبنى صحن فسيح جدا مغروس بالأشجار ويلى الجناح القبلى أربع بنايات كبيرة مفصولة بعضها عن بعض الأول خاص بالتشريح والمعامل الكميائية وغرف الطبيعة والثانية غرف النوم وغرف الطعام والثالثة للصيدلة العموميـة والرابعة للمطابـخ والحمامات والمغاسـل ومن هذا الوصف ترى أنه كان من المتعذر وجـود أصلح من هذا المكان ولا أحسن موقعا لوضع المدرسة الطبية فيه أما المزايا الناشئة عن نقل المدرسة من أبى زعبل الى القاهرة ففوائده جليلة منها أن المستشفى أصبح قريبا من مكان الحامية وان المرضى لا يحتاجون فى الوصول اليه الى قطع المسافات الطويلة لا سيما وانه فى قدرتهم اختصـار الطريق الموصلة اليه سواء برا أم بطريق النيـل وكذا المرضى فانـه بعد أن كانوا موزعين على مستشفى أبى زعبل والأزبكية فى القاهرة قد أصبحوا الآن

---

(٣٨) دار الوثائق بالقلعة ـ نفس الوثيقة .

(٣٩) عبد الرحمن الرافعى ـ عصر محمد على ـ الطبعة الثانية ـ مطبعة النهضة سنة ١٩٥١ ص ٤٦٩ .

مجتمعين فى مستشفى واحد وألحقت بمدرسه الطب مدرسة خاصة بالصيدلة ثم مدرسة للقابلات والولادة واختيرت لهذه الأخيرة طائفة من السودانيات والحبشيات تعلمن فيها اللغة العربية وفن الولادة والحق بمدرستهن مستشفى صغيرة للنساء ثم نقلت المدرسة من أبى زعبل الى القاهرة وجعلتا بالقرب من مكان المستشفى الملكى الجديد فى قسم من الجناح المخصص للنساء • وعندما كانت المستشفى فى أبى زعبل سمح للمرضى من غير العسكريين بالعلاج بها كما خصص قسم خاص لاستقبال المريضات من النساء وبعد نقل المستشفى الى القصر العينى فى عام ١٨٣٢ جعل مستشفى ملكيا لعلاج فقراء المرضى من الذكور والاناث وموقع هذا المستشفى فى ميدان الأزبكية جميل جدا وهو يتألف من بنايتين حديثتى العمارة ومنفصلتين عن بعضهما وقد كان هناك فى القاهرة مستشفى قديم يأوى الفقراء والمجانين من الرجال والنساء بناه الناصر محمد بن قلاوون ولكنه أصبح فى حالة سيئة من الأهمال وتداعت جدرانه وقلة ايرادات الأعيان الموقوفة عليه لذلك تقرر نقل المرضى منه الى المستشفى الملكى الجديد حيث يتلقون العناية الكافية (٤٠) ولم تقتصر جهود محمد على للعناية بالصحة على انشاء المستشفيات فقد عمل على تخليص القاهرة من أحد مشاكلها القديمة والمزمنة وهى انتشار أكوام وتلال الأتربة بها والتى كانت تملأ جو القاهرة بالغبار فى أيام كثيرة من العام ومن المعروف أن قادة الحملة الفرنسية قاموا بازالة بعض تلك التلال ثم قام محمد على بهدم كثير من التلال والكثبان التى تحيط بالقاهرة أو تتخللها وتثير الرياح ما فيها من الأتربة والقاذورات (٤١) وقد أشار الجبرتى كثيرا الى العربات العديدة التى تسير فى شوارع القاهرة وهى تحمل الأتربة والقاذورات بعيدا •

وبالاضافة الى ذلك قام محمد على بردم بعض البرك فى القاهرة من أجل الحفاظ على الصحة العامة وعدم انتشار الأوبئة والأمراض وزيادة العمران بالمدينة • فقد كان الى قرابة عام ١٨٣٥ ميدان الأزبكية (٤٢) فى وقت الفيضان يتحول الى بركة واسعة على غرار بركة الفيل وبركة الرطلى وبركة عابدين وبركة الناصرية وهذه البحيرات كانت تبدو فى وقت الفيضان فى منظر جميل حيث يتنزه فيها أفراد الشعب وتتنقل خلالها القوارب وكانت تطل على شواطئها المنازل الجميلة والملاهى والمقاهى فاذا ما انحصرت المياه يبذر فيها الأهالى الحب وخاصة فى بركة الأزبكية وعندما

---

(٤٠) كلوت بك ــ نفس المرجع حـ ٢ • ص ٦٣٠ ، ٦٣٤ •

(٤١) عبد الرحمن الرافعى ــ نفس المرجع ــ ص ٦٠٢ •

(٤٢) عبد الرحمن زكى ــ القاهرة تاريخها وآثارها ــ دار الطباعة الحديثة ١٦٦٦ ص ١٣٧ •

يسمو الزرع نبدو للناظرين خضراء جميلة وبعد حصـد المحاصيـل عادت جدباء وفي هذه الحالة يلقي فيها الأهـالي مخلفاتهم وفضـلاتهم القـذرة فتتصاعد منها الروائح العفنة الكريهة التي تعكر صفاء الجو وفي عام ١٨٣٥ أمر محمد علي باشا بردم بركة الأزبكية بناء على مشورة الأطباء ثم عهد الى برهان بك رئيس ادارة الأشغال العمومية بأن يغرس مكانها حديقة واسعة ينسمعها على اسلوب الحدائق الأوربية وعلى غرار شارع شبرا الذى صار منتزها جميلا وكانت أراضي ميدان الأزبكية وقفـا لأسرة الشيخ البكرى وبلغ مساحتها أربعون فدانا فضمت الى المنافع العامة وأعطي المستحقون بدلها عشرة أمثالها من الأراضي الزراعية قرب بهتيم وقد خط برهان بك ثلاثة شوارع كبيرة في الميدان لمرور الناس والمركبات وغرس على جوانب تلك الشوارع الأشجار الوارفة الظلال وردم جزء كبير من البركة وأحاط الميدان بقنـاة ذات مرتفع عرضـها عشر أمتـار لتسمح برى جميع أرجاء البستان كما حفر جدولا عرضـه خمسة عشر مترا بوسط الميدان لتخزين ميـاه القنـاة الخارجية فيه لاستخدامها في رى هذا البستان طوال العام وغرس الأشجار على جوانب القناة الخارجية والجدول الداخلي واستخدم آلة لرفع المياه في أيام الجفاف لرفع المياه من القناة الخارجية الى الجدول الخارجي وأقام قنطرتين جميلتين على الشـارع الرئيسي المؤدى الى بولاق وكذلك أضيفت معابر كثيرة لتسهيل المرور بين نواحي الميدان وبعد مضى أربعة أعوام اكتمل انشاء الميدان على ذلك التنسيق الجميل وكانت مقصد سكان الأحياء المجاورة للجلوس والترويض حيث أقيمت المقاهي النظيفة غير أنه بعد قليل صدر الأمر بردم القناة عقب احتجاج قناصل الدول الأوربية وبعض الأعيان بحجة أنه في بعض الأوقات كان الناس يلقون فيها قاذورات الخيل وفضلات البيوت فينشأ عن ذلك الحميات وتنتشر الأوبئة وبناء على طلب قنصل انجلترا وبعض أصحاب البيوت ترك مجرى للمياه صغير مغطى لرى حدائقهم حتى لا تتلف بانقطاع المياه عنها وعلى اثر ذلك انقطع خرير المياه الهادئة واقفرت البساتين وأهمل شأن الميدان وبدأ يغشاه أصحاب المهن الحقيرة والباعة المتجولون وأهمل شأنه حتى عهد الخديوى اسماعيل. كذلك قام محمد على بردم بركة الفيل وغرس على جوانبها الأشجار وبنى قصر الحلمية وكذلك قام كبار الأعيان ببناء دور لهم في ذلك المكان (٤٣).

٤ — المنشآت التعليمية :

تتمثل المنشآت التعليمية التى تمت في عهد محمد علي في المطبعـة الأميرية والمدارس المختلفة وقد شيدت مطبعة بولاق على قطعة الأرض التى

---

(٤٢) عبد الرحمن زكى — نفس المرجع ص ١٤٨ .

انشأت عليها فيما بعد الترسانة الأميرية على ضفة النيل الى الشمال قليلا من الموضع الحالى فى بولاق ونظرا لزيادة عمالها ومعداتها فقد وصلت الى مكانها الحالى وكان ذلك فى غرة محرم سنة ١٢٤٥ هـ / ٣ يوليه ١٨٢٩ م ويقع موضع المطبعة بالنسبة للمؤسسات الأميرية الأخرى الكائنة ببولاق على النحو التالى ان اتجهنا من الجنوب الى الشمال قابلنا الجمرك فالمطبعة ثم ورشة أصبحت فيما بعد مدرسة للهندسة ومصنعا للأصواف والترسانة أما مبنى الجمرك فقد الحق بالمطبعة وتاتى بعد ذلك مخازن البوليس وورش كوك التى احتلت المكان الذى يشغله مصنع الورق ثم الترسانة آخر الأمر (٤٤) وعلى أية حال فان مطبعة بولاق لم تظل على الحال التى كانت عليها عند تأسيسها وقد ذكر أمين سامى تاريخ تأسيس مطبعة بولاق وهو ٨ صفر ١٢٣٧ هـ / ٤ نوفمبر ١٨٢١ م (٤٥) وهناك وثيقة تأكد ان تاريخ مطبعة بولاق هو ١٢٣٧ هـ / ١٨٢١ م (٤٦) ٠ وقد طلب قاسم أفندى ناظرها سنة ١٢٤٩ هـ / ١٨٣٣ م من أدهم بك ناظر مهمات الحربية الحاق مخزن النجارة القديم بمبنى المطبعة ليكون فيه السبك وسائر الأعمال واجراء الترميمات التى تتعلق بهذا التوسيع وعرض أدهم بك الطلب على مجلس الشورى العسكرى الذى قرر أن يقوم وكيل الأبنية وقاسم أفندى برئاسة أدهم بك باعداد ما يلزم لهذا المشروع (٤٧) وفى ٦ من ربيع الأول سنة ١٢٥١ هـ / ٤ يونيو ١٨٣٥ م أمر الوالى ناظر الجبس والجير بأن يقوم ببناء رصيف أمام مطبعة بولاق وفابريقة الجوخ قبل الفيضان وقاية لهما من الغرق فأمر الوالى بارسال ٢٠٠ر٠٠٠ قنطار من الدبش على (٤٨) وجه السرعة وذلك يثبت ان المطبعة كانت قريبة جدا من ضفة النيل ٠

أما المدارس التى قام محمد على بانشائها فان أول ما قام به حسب قول الجبرتى مدرسة المهندس خانة بالقلعة (أمر محمد على ببناء مكتب بالقلعة ورتب فيه جملة من أولاد البلد ومماليك الباشا وجعل معلمهم حسن أفندى المعروف بالدرويش الموصلى(٤٩))٠ ويبدو ان مدرسة المهندس خانه بالقلعة لم تكن كافية لسد حاجة البلاد من المهندسين لذلك تقرر انشاء مدرسة للهندسة فى بولاق عام ١٨٣٤ م وفى عام ١٨٣٦ م وتقرر انشاء مدرسة الألسن بالأزبكية ومدرسة المعادن بمصر القديمة أسست سنة١٨٣٤م

---

(٤٤) خليل صابات ـ تاريخ الطباعة فى الشرق العربى الطبعة الثانية دار المعارف سنة ١٩٦٦ م ص ١٥٤ ٠

(٤٥) أمين سامى تقويم النيل ص ٢٤٥ ٠

(٤٦) دار الوثائق بالقلعة نفس الوثيقة ٠

(٤٧) أمين سامى تقويم النيل جـ ٢ ٠ ص ٤١٥ ٠

(٤٨) خليل صابات ـ نفس المرجع ٠ ص ١٥٥ ٠

(٤٩) الجبرتى ـ عجائب الآثار ـ جـ ٣ ٠ ص ٤٧٦ ٠

ومدرسة المحاسبه بالسيدة زينب أسست سنة ١٨٣٧ ومدرسة الفنون والصنائع وتسمى مدرسة العمليات أسست ١٨٣٩ م وتولى نظارتها يوسف حكيكيان بك ومدرسة الصيدلة بالقلعة أسست سنة ١٨٢٩ م ومدرسة الزراعة بنبروة ثم نقلت الى شبرا سنة ١٨٣٦ وألغت سنة ١٨٣٩م ومدرسة الطب البيطرى انشئت أولا برشيد ثم نقلت الى أبى زعبل بالقرب من مدرسة الطب ثم الى شبرا وتولى ادارتها المسيو هامون والمدرسة التجهيزية التانوية بأبى زعبل ثم نقلت الى الأزبكية (٥٠) . وفى عام ١٨٣٧ تم انشاء ديوان المدارس وهو يقوم بالاشراف وادارة المدارس المختلفة بمصر وقد قرر هذا المجلس تنظيم التعليم بالمدارس ووضع لائحة لنشر التعليم الابتدائى وقرر انشاء ٥٠ مدرسة ابتدائية منها أربعة بالقاهرة .

٥ ـ منشآت عمرانية أخرى :

بجانب المنشآت السابق ذكرها عرفت القاهرة أنواعا أخرى من الانشاءات خلال تلك الفترة فهناك أعمال أقيمت لأغراض خيرية أو دينية ولعل مسجد محمد على بالقلعة هو أهمها وقد وضع الباشا حجر أساس مسجده فى يوم الخميس ١٩ جمادى الأولى ١٢٤٤ هـ / ١٨٢٨ م (٥١) والمسجد فى مجموعة مستطيل البناء وينقسم الى قسمين : ـ القسم الشرقى وهو المعد للصلاة والغربى وهو الصحن تتوسطه فسقية ولكل من القسمين بابان أحدهما قبلى والآخر بحرى والقسم الشرقى مربع الشكل طول ضلعه من الداخل ٤١ مترا تتوسطه قبة مرتفعة قطرها ٢١ مترا وارتفاعها ١٢ مترا محمولة على أربعة عقود كبيرة متكئة اطرافها على أربعة أكتاف مربعة يحيط بها أربعة انصاف قباب ثم نصف قبة خامس يغطى المحراب وذلك خلاف أربع قباب أخرى صغيرة بأركان المسجد وقد كسيت جدران المسجد من الداخل والخارج وكذلك الأكتاف الأربعة الداخلة الحاملة للقبة الى ارتفاع ١١ مترا بالرخام الالبستر الوارد من محاجر بنى سويف ويعلو مدخل الباب الغربى المؤدى الى صحن دكة المبلغين بعرض المسجد المقامة على ثمانية أعمدة من الرخام فوقها عقود والمحراب من الرخام الألبستر يجاوره المنبر الرخامى الجديد وبالقرب منه المنبر الخشبى القديم ومساحة الصحن ٥٣ × ٥٤ مترا يحيط به أربعة أروقة ذات عقود محمولة على أعمدة رخامية تحمل قبابا منقوشة من الداخل ومغطاة من الخارج بألواح من الرصاص مثل القبة الكبيرة وبوسط الصحن قبة مقامة على ثمانية أعمدة من الرخام تحمل عقودا مكونة منشورا ثمانى الاضلاع فوقه زخرف به

---

(٥٠) عبد الرحمن الرافعى ـ نفس المرجع ص ٤٧٢ .

(٥١) امين سامى ـ تقويم النيل حـ ٢ ـ ص ٣٤١ نقلا عن الوقائع المصرية .



أحد جوامع القاهرة

زخارف بارزة وبداخل هذه القبة قبة أخرى رخاميــة ذات ثمانية أضلاع وبها طراز مكتوب به بالخط الفارسى آية الوضوء وقد اصاب هذا المسجد خلل اقتضى هدم قبته الكبيرة وما حولها من انصاف قباب صغيرة واعادة بنائها ١٩٣٨ م وتبلغ ارتفاع مئذنته ٨٥ مترا من مستوى أرضى المسجــد وهو مبنى على طراز مسجد السلطان أحمد أحمد بالقسطنطنية (٥٢) وكان محمد على قد أمر فى الخامس من محرم ١٢٥٣ هـ ـ ١٨٣٧ م بعمل مكتبة للكتب النفيسة بمسجده بالقلعة وكذلك عمل ساعة دقاقة به (٥٣) وقد ذكر كلوت بك أن عدد المساجد بالقاهرة ٤٠٠ واذا تصفحت وثائق المحكمة الشرعية بالشهر العقارى ستجد أعدادا كبيرة من التصاريح بانشاء أو تعمير واصــلاح التكايا والزوايا والمســاجد وكذلك بالسماح باضــــافر منابر أو حصر وخلافه وهذه التصاريح بأســماء الأهالى الذين يتطوعون لانجاز تلك المهام بدافع التقوى والصلاح .

وبالاضافة الى ذلك ولغرض أعمال الخير تم اقامة بعض الأسبلة بالقاهرة وينسب الى محمــد على سبيله بالعقادين على رأس حارة الروح بالغورية سنة ١٢٣١ هـ ـ ١٨١٥ م وسبيله بالنحاسين أمام مسجد النــاصر محمد

(٥٢) شحاته عيسى ابراهيم ـ القاهرة ـ دار الهلال ـ بدون تاريخ ـ ص ٢٣٤ .
(٥٣) أمين سامى ـ تقويم النيل جـ ٢ ـ ص ٢٨٣ .

سنة ١٢٣٦ هـ ـ ١٨٢٠ م صـــدقة على روح ابنه طوسون المتوفى سنة ١٢٣١ هـ / ١٨١٥ م وسبيله بالنحاسين أمـام مسجد النـــاصر محمد ابن قلاون ومدرسة الظاهر ببولاق أنشاه سنة ١٢٤٤ هـ ـ ١٨٢٨ م صدقة على روح ولده اسماعيل بك الذى توفى بالسودان سنة ١٢٣٨ هـ ـ١٨٢٢م وواجهتا السبيلين نصف دائرية تقريبا بهما شبابيك من النحاس المصبوب بأشكال زخرفية ويعلو كل شباك لوحة رخامية بها كتابات تركية تعلوهـا زخارف وطرز ويغطى الجميع رفرف خشبى محلى بزخارف مذهبه والحق بكل سبيل مدرسة لتعليم الأطفال القرآن الكريم ومن أشهر الأسبلة التى انشئت فى مصر فى هذا العهد سبيل السلحدار على رأس حـارة برجوان أنشأه سلمان أغا السلحدار سنة ١٢٥٥ هـ ـ ١٨٣٩ م (٥٤) وقد ازداد عدد سكان القاهرة فى تلك الفترة زيادة ملحوظة حتى ان البلد ضاقت بأهلها حسب قول الجبرتى ونظرا لتلك الزيادة شاهدت القـاهرة حركة عمرانية واسعة لتواكب زيادة الأهالى وارتفعت أجرة المساكن ارتفاعا كبيرا وصل الى عشرة أضعاف الأجرة السابقة كما ذكر الجبرتى وقد قام كبار القوم ببناء بيوت عظيمة لهم بحى الأزبكية وميدان الرطلى (٥٥) وقد أشار الجبرتى الى العربات التى تروح وتغدو محملة بالأتربة ومواد البناء كما ان الباشا وكبار الموظفين استولوا على عمال البناء وسخروهم لبناء ما يلزمهم من مبانى كما ان الباشا أمر المهندسين بتحديد البيوت التى على وشك الهدم فهدمها وقد استغل بعض الموظفين تلك المناسبة فكانوا يخربون ليلا الاوقاف التى يريد ازالتها لبناء بدلا منها بيوت وحواصل ووكائل ومحلات وخانات لتؤجرها باعلى الأسعار كما استغل كبار الموظفين انقـاض تلك المبـانى لبناء قصور لهم (٥٦) ونظرا لزيادة عدد كبار الضباط بجيش محمد على وزيادة عدد الموظفين قامت حكومة محمد على بشراء وترميم كثير من بيوت القاهرة وانعم بها على كبار الضباط والموظفين وبين عامى ١٢٤٠ هـ / ١٨٢٤ م ١٢٤٦ هـ/ ١٨٣٠ م أقامت الحـكومة مكانين احـداهما لاقامة الباشجوشية فى بولاق والأخرى لاقامة الجنود فى سوق الزلط كما انها أقامت فى عام ١٢٤٨هـ / ١٨٣٢ م فى ديوان الجهادية ثكنات لاقامة المتقاعدين من رجال الجيش (٥٧) ٠ ونظرا لارتفاع أعداد الأجانب بالقاهرة ازداد انشاء الوكائل والفنادق فى القاهرة وقد قام سليمان السلحدار على سبيل المثـال بانشاء وكالة بخان الخليلى لتأجيرها للنصارى الأروام باعلى الأسعار كما انشأ عمارة ليقيم فيها ارباب الصنائع الوافدين من بلاد الافرنج ٠ ومن أشهر الفنادق التى أنشئت

---

(٥٤) شحاته عيسى ابراهيم ـ نفس المرجع ـ ص ٢٣٣ ٠

(٥٥) الجبرتى ـ عجائب الآثار ـ جـ ٣ ـ ص ٥٨٦ ٠

(٥٦) الجبرتى ـ عجائب الآثار ـ جـ ٣ ـ ص ٥١٦ ٠

(٥٧) دار الوثائق بالقلعة ـ نفس الوثيقة ٠

فى هذا العهد فندق شبرد وأنشأه فى عام ١٨٤١ م شخص انجليزى يدعى شبرد لينزل فيه المسافرون فى طريقهم الى الهند وبلاد الشرق وكان يطلق عليه أول الأمر اسم الفندق البريطانى الجديد ثم أضاف اليه اسمه فصار يعرف باسم فندق شبرد البريطانى (٥٨) فلما صادق هذا الفندق اقبالا نقله فى نفس العام الى مكانه الذى ظل فيه بشارع الجمهورية شمال غربى حديقة الأزبكية حتى احتراقه ضمن الحريق المروع الذى تكبت به القاهرة فى يناير عام ١٩٥٢ م ٠

وقد قام محمد على باعمال عمرانية أخرى فعندما شرع محمد على فى بناء قصر شبرا أهتم بزراعة أنواع مختلفة من الخضر والفاكهة والزهور المتعددة الألوان فى حديقة القصر وانشأ طريق شبرا يصل الى قصره وزرع على جانبيه الأشجار فأصبح منتزها لأبناء القاهرة وأقيمت على جانبيه المقاهى (٥٩) وانشأ ابراهيم باشا حديقة للنباتات المختلفة والأشجار بجزيرة الروضة ٠ وفى ١٥ أغسطس ١٨٣٥ م أصدر محمد على أمرا عاليا يقضى بأن لا يجوز لأى انسان أم ينزع المخلفات (الانتيكات) والآثار القديمة وبانشاء دار للتحف (انتيكخانة) بسراى الدفتر دار القديمة (٦٠) وبالقرب من القلعة يوجد بناء جانبى صغير لاحق بها هو معرض الوحوش الذى انشأه محمد على باشا ويه بعض الحيوانات مثل الأسد والضبع والنمر وهى مربوطة الى الحوائط بسلاسل قوية هائلة بالقرب من أوكارها القذرة وقد كان كلوت بك يقوم بتربية بعض الحيونات فى حديقة منزله ومنها النعام والغزلان كما كان لديه أسد صغير (٦١) ٠

وفى ذلك العهد اقيمت رصد خانة فى بولاق وكان بدء الرصد بها فى سنة ١٨٤٦ م (٦٢) ٠ وكانت الرصد خانة تقوم بتحديد اوائل الشهور العربية وعدد الأيام كل شهر فتذكر على سبيل المثال أن محرم سيبدأ يوم السبت وعدد أيامه ثلاثون وشهر صفر سيبدأ يوم الاثنين وعدد أيامه تسع وعشرون وشهر ربيع الأول سيبدأ يوم الثلاثاء وعدد أيامه ثلاثون ٠٠٠ الخ

وهكذا وتقوم بارسال ذلك الجدول الى المدارس وقد ذكر الجبرتى فى بداية عام ١٢٢١ هـ / ١٨٠٥ م أنه (استهل المحرم بيوم الخميس حسابا

---

(٥٨) جيراردى نوفال ـ رحلة الى الشرق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٩١ ٠

(٥٩) فردريك ـ ترجمة أحمد زكى ـ مصر والجغرافيا ـ الطبعة الأولى ـ المطبعة الاميرية ١٩٠٠ ص ٣١ ٠

(٦٠) ورنر ـ نفس المرجع ص ١٩ ٠

(٦١) ورنر ـ نفس المرجع ٠ ص ٢١ ٠

(٦٢) فريدريك ـ نفس المرجع ـ ص ٨ ٣٠

ويوم السبت هلال) (٦٣) معنى ذلك ان حساب بداية الأشهر القمرية بالحساب كان معروفا قبل انشاء الرصد خانه ولكن أهالى القاهرة كانوا يتبعون طريقة رؤية الهلال بالعيان لتحديد بداية الأشهر العربية لذا فان الجدول الذى كان يصدر عن الرصد خانة بعد انشائها قد يكون من غير المسموح بأستخدامه الا داخل جدران المدارس لتحديد أيام الاجازات وأوقات الامتحانات وبداية الدراسة هذا ولم تعمر الرصد خانة طويلا حيث تم الغائها خلال عهد محمد على ٠

---

(٦٣) الجبرتى ـ عجائب الآثار ـ ج ٣ ـ ص ١٣٤ ٠

البريد والتلغراف

أتبع محمد على نظام الادارة المركزية فى مصر وكان يحكم البلاد بواسطة موظفين قابلين للعزل ولذا كان من أهم أعمال الحكومة الاتصال بموظفيها لاصدار التعليمات لهم وتلقى التقريرات منهم لذا أهتم محمد على بنقل الرسائل الحكومية بين القاهرة وسائر انحاء القطر المصرى والى مكة والسودان والشام وكذلك ادت زيادة عدد الأجانب بمصر وكثرة مصالحهم وشئونهم الى الحاجة لانشاء بريد خاص بهم يقوم بنقل الرسائل المتبادلة بينهم وبين بلادهم الأصلية كما ان مصر قامت بدور وسيط أو متوسط بين انجلترا ومستعمراتها فى الهند فى مجال نقل الرسائل كما ازدادت حاجة أهالى القاهرة الى استخدام البريد الخاص حتى انه جاء فى الأمر الصادر من محمد على بشأن وضع أرقام على البيوت وأسماء الشوارع على لوحات خشبية أن ذلك يسهل عملية نقل البريد الى الأهالى ٠

وبالنسبة للبريد الحكومى بين القاهرة والاسكندرية فقد جاء فى مكاتبة من محمد على الى محرم بك محافظ الاسكندرية بتاريخ ٢ رمضان سنة ١٢٤٠ هـ ٢٣ مارس ١٨٢٤ م ـ مدة البريد بين المدينتين قد أصبحت ٢٩ ساعة وهذا أحسن جدا (٦٤) ٠ وقد كان يقوم بنقل البريد سعاة يركبون الهجين وذلك فى محطات بين القاهرة والاسكندرية أما كيفية ترتيب محطات البوستة والشروط اللازم توافرها فى السعاة والأدوات التى يستخدمونها فيتبين ذلك من الأمر الصادر من محمد على فى ٥ شعبان ١٢٤٧ هـ / ١١ ديسمبر ١٨٣٠ م الى حبيب أفندى « بأنه قد اطلع على ترتيب محطات البوستة المعمولة بمعرفة أبنه ابراهيم باشا المرسل لك من دولته وعلم أن يعين واحد ساعى لكل محطة فان كان ذلك فى محله لكن السعاة الذين يعينون يلزم أن يكون لهم المام بالقراءة والكتابة وبالنسبة لقلة وجود ذلك يلزم تعليمهم الأرقام الحسابية من واحد لحد أثنى عشر واعطاء كل واحد

(٦٤) دار الوثائق بالقلعة ـ دفتر رقم ١٩ معينة تركى ترجمة الوثيقة رقم ٤٤ بتاريخ ٢ رمضان سنة ١٢٤٠ هـ ٠

ساعة فضة لاجل عند وصول الهجانة لأى محطة تكتب الساعة التى قـام فيها لمعرفة تأخيره من عدمه (٦٥) وفى ١٥ جماد الآخر سنة ١٢٥١ هـ / ١١ أغسطس ١٨٣٥ م صدر أمر من محمد على الى وكيـل مجلس الملكيـة بابطال بوستـات البر واستعمـال السفن فى نقـل البوستـة بين مصر والاسكندرية (٦٦) ولكن يبدو أن نقل البريد بين القاهرة والاسكندرية عن طريق البر ظل معمـولا به الى جـانب نقـل البريد بحـرا وفى ٢٩ شعبان ١٢٥٣ هـ / ٣١ أكتوبر ١٨٣٧ م أصبحت مدة البريـد بين الاسكندريـة والقاهرة ٢٤ ساعة فى ذلك اليوم تأخر البريد ٣٩ ساعة ونصف ولذلك صدر تنبيه شديد الى مأمورى وخدمة البوستة بعدم تكرار ذلك والا فان العقاب سوف يكون الضرب الشديـد مهما كانت الاعـذار (٦٧) . كانت الرسائل تنقل أيضا عن طريق السعاة ومحطات البوستة بين القاهرة ومصر الوسطى مرة كل أسبوع وبين القاهرة والصعيد مرة كل شهر . كما ان البريد كان ينقل أيضـا بنفس الطريقة الى السويس وفى عهد عباس تم تمهيد الطريق الموصل من مصر الى السويس تمهيدا حسنا بالحجر ليتيسر لعربات البريد أن تسير فيه يوميـا لنقل السائحين وبوستة الهند (٦٨) أما المدة التى كان البريد يقطعها بين القاهرة ومكة فتتراوح من ١٧ ، ١٨ يوما والمسافة بين كل محطة وأخرى كانت تتراوح بين ٢٤ ـ ٣٠ ساعة(٦٩) وفى ٤ محرم ١٢٥٣ هـ / ١٠ أبريل ١٨٣٧ م ـ صدر أمر من محمد على بعمل ترتيب لتصل البوستة من مصر الى السودان فى ١٥ يومـا (٧٠) .
أما البريد الخاص فى ذلك العهد فكانت له مكاتب غير حكومية تقوم بتوزيع الرسائل وكان القائم بتلك العملية بالقاهرة الشيخ البديلى وفى الاسكندرية شخص ايطالى اسمه كارلو ميرات وقد انشـأ الأخير مكتبا فى الاسكندرية وكان يأخذ الرسائل من السفن التى تصل الى الميناء ويوزعها أو يرسلها الى المرسل اليهم وعندما قررت الحكومة الانجليزية فى سنة ١٨٣٥ م أرسال البريد من انجلترا الى الاسكندرية مرة كل شهر فى طريقه الى الهند كان كارلو ينقله الى السويس حيث يسلمه لسفن شركة الشرق الهندية فتحمله الى الجهات المرسل اليها وفضـلا عن ذلك قـام كارلو منذ سنة ١٨٤٣ م بجمع وتوزيع البريد بين القاهرة والاسكندرية وبعد ذلك امتد الى المـدن الرئيسية بالدلتا ولما توفى كارلو خلفه فى مؤسسته هذه التى عرفت باسم

---

(٦٥) أمين سامى ـ تقويم النيل ـ جـ ٢ . ص ٣٨٦ .
(٦٦) أمين سامى تقويم النيل ـ حـ ٢ . ص ٤٥٢ .
(٦٧) أمين سامى ـ تقويم النيل ـ حـ ٢ . ص ٤٨٧ .
(٦٨) فردريك ـ مصر والجغرافيا ـ ص ٣٣ .
(٦٩) أمين سامى ـ تقويم النيل ـ جـ ٢ . ص ٤٧١ .
(٧٠) أمين سامى ـ تقويم النيل ـ حـ ٢ . ص ٤٨٣ .

البريد الأوربى أبناء أخيه ولقبهم شيني، وقد استمر نظام البريد فى عهد عباس وسعيد كما كان فى عهد محمد على (٧١) وقد سمح للوكلاء البريطانيون فى القاهرة والاسكندرية باستخدام محطات البريد الواقعة بين المدينتين والبالغ عددها ٢١ محطة حتى يبلغ بعضهم بعضا أثناء وصول سفن البريد وورود المكاتبات الى الاسكندرية أو السويس كما سمح باستخدام هذه المحطات فى أى غرض من أغراض الخدمة العامة ٠

التلغراف :

أدخل محمد على نظام التلغراف الهوائى الذى قصر استخدامه على خدمة الباشا والذى كلف بانشاء التلغراف الهوائى هو رجل يدعى ايدو وقد احضر من فرنسا نموذجا (الارابتيك) والنظارات وغير ذلك من الألات اللازمة وانتخبت المحلات وأقيمت الأبراج وتم انشاء التلغراف فى سنة ١٨٢٦م تحت ادارة المسيو كوست وهذه أسماء المحطات التى أقيم بها التلغراف بالقاهرة (بالقلعة) بولاق (بطابية) أبو الغيط ثم زنيقة شلقان ثم كفر الفرعونية ثم منوف ثم نادر ثم بيشتامى ثم زاوية البحر ثم ببيان ثم جزائر عيسى ثم بكبان دمنهور ثم الضروى ثم بركة غطاس ثم الكربون ثم البيضا ثم الاسكندرية وكانت الأخبار تنقل عن طريق (٧٢) هذا التلغراف بين القاهرة والاسكندرية فى ٤٠ دقيقة (التلغراف الهوائى) وفى عام ١٨٤٠ م بنى خط أخر يكون من ١٦ برجا من القاهرة الى السويس بكل برج آلة التلغراف على الطريقة القديمة وذلك لارسال (٧٣) الرسائل عن حركة السفن والمسافرين بين القاهرة والسويس ٠

---

(٧١) احمد الحتة ـ تاريخ مصر الاقتصادى ـ ص ٢٦١ ٠

(٧٢) فردريك ـ نفس المرجع ٠ ص ٣٠ ٠

(٧٣) احمد الحتة ـ نفس المرجع ـ ص ٢٦٢ ٠

الشئون الصحية

لقد عانت الشئون الصحية وصحة المصريين كثيرا من الأهمال وعدم الاهتمام خلال العهد العثمانى حيث لم تلق العناية الكافية من السلطات كما أن ثقافة الأهالى كانت ضئيلة للغاية حيث اعتقدوا فى الدجل والسحر والشعوذة واعتمدوا كثيرا على الاحجبة والتمائم والرقى وأطلاق البخور والصفات المتوارثة فى مقاومة وعلاج الأمراض كما يتضح ذلك من قصة أبنة محمد على عندما مرضت وفشل الأطباء فى علاجها فلجأ محمد على الى أحد الرهبان الذى قرأ عليها بعض الكلمات من أجل شفائها (٧٤) . كما ان المصريين كثيرا ما يلجأون الى الحمامات العامة عند شعورهم بارتفاع حرارة الجسم أو تغير لون الجلد كوسيلة للتخلص من المرض كما عرفت مصر كما ذكر كلوت بك نوعين من الأطباء تشتغل احداهما بالتطبيب فقط والأخرى بالعمليات الجراحية ، والطبقة الأولى تعرف بالحكماء واستمدت معلومتها القليلة عن طريق التواتر والقليل منهم من توسع فى قراءة كتب الطب القديمة مثل كتاب القانون لأبن سينا وهم يعتمدون فى طرق علاجهم على المسخنات أو المرطبات أو المسهلات أو المقويات (٧٥) والطبقة الثانية تعرف بالجراحين ورغم قلة معلوماتهم وادواتهم فانهم يقومون بعمل عمليات كثيرة مثل تضميد الجراح وعلاج الرض والخلع والكسر والجبير وفتح الخراريج والحجامة والبذل وخلع الأسنان وكان كل ذلك يتم بطرق بدائية بالاضافة الى بعض الدجل (٧٦) ورغم ذلك فان كلوت بك قد ذكر أن بعض العمليات التى تجرى فى العين كانت تصادف بعض الأحيان النجاح .

وبالنسبة للمستشفيات العامة فقد كان بالقاهرة أثناء العصر المملوكى مؤسسات علاجية عظيمة بالنسبة لعصرها مثل مارستان قلاوون ، ومارستان المؤيد الذى كان هو الآخر عظيما وان كان قد تحول الى أنقاض فى العصر العثمانى .

---

(٧٤) Religion in the Middle East — op. cit., p. 428.

(٧٥) كلوت بك ـ نفس المرجع جـ ٢ . ص ٥٧٧ .

(٧٦) كلوت بك ـ نفس المرجع جـ ٢ . ص ٥٧٨ .

وقد كان مارستان قلاوون (٧٧) وربما كان هو الوحيد من بين هذه المؤسسات العلاجية التى قدر لها أن تبقى بالقاهرة ، عندما زاره أحد علماء الحملة الفرنسية بصحبة الشيخ عبد الله الشرقاوى ١٧٩٨ م كان فى حالة تدهور تام ، ففى هذا المبنى الواسع الذى يضم ثمانى غرف كبيرة يمكنها أن تضم ما يقرب من مائة مريض ، لم يكن فى ذلك الوقت به سوى ٢٧ مريضا وأربعة مخبولين و٢٥ سريرا خشبيا و ٥٠ سريرا حجريا ، هى كل أثاث المبنى وقت الزيارة ٠

ولم يكن نزلاء المارستان يلقون أية رعاية ، وكان يكتفى بتقديم الطعام لهم ، وكان قسم الأمراض العقلية يتكون من فناءين صغيرين واحد للنساء وآخر للرجال ولكل فناء ثمانية عشر كشكا ٠ ومع ذلك فانه اذا كان هذا البناء الرائع قد أصابه التدهور التام بسبب اهمال الأتراك والمماليك ــ وحسب تعبير جومار ــ فانه يعد أحسن حظا من غيره فقد بقى منه على الأقل شيء بينما لم ير الفرنسيون من المارستان القديم (المؤيد) سوى أطلال وخرائب أهملت من زمن بعيد (٧٨) كما عرفت القاهرة فى ذلك الوقت بعض الأوربيين الذين كانوا يقدمون اليها ويدعون مزاولة مهن الطب وقدرتهم على شفاء الأمراض المستعصية (٧٩) ٠

بالاضافة الى كل ذلك فان جهل أهالى القاهرة بقواعد النظافة حيث لاحظ الرحالة الأجانب فى ذلك الوقت أن شوارع القاهرة ليست نظيفة وملوثة بالقاذورات كما أن الأهالى كانوا يستخدمون الخليج الذى يمتلاء بالمياه أثناء الفيضان أى من أغسطس الى أكتوبر فكان يصبح بقية العام مجرد مستنقع شبه جاف ، تفوح منه رائحة كريهة وتتجمع فيه كل قاذورات المدينة وتتكدس حتى يجرفها فيضان العام التالى ٠ واذا أخذنا فى الاعتبار كل هذه الظروف ، بالاضافة الى جهل سكان القاهرة لابسط القواعد الصحية وأكثرها بدائية ، فلن يدهشنا ان نعرف أن القاهرة قد تعرضت للعديد من الأوبئة المهلكة التى حدثت فى الغالب بعد فترات المجاعات والغلاء ٠ كما حدث فى عامى ١٧٨٥ ــ ١٧٨٦ ، حين وصل رقم الموتى حسب تقدير فولنى الى ١٥٠٠ يوميا وكذلك فى عام ١٧٩١ حتى بلغ عدد حالات الوفاة ما بين ١٥٠٠ و ٢٠٠٠ يوميا (٨٠) ٠ وخلال الحملة الفرنسية شهدت الشئون

---

(٧٧) Paduell Op. Cit. p,. 45.

(٧٨) اندريه ريمون ــ نفس المرجع ٠ ص ٦٠ ٠

(٧٩) الجبرتى ــ عجائب الآثار ٠ ج ٣ ٠ ص ٥٩ ٠

(٨٠) اندريه ريمون ــ المرجع السابق ــ ص ٥٩ ٠

الصحية بعض الاهتمـــام من جانب الفرنسيين ويسجل الجبرتى شيئا غير قليل من الأعمال أو التنظيمات ، التى كان لها أثر طيب على حيـــاة أهل مصر • فمن ذلك عنايتهم بالصحة والنظافة • فقد أمروا ألا يدفن أحد الموتى داخل القاهرة ، وخصصوا لذلك أماكن فى خارجها • وأمروا بالتبليغ عن المرضى عند وجود وباء ، وعدم الانتقال من مكان موبؤ ، ومن يخالف هذين الأمرين يقتل ومنعوا الناس من دخول القاهرة مدة الوباء ، ومن دخل يقتل، ولو كان فرنسيا وحتموا أن يكشف الطبيب على كل مريض ، وأقاموا حجرا صحيا فى بولاق يتلقون فيه كل قادم للقاهرة ويحجزوه حتى يكشف عليه فان كان مريضا منع من دخولها وينقل اليه كل مريض حتى يشفى أو يموت، وحتموا كذلك نشر الثيـــاب ، وتطهير المنـــــازل حتى لاينتقل منها واليها الوباء ولا شك فى أن من أكبر الدوافع لهم على اصدار هذه القرارات ، المحافظة على ســلامة جيوشـــهم ، ولكن هذا لاينفى أن المصريين رأوا لأول مرة، هذه الحيطة والعناية بالصحة العامة (٨١) •

شئون الصحة فى عهد محمد على :

أهتم محمد على بشئون الصـــحة اهتماما بالغـا وذلك بسبب كثرة انتشار الأوبئة فى مصر كالطاعون والكوليرا ورغبته فى العناية بصحة المصريين لتكوين جيش قوى وتحقيق طموحاته الداخليـــــة والخارجيـــــة وكانت الوســـائل التى لجأ اليها اما وقائية كالحجر الصحى أو عـــلاجية كالاعتماد على معاونة الأطباء الأجانب أمثال كلوت بك فى بحث الشئون الصحة العـــامة ، واتخاذ ما يلزم لمكافحة هذه الأمراض وكذلك انشـــاء مدرســـة للطب واستحضـــار الكتب الطبية والأدوية واقامة المستشفيات وايفاد البعوث الطبية الى الخارج وتشجيع الأطبـــاء الأجانب ، هذا الى جانب مطاردة الدجالين من الوطنيين والأجانب ، الذين كانوا يغررون بأبناء البلاد وينتحلون لانفسهم صفة الأطباء حتى يروجوا بضاعتهم الزائفة ، كما حدث هذا مع أربعة من الأجانب الذين أدعوا الطب (٨٢) حيث قام الباشا بطردهم خارج البلاد وقال « ولو فعل مثـــل هذه الفعلـــة بعض المسلمين ، لجوزى بالقتل أو الخازوق » •

الوسائل الوقائية والعلاجية :

اهتم محمـــــد على بطرق الوقاية من الأوبئـــــة التى تنتشر فى مصر وهى الكوليرا والطاعون فقـــد حـــدث فى عـــام ١٢٤٦ هـ / ١٨٣١ م ان

(٨١) محمود الشرقاوى : مصر فى القرن الثامن عشر ـ مكتبة الأنجلو ـ ١٩٥٤ جـ ١ ـ ص ١٨٣ •

(٨٢) الجبرتى ـ عجائب الآثار جـ ٣ ص ٥٥٨ •

حمل العائدون من الحجاز ميكروب الكوليرا الى السويس الذى انتشر سريعا الى القاهرة والاسكندرية وأدى الى وقوع ضحايا عديدين مما جعل محمد على يفرض حجر صحى فى ميناء السويس مدته أربعون يوما على كل من أتى من أراضى الحجاز (٨٣) وقد عاود الوباء ظهوره فى شهر صفر ١٢٥٢ هـ / مايو ١٨٣٦ م (٨٤) وفى شهر رجب ١٢٥٣ هـ / سبتمبر ١٨٣٧ م (٨٥) وقد لاحظ المعاصرون أنه يجتاح البلاد مرة كل عشرة أعوام تقريبا ثم تقل الاصابات به كثيرا عشرة أعوام أخرى وبعد ذلك يعود الى الظهور بشكل وبائى فى الأعوام العشرة التالية على التوالى ٠

كما عرفت البلاد مرض الطاعون بشكل وبائى فقد لاحظ الفرنسيون وجود هذا الوباء عند نزولهم فى مصر وفى عام ١٢٢٨ هـ / ١٨١٢ م ظهر المرض بشكل وبائى حيث ذكر الجبرتى أن الأطباء قد أشاروا على محمد على بعمل كرنتيلة بالاسكندرية فلا يدعون أحد المسافرين الواردين فى المراكب من الديار الرومية يصعد الى البر الا بعد مضى أربعين يوما من وروده (٨٦) وذكر الجبرتى أيضا شيئا من اجراءات الوقاية التى اتخذت عند انتشار الطاعون فى شهر جمادى الثانى ١٢٣٤ مارس ١٨١٨ فقال فى هذا الشهر حصل بعض موت بالطاعون فدخل الناس بسبب ما حدث فى التحجب وعمل الكورنتيلات وهى المنع من الملامسة وتبخير الأوراق والمجالس ونحو ذلك وقضى الباشا شهر رمضان من هذا العام وهو مكرتن بشبرا ولم يطلع القلعة كعادته فى شهر رمضان (٨٧) ولم ينقطع ظهور وباء الطاعون فى السنوات التالية ولعل أخطر انتشار له كان فى عام ١٨٣٥ عندما اجتاح القاهرة وبلاد الوجه البحرى بشكل عنيف وقضى على الكثير حتى بلغوا فى القاهرة وحدها كما اذيع وقتذاك واحد وثلاثين ألفا ولو أن القنصل كامبل اعتقد أن عددهم كان يزيد كثيرا عن ذلك (٨٨) ٠ واهتم محمد على بالقضاء على مرض الجدرى الذى كان يظهر بشكل وبائى فى بعض السنوات كما حدث فى عام ١٢٤١ هـ / ١٨٢٥ م ، ١٢٥٢هـ / ١٨٣٦ م وذلك بالقيام بحملة تطعيم شاملة على مستوى البلاد ٠ فقد صدر أمر

---

(٨٣) دار الوثائق بالقلعة محفظة ١٠١ ودفتر ٤١ وثيقة ٢٨/١٤٦ رمضان ١٢٤٦ هـ ٠
(٨٤) دار الوثائق بالقلعة محفظة ١٠١ دفتر ٧٧ وثيقة ٤١٨ فى ٢٩ صفر ١٢٥٢ هـ ٠
(٨٥) أمين سامى – تقويم النيل – جـ ٢ ٠ ص ٤٨٧ غرة رجب ١٢٥٣ هـ ٠
(٨٦) الجبرتى – عجائب الآثار جـ ٣ ص ٣٤١ ٠
(٨٧) الجبرتى عجائب الآثار جـ ٣ ٠ ص ٦١٩ ٠
(٨٨) محمد فؤاد شكرى بناء دولة مصر (محمد على) ص ٨٧ ٠

من محمد على فى ٣ ذى الحجه ١٢٤١ هـ ١٠ يونيو ١٨٢٥ م لجميع الجهات بأن استحضر اثنين من الحكماء الفرنساويين بواسطة قنصل فرنسا وانهما سيقومان بتطعيم الأهالى بمادة الجدرى وتعليم من يلزم فن التطعيم (٨٩) ٠

ومن الوسائل الأخرى التى اتخذها محمد على للوقاية من الأمراض هى اصدار أمر بابعاد الجبانات خارج جميع المدن والقرى ونقل أسواق السمك وأماكن الذبح الى أرض خلاء بعيدة عن السكن (٩٠) ٠

وكانت عادة ادمان المخدرات كالحشيش والأفيون منتشرة بين الأهالى وكانت الدولة تقوم بزراعة وتجارة الأفيون حتى بلغت أرباح البلاد من تجارة الأفيون سنويا ٣٠٢٤٩٣ قرشا (٩١) ولكن فى عام ١٢٥٣ هـ ـ ١٨٣٧ م صدر أمر محمد على الى مدير الايرادات بأنه علم من أفادته حصول ضرر للأهالى من تعاطى الحشيش ودأب أغلب العمال الشغالة بالمصالح تعاطى هذا الصنف وناشىء منه ذلك حصول تأخير فى الأشغال ومرغوب بها منع ذلك وحيث تحققت مضرة هذا الصنف فليلزم الغاء هذا القلم من الايرادات وانه قد صدرت أوامر لكافة المديرين فى تاريخه يمنع زرع هذا الصنف (٩٢) ٠ أعطى محمد على عناية كبيرة لاقامة مؤسسات علاجية بغرض الاهتمام بصحة الجنود والضباط فى الجيش ولعب كلوت بك دورا هاما فى هذا المجال وقد حضر الى مصر عام ١٨٢٥ لهذه الغاية وقام بأنشاء مجلس طبى مكون من خمسة أطباء وجراحين وصيادلة للاشراف على النواحى الصحية فى مصر وكان أول عمل قاموا به هو أدخال نظام المستشفيات العسكرية فى فيالق الجيش وأنشئت صيدلية مركزية بالقاهرة تقوم بتحضير الأدوية لجميع الجيوش المصرية (٩٣) كذلك شيدت عام ١٨٢٥ م مستشفى عسكرى فى أبى زعبل وانشئت بها مدرسة لتعليم الطب فى عام ١٨٢٧ م انضم لها مائة طالب وبعد خمس سنوات تم نقل المستشفى والمدرسة الى مكان يقع بين القاهرة وبولاق وعرفت بالقصر العينى وكانت تتسع من ١٠٠٠ الى ١٥٠٠ سرير وكانت تقوم بعلاج المرضى المدنيين والعسكريين على حد سواء الى جانب تعليم الطب

---

(٨٩) امين سامى ـ تقويم النيل ـ جـ ٢ ٠ ص ٣٦ ٠

(٩٠) محمد فؤاد شكرى ـ نفس المرجع ـ ص ٧٨٨ نقلا عن تقرير كمبل ٠

(٩١) محمد فهمى لهيطة ـ تاريخ مصر الاقتصادى ـ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ـ ١٩٤٤ ص ٢٣٨ ٠

(٩٢) امين سامى ـ تقويم النيل ـ جـ ٢ ٠ ص ٤٨٨ ٠

(٩٣) كلوت بك نفس المرجع جـ ٢ ٠ ص ٦١١ ٠

لطلبة المدرسة وقد نقلت المدرسة والمستشفى الى هذا المكان لأنه أكثر ملائمة للمرضى من ناحية ومن ناحية أخرى لأن معسكر الجيش الذى كان بالخانقاه قد نقل الى مكان آخر (٩٤) كما انشئت مستشفى ملكى فى ميدان الأزبكية لكى تقوم بعلاج فقراء المرضى من الذكور والاناث وقد نقل الى المستشفى نزلاء البيمارستان (مستشفى قلاوون) حتى يلاقوا عناية أفضل (٩٥) وبالقرب من المستشفى الملكى انشئت مدرسة الولادة وألحق بها مستشفى للولادة والنسا يتعلم فيها بنات القاهرة وبعض السودانيات طرق التوليد ومعالجة النساء (٩٦) فى عام ١٢٦١ هـ / ١٨٤٥ م صدر أمر باتساع مدرسة الولادة لكثرة عدد التلميذات وقد كانت السلطات تقوم بتشجيع النساء على الوضع بالمستشفى وذلك بصرف مبلغ ثلاثين قرشا للوالدة وملابس لطفلها باثنى عشر قرشا (٩٧) أما بالنسبة لعلاج النساء فى القاهرة من سائر الأمراض فان ذلك كان يتم تحت اشراف بعض الأغوات الذين تعلموا الطب (٩٨) وفى عام ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م تكون مجلس الصحة العمومية • وفى عام ١٢٥٨ هـ / ١٨٤٢ م أصدر مجلس الصحة قرارا بانشاء مستشفى برسم المجانين جهة الأزبكية ونقل المجانين الموجودين بالمستشفى الملكى اليها (٩٩) وفى عام ١٢٦٦ هـ / ١٨٥٠ م تقرر اغلاق المستشفى الملكى وتوفير مصروفاتها ونقل محتوياتها من اسرة وأدوات ومرضى الى مستشفى القصر العينى (١٠٠) وفى نفس العام تقرر انشاء مرستان بفم الخليج على أن يكون على حرف الطريق الذى يوصل من القصر الى السيدة زينب (١٠١) كما زرعت حديقة حول هذه المستشفى ويبدو ان هذه المستشفى قد شيدت بغرض نقل المجانين من القاهرة اليها حتى يكونوا فى مكان بعيد الى حد ما عن السكان •

تلك كانت أهتمامات محمد على بشأن أقامة المؤسسات العلاجية ولكن

---

(٩٤) كلوت بك ــ نفس المرجع جـ ٢ • ص ٦٢٨ •

(٩٥) كلوت بك ــ نفس المرجع جـ ٢ ص ٦٣٦ •

(٩٦) دار الوثائق بالقلعة : محفظة ٤٩ دفتر ١٤٣ جزء أول مكاتبة رقم ٢٥ ص ١٢٠ •

(٩٧) دار الوثائق بالقلعة : دفتر ١٤٤ مدارس عمومى صفحة ٧٦٣ نمرة ٢٤/٢٤ من محرم ١٢٦١ هـ •

(٩٨) أمين سامى : تقويم النيل جـ ٢ • ص ٤٨١ •

(٩٩) أمين سامى : تقويم النيل ــ جـ ٢ • ص ٥١٨ •

(١٠٠) دار الوثائق بالقلعة دفتر ١٤٣ مدارس عربى صفحة ٤٢١ ، ٣٩٦ من الديوان الى الألسن فى ٢١ ذى الحجة سنة ١٢٦٥ هـ •

(١٠١) دار الوثائق بالقلعة دفتر ١٠٣ مدارس عربى بصفحة ٢٧٦١ نمرة ٢١٧١ فى سنة ١٢٦ هـ •

جهوده لم تقف عند ذلك فقد أعطى اهتماما كبيرا لصحة التلاميذ فقد عين بكل مدرسة طبيبا وأحيانا طبيب لثلاثة مدارس يقوم بمراعاة وملاحظة وعلاج التلاميذ (١٠٢) وكذلك جعلت اجزاخانة لصرف الأدوية فى احدى المدارس لكى تقوم بسد حاجة عدد من المدارس بجوارها وكانت الأوامر تصدر الى طبيب المدرسة بأن يقوم بعلاج الأمراض البسيطة أما الأمراض المستعصية أو العمليات الجراحية فانه يلزم تحويلها الى المستشفى العام (١٠٣) ولا يرسل اليها ما يمكن علاجه بواسطة الحكيم وكان الأطباء الذين يعينون فى المدارس فى بادىء الأمر من الأوربيين ولكن بمضى الزمن بدأ احلال الأطباء المصريين الذين أتموا دراستهم بمدرسة الطب محل الأطباء الأجانب (١٠٤) .

---

(١٠٢) دار الوثائق بالقلعة محفظة ٤٩ ـ دفتر ٣٩ جزء رابع ص ٤٤٣ مكاتبة ٤١١ بتاريخ ١٠ ربيع الثانى سنة ٦٢ هـ .

(١٠٣) دار الوثائق بالقلعة : محفظة ٤٩ دفتر ٩ جزء ثانى ص ٦٣٣ ـ ٣٧ ذو القعدة سنة ١٢٦٠ هـ .

(١٠٤) دار الوثائق بالقلعة دفتر ١٤٤ مدارس عربى صفحة ٨٠٧ نمرة ٣٩ من الديوان الى شوارى الأطباء فى ٧ ص ٦٦ .



الباب الثالث

الشئون الثقافية

التعليم

لقد ربط محمد على سياسته التعليمية بنظامه العسكرى وخططه الكبرى لبناء دولة حديثة ونظام التعليم فى بداية القرن التاسع عشر كان تعبيرا عن مطالب الحاكم وطموحاته الداخلية والخارجية وقد استهدف محمد على بناء جيش قوى واستلزم تكوين الجيش أشياء عديدة منها وجود الرجال العسكريين المدربين على النظام الحديث ووجود الأطباء البشريين والبيطريين والمهندسين الذين يقومون على رعاية الجيش ومده بالأسلحة الحديثة . وقد التمس محمد على الخبرة الأجنبية والتجربة الناجحة أيا كانت جنسيتها . ولقد أهتم كثير من الدارسين والباحثين بسياسة ونظام محمد على تجاه التعليم (١) .

ولذلك فلن نعرض تفصيلات سياسة محمد على التعليمية ولكن سنحاول التركيز على جوانب أخرى تتعلق بموضوع التعليم وتتناسب مع البحث الذى نحن بصدده مثل الجهات التى قدم منها طلبة المدارس الحديثة والأزهر والبعثات العلمية المصرية وكذلك على التركيب الاجتماعى لهؤلاء الطلبة ومدى انتشار العنصر المصرى بينهم وكذلك مدى تأثير كل منهم على مجتمع القاهرة ولكننا سنعرض فى بداية الأمر عرضا وجيزا لنظام التعليم خلال عهد محمد على .

١ — التعليم فى المرحلة العالية (الخصوصية) : ارتبطت نشأة التعليم الحديث فى مصر برغبة الباشا فى تحقيق مشاريعه العمرانية والحربية والاقتصادية ولذا بدأ الحاكم بتوجيه اهتمامه كله الى المرحلة العليا من التعليم التى تشمل مدارس التخصص .

وقد أنشأ الباشا أول مدرسة بالقلعة وهى مدرسة المهندس خانة ثم

---

(١) للمزيد من التفاصيل عن التعليم فى عهد محمد على انظر .

احمد عزت عبد الكريم — تاريخ التعليم فى عصر محمد على — مكتبة النهضة ١٩٣٨ وعبد الرحمن الرافعى — عصر محمد على .

تنابع انشاء المدارس الخصوصية فأنشئت المدرسة الحربية بأسوان وبعد ذلك أسست الدار سخانة الملكية لاعداد موظفين للدواوين الحكومية ومدرسة الادارة الملكية لتخريج موظفين ومترجمين يقومون بنقل الكتب التى ترغب الحكومة فى نقلها الى العربية والتركية وفى فترات مختلفة أنشأت الحكومة مدارس الطب والطب البيطرى والزراعة والمهندس خانة (فى بولاق) والألسن والمدارس الحربية كأركان الحرب والمشاه والفرسان والمدفعية وكلها أنشئت قبل تنظيم المدارس فى سنة ١٨٣٦/١٨٣٧ وكانت مهمة تلك المدارس هى تخريج الموظفين فى مجالات الادارة المدنية والعسكرية وفى عام ١٨٣٧ أنشئت مدرسة المحاسبة ومدرسة العمليات والفنون والصنايع ١٨٣٩ والتى تحولت الى ورشة العمليات عام ١٨٤١ ومدرسة القانون الادارى سنة ١٨٤٠ م ٠

٢ ـ **التعليم فى المرحلة المتوسطة التجهيزية** : كان الغرض منه اعداد التلاميذ للمرحلة التخصصية وقد بدأ انشاء المدارس التجهيزية سنة ١٨٢٥ عندما افتتحت مدرسة القصر العينى الحربية وعند صدور لوائح تنظيم التعليم ١٨٣٦/١٨٣٧ م تقرر انشاء مدرسة تجهيزية بالقاهرة تسع ١٥٠٠ تلميذ وأخرى بالاسكندرية تسع ٥٠٠ تلميذ كذلك أنشىء المكتب العالى بالخانكة سنة ١٨٣٦ م ليقوم بدور المدرسة الابتدائية والتجهيزية وهذا المكتب مخصص لمماليك الجناب العالى ولليتامى والأطفال الذين يحظون بعطف الباشا ٠

٣ ـ **التعليم فى المرحلة الأولى** : أنشئت مكاتب المبتديان عام ١٨٣٣ م وذلك بهدف اعداد التلاميذ للمرحلة التجهيزية ونشر التعليم بين الأهالى وعند صدور لوائح تنظيم التعليم تقرر انشاء خمسين مكتبا للمبتديان منهم أربعه بالقاهرة ، وفى عام ١٨٤١ ألغيت مكاتب المبتديان ثم أعيد افتتاحها بعد عدة شهور وسميت مدارس المبتديان وأصبح عدد مدارس المبتديان بالقاهرة مدرسة واحدة فقط وقد خضع التعليم لادارة مركزية وكانت المدارس تتبع فى بادىء الأمر ديوان الجهادية وفى فبراير ١٨٣٧ تقرر فصل شئون التعليم عن ديوان الجهادية وانشاء ديوان المدارس تحت رئاسة مصطفى بك مختار وعضوية كلوت بك وكانى بك وأرتين بك ـ اسطفان بك ـ حكيكيان بك فارين بك ـ رفاعة بك ـ بيومى ـ لمبير وأيضا هامنت والسكرتير هوم دوزول ويلاحظ على ديوان المدارس أن غالبية أعضائه كانوا من العنصر الغير مصرى حيث لم يكن بينهم من المصريين الا اثنين الشيخ رفاعة والشيخ بيومى ٠

طلبة المدارس الحديثة وطلبة الأزهر :

ان من يبحث حالة التعليم فى المدارس الحديثة التى أنشئت فى عهد

محمد علي وحالة التعليم في الأزهر في تلك الفترة سيجد اختلافا كبيرا في أسلوب تعليم واختيار الطلبة وكذلك في مدى العزلة أو الاندماج بين المؤسسات التعليمية ومجتمع القاهرة فبالنسبة لاختيار وانتقاء طلبة المدارس الحديثة فقد اعتمد على أكثر من طريقة ٠

ففي أول الأمر عندما افتتح الباشا مدرسه للمهندس خانة بالقلعة في ١٢٣١ هـ/١٨١٦ م ذكر الجبرتي « أمر الباشا ببناء مكتب (مدرسة) بحوش السرايا (القلعة) ورتب فيه جملة من أولاد البلد ومماليك الباشا وجعل معلمهم حسن أفندي المعروف بالدرويش الموصلي يقرر لهم قواعد الحساب والهندسة وعلم المقادير والنسباب والارتفاعات واستخراج المجهولات مع مشاركة شخص رومي (تركي) يقال له روح الدين أفندي بل وأشخاص من الأفرنج وأحضر لهم آلات هندسية متنوعة من أشغال الانجليز يأخذون بها الأبعاد والارتفاعات والمساحة ورتب لهم شهريات وكساوي في السنة واستمروا على الاجتماع بهذا المكتب وسماه مهندس خانة في كل يوم من الصباح الى بعد الظهيرة ثم ينزلون الى بيوتهم ويخرجون في بعض الأيام الى الخلاء لتعلم مساحات الأراضي ومقاساتها بالأقصاب وهو الغرض المطلوب للباشا » (٢) ٠

وظاهر من رواية الجبرتي أن أول من استعان به الباشا من طلبة كانوا اما من المماليك أو من أولاد البلد النجباء والذين لديهم قابلية للتعليم كما أن أول مجموعة من المدرسين اعتمد عليهم الباشا كانوا من غير المصريين فمن بينهم درويش الموصلي نسبة الى الموصل وروح الدين وهو من استامبول بالاضافة الى بعض الأفرنج ويلاحظ أن أسلوب التعليم في ذلك المكتب لم يكن داخليا أي أن الطلبة كان يسمح لهم بتلقي دروسهم بالمكتب ثم العودة الى بيوتهم بعد انتهاء اليوم الدراسي ويؤخذ من كلام الجبرتي أن التعليم فيها كان مجانيا وكانت الحكومة تقدم رواتب شهرية كشأنها في كل المدارس التي أنشأتها بعد ذلك وقد عاد الجبرتي الى الكلام عن هذه المدرسة في ترجمة حسن أفندي الدرويش المتوفى سنة ١٢٣١ هـ/١٨١٦ م فقال « لما رغب الباشا في انشاء محل لمعرفة علم الحساب والهندسة والمساحة وعين له المترجم مدرسا وانتخب مجموعة من المماليك وأولاد الناس الذين لديهم قابلية للتعلم واستجاب لذلك ثمانون من أولاد البلد » (٣) ٠

وفي عام ١٨٣٤ م نقلت مدرسة المهندس خانة الى بولاق تحت وكالة ارتين بك أحد خريجي البعثات العلمية المصرية الى أوروبا وتولى نظارتها

---

(٢) الجبرتي : عجائب الآثار جـ ٣ ص ٥٨٠ ٠

(٣) الجبرتي : عجائب الآثار جـ ٣ ص ٥٨٦ ٠

يوسف حكيكبان بك أحد خريجى البعثات أيضا ثم تولى بعده مسيو لامبير سنة ١٨٤٩ م تولى الاشراف عليها على مبارك وكان يوجد ضمن أعضاء هيئة التدريس المدرسية فى ذلك الوقت بعض المصريين مثل محمد بيومى أفندى وابراهيم بك رمضان (٤) ٠

وفى عام ١٨٢٧ افتتحت مدرسة الطب تحت اشراف كلوت بك ولم يتم اختيار طلبة هذه المدرسة من المماليك أو أولاد البلد كما حدث عند افتتاح مدرسة المهندس خانة بالقلعة ولكن طلبة مدرسة الطب تم اختيارهم من بين طلبة الأزهر حيث تم اختيار مائة تلميذ منهم وكان الأساتذة من أوربا من الفرنسيين لتعليم الطلبة المواد الطبية واللغة الفرنسية وفى أول الأمر استعانت المدرسة ببعض المترجمين لكى يقوموا بدور الترجمة بين الأساتذة والطلبة وبعد فترة استبدل هؤلاء المترجمون بأوائل التلاميذ الذين أجادو اللغة الفرنسية وبعد خمس سنوات تخرجت أول دفعة من هذه المدرسة ووزع الخريجون على فيالق الجيش والمستشفيات واستبقى ثمانيــة منهم للعمل كمعيدين بالمدرسة وأرسل ١٢ خريجا فى بعثة علمية الى أوربا عادوا بعدها للعمل كأساتذة فى مدرسة الطب (٥) ٠

وقد الحقت بمدرسة الطب مدرسة للصيدلة وأخرى للولادة واختيرت لهذه الأخيرة طائفة من السودانيات والحبشيات تعلمن فيها اللغة العربية وفن الولادة والحق بمدرستهن مستشفى صغير للنســاء وعلى هــذا فان تلميذات مدرسة الولادة أول الأمر لم يكن من المصريات وقد يرجع هذا الى طبيعة مجتمع القاهرة فى ذلك الوقت الذى كان يعزف عن تعليم وارسال البنات الى مدرسة جديدة لم تكن معروفة لهم من قبل لذلك لجأت الحكومة الى اختيار بعض السودانيات والحبشيات للتغلب على تلك المشكلة كما ان النساء المصريات لم يقبلن على مستشفى النساء والولادة لذلك فان الحكومة كانت تلجأ الى تشجيع المصريات على الولادة بالمستشفى ٠ ذلك باعطائهم بعض المنح والهبات والمزايا العينية ٠

وفى عــــام ١٨٣٦ م افتتحت مدرســــة الألســـن بغرض تخـريج مترجمين للعمل فى دواوين الحكومة وجاء فى الأمر الصادر بانشاء تلك المدرسة ان يلحق بها ٥٠ تلميذا (٢٥ منهم من مكاتب الوجه البحرى ـ ٢٥ من مكاتب الوجه القبلى) وعلى هذا فان أول دفعة من مدرسة الألسن لم يكن تلاميذها من الأزهر أو من مماليك الباشا أو من موظفى الدولة أو من أولاد البلد كما أنهم لم يكونوا من القاهرة بل قدموا من مختلف مديريات الوجه البحرى والقبلى ومن تلامذة المكاتب ٠

---

(٤) عبد الرحمن الرافعى ـ عصر محمد على ص ٤٦٨ ٠

(٥) عبد الرحمن الرافعى ـ نفس المرجع ص ٤٦٩ ٠

وفى عـــام ١٨٢٥ أنشئت مدرســـة القصر العينى الحـربية التى كانت تعد الطلاب للمدارس العليا الحربية والمدنية وعند صدور لوائح تنظيم التعليم عام ١٨٣٦ و ١٨٣٧ تقرر انشاء مدرسة تجهيزية بالقاهرة تسع ١٥٠٠ تلميذ وأخرى بالاسكندرية تسع ٥٠٠ تلميذ بغرض تحضير وتهيئة التلاميذ للالتحاق بالمدارس الخصوصية كما تقرر انشاء أربع مكاتب للمبتديان بالقــاهرة بغرض اعداد التلاميذ للالتحاق بالمدارس التجهيزية وبذلك اكتمل السلم التعليمى حيث يبدأ بالمرحلة الابتدائية ثم التجهيزية ثم الخصوصية ٠

أما المدارس الحربية التى أنشئت فى عهد محمد على فقد افتتحت أول مدرسة حربية حديثة بأسوان عام ١٨٢٠ م تحت اشراف الكاونيل سيفى (سليمان باشا) الفرنساوى وألحق بها ٥٠٠ من مماليك الباشا وانضم اليهم ٥٠٠ مملوك آخر تابعين لكبار رجال الدولة لكى يتدربوا على أن يكونوا ضباطا فى النظام الحديث واستمر تدريب هؤلاء المماليك فى مدرسة أسوان مدة ثلاث سنوات تخرجوا بعدها ضباطا فى الجيش المصرى ومن المعروف أن محمد على كان قد بدأ فى تجنيد المصريين والحاقهم بالخدمة العسكرية بعد ان فشلت تجربة تجنيد السودانين ورفض محمد على ادخال الأرناؤط والأتراك فى سلك الجندية ٠

وفى عام ١٨٢٥ أنشئت مدرســـة اعدادية للتعليم الحربى بالقصر العينى كانت تعرف بالمدرسة التجريبية الحربية وعدد تلاميذها ٥٠٠ يعدون لدخول المدارس الحربية والمدرسة البحرية وللمدارس العالية الأخرى وقد وصل عدد تلاميذها أحيانا الى ٢٠٠ تلميذ (٦) ٠

ويقول أحمد عزت عبد الكريم انه يبدو أن العنصر المصرى كان قليلا بين تلاميذ هذه المدرسة فى ذلك الوقت وكان التعليم فيها باللغة التركية على أن يتعلم التلاميذ اللغة العربية واللغة الايطالية (٧) وقد أشرف على انشاء تلك المدرسة أحمد أفندى المهندس الذى يتضح من اسمه انه ليس أوربيا وعلى هذا فطلبة المدارس الحربية كانت فى بادىء الأمر من المماليك وبعد ان تعددت أنواع المدارس الحربية افتتحت الحكومة مدرسة تجهيزية حربية بالقاهرة لكى تقوم بتجهيز وتأهيل الأعداد اللازمة للمدارس الحربية وقد ذكر على مبــارك ان بعض الأمراء من أسرة محمد على كانوا يلتحقون بالمدارس الحربية كما حدث عندما التحق ٤ من هؤلاء الأمراء بمدرســة الطوبجية ٠

---

(٦) عبد الرحمن الرافعى ـ نفس المرجع ص ٣٨٧ ٠

(٧) أحمد عزت عبد الكريم ـ نفس المرجع ـ ص ٢٢٣ ٠

أما عن المدرسين الذين عملوا بالمدارس العسكرية فقد جلبهم الباشا فى أول الأمر من أوربا ومثال ذلك الكلونيل سيفى والكلونيل (المرالاى) الدون انطونيو دى سيجرا • وعلى ذلك فطلبة المدارس الحديثة لم يتم اختيارهم من مصدر واحد أو جهة معينة فأحيانا هم من المماليك وتارة من أولاد البلد النجباء وأخرى من تلامذة الأزهر وأحيانا كما حدث بالنسبة لمدرسة الألسن ان جلب التلاميذ من مكاتب مديريات الوجه البحرى والوجه القبلى •

وبالنسبة لأثر المدارس الحديثة على مجتمع القاهرة فى تلك الفترة فانه يعد ضئيلا للغاية حيث ان الحكومة كانت حريصة على تحقيق أغراضها بأى وسيلة فجعلت المدارس الحديثة معزولة عن المجتمع فقد كانت أقرب ما تكون الى الثكنات العسكرية وكانت تخشى من تردد التلاميذ على أهلهم حتى يظلوا بعيدين عن التأثير عليهم وقد بررت الحكومة ذلك بأنه لتوفير الاستقرار للتلاميذ وحمايتهم من الانحلال وسوء الخلق (٨ ، ٩) •

أما أسلوب التعلم فى الأزهر فقد اختلف تماما عن أسلوب التعلم فى المدارس الحديثة حيث ان الأزهر بطلبته وشيوخه كان يمتزج امتزاجا شديدا بالمجتمع وتمتد جزوره عمقا فى الحيــاة فلا يوجد أى حائل بين الأهالى والأزهر فطلبة الأزهر يقضون طوال أشهر السنة الدراسية بالقاهرة ويسكنون فى أماكن قريبة من جامع الأزهر ويعيشون بين الأهالى حياة طبيعية ويترتب على ذلك ان أصبح الأزهر جزأ لا يتجزأ من مجتمع القاهرة ولم يمثل الأزهر بالنسبة للأهالى منبرا دينيا فحسب بل كان تعبيرا عن آمال وأمانى الأهالى وقد تجلى هذا بشكل واضح خلال وجود الحملة الفرنسية بمصر وفى أوقات الشدة والأزمات • كان الأزهر نموذجا تمثل داخله مختلف المديريات المصرية والمذاهب الدينية بل والبلدان الغير مصرية حيث ان الأزهر كان مقسما الى أروقة وكانت هذه الأروقة مقسمة • حسب نسبة طلابها كرواق الشراقوة ورواق الصعايدة لكل رواق طلبتــه وأســاتذته ورئيسه الذى يسمى شيخ الرواق وكان الأخير هو الذى ينظم العلاقة بين رواقه ومشيخة الأزهر ويوزع داخل الرواق من الأوقاف المحبوسة عليه على طلبته وأساتذته ويفض المنازعات التى تنشأ بين طلبة الرواق بعضهم بعضا أو بينهم وبين أساتذتهم وقد كان شيخ الرواق يقوم بالتدريس فى

(٨ ، ٩) سيد ابراهيم الجيار ـ تاريخ التعليم في مصر الطبعة الثانية ١٩٧٧ ـ مكتبة غريب ص ٧٣ •

الأزهر عندما يكون كفأ لذلك كما حدث بالنسبة للشيخ أحمد الشرقى شيخ رواق المغاربة .

غير أن ما يؤخذ على الدراسه بالأزهر هو فقدان روح النقد والبحث العلمى وعدم وجود أسلوب ومنهج يحدد بين ما يمكن أن يقبل عقلا ومالا يقبل عقلا كما تميزت بالتسبب بالمتون والتقيد بها تقيدا متزمتا واعتمدت على الاستذكار والحفظ عن ظهر قلب أكثر من اعتمادها على اثارة التفكير ودارت حول شرح المتون والتعليق على الشروح لدرجة أن هذا العهد سمى بعهد الشروح والحواشى ، واهتمت على وجه العموم بالألفاظ دون المعانى . كما كنا نجد كثيرا من المعممين يؤمنون بالخرافات والتقاليد والعادات البالية التى تخرج عن العرف الدينى السليم وكان ذلك يتمثل فى بعض مظاهر الاحتفال بموالد الاولياء ومن المعروف أن الشيخ الجبرتى قد هاجم بشدة هذه المعتقدات وتلك العادات ورغم الاتجاه المعارض للمشايخ من قبول المتغيرات والاستفادة بعلوم الغرب المعاصرة فقد ظهر اتجاه آخر يؤيد الاطلاع على علوم الغرب والاستفادة منهم وطالب بضرورة التغيير وتمثل ذلك فى الشيخ حسن العطار وتلميذه الشيخ رفاعة (١٠) .

البعثات العلمية المصرية الى أوربا :

ابتدأ محمد على فى ارســال البعثات العلميــة الى أوربا فى حوالى ١٨١٣ م وما بعده وكان أول ما اتجه اليه فكر الباشا هو ايطاليا ثم أرسل مبعوثين الى انجلترا وفرنسا والنمسا وغيرها وقد قدر عدد الذين أرسلهم فى أول الأمر وقبـل بدأ البعثات الكبرى بنحو ٢٨ مبعوثا كان أهمهـم نقولا المسابكى الذى تعلم فن الطباعه وعثمان نور الدين الذى يرجع أصله الى جزيرة مدللى احدى جزر اليونان وقد قدم الى مصر وتعلم فى مدارسها الحربية ثم الحق بالبعثة التى أرسلها محمد على الى أوربا .
والذى أصبح له شأن كبير فى تنظيم البعثات التى أخذت تتدفق نحو فرنسا ثم صار أمير الاسطول المصرى (١١) .

وقد بلغ عدد الطلبة جميعا الذين أوفدهم محمد على الى أوربا من سنة ١٨١٣ م الى سنة ١٨٤٧ م ـ ٣١٩ تلميذا ، منهم ٢٨ فى الرسالات الثلاث الأولى ابتداء من سنة ١٨١٣ م الى سنة ١٨٢٥ و ٢٩١ فى البعثات الكبرى ابتداء من سنة ١٨٢٦ م فيكون مجموعهم ٣١٩ تلميذا وسنحاول أن نبين هنا الجهات التى قدم منها أعضاء البعثات الكبرى والتركيب الاجتماعى لهم .

---

(١٠) انظر هذا الكتاب ص ٣١ .

(١١) عبد الرحمن الرافعى ـ نفس المرجع ص ٤٥١ .

البعثة العلمية الأولى الى فرنسا ١٨٢٦ م :

فقد بلغ عدد أعضائها ٤٤ ورجع منهم ٥ دون اتمام دراستهم بسبب ضعف صحتهم أو دون تمام كفاءتهم ومن بين طلبة هذه البعثة من كان يعمل موظف بدواوين الحكومة مثل مصطفى مختار بك وعبدى أفندى والحاج حسن الاسكندرانى ومنهم من تخرج من الأزهر مثل الشيخ أحمد العطار والشيخ محمد الدشطوطى والشيخ العلوى وذلك بخلاف الشيخ رفاعة الذى أرسل كامام للبعثة وكذلك كان من بين أعضاء هذه البعثة من تلقى تعليمه وتخرج من المدارس المصرية الحديثة مثل أحمد دقلة وأحمد فايد ٠ أما عن الأصول التى ينتمى اليها أعضاء هذه البعثة فقد كانت متعددة فمنهم من يرجع أصله الى الشراكسة أو المماليك مثل اسطفان بك وعبدى شكرى وسليمان لاظ ومنهم من كان من القاهرة مثل أحمد فايد وبعضهم كان من مختلف المديريات المصرية مثل أحمد دقلة (الغربية) وحسن الاسكندرانى (الاسكندرية) وسليمان البحيرى (البحيرة) ومنهم من كان يرجع الى أصل شامى مثل محمود نامى ٠

البعثة العلمية الثانية الى فرنسا ١٨٢٨ م :

تكونت من ٢٤ مبعوثا ويلاحظ فيها انخفاض عدد الأسماء غير المصريه بشكل واضح عن البعثة السابقة ومن الأسماء ذات الأصل المملوكى أو التركى مثل حسين جركس وحسن جركس وأهم ما يميز تلك البعثة عن جميع البعثات الأخرى هو وجود عضوان بها من أصل حبشى وسودانى وهما واوى بن علهو وأحد أمراء السودان وهو سلطان أبو مدين ، كما يلاحظ فى أسماء هذه البعثة انها قد خلت من أسماء الشيوخ ، اذن فالاتجاه بدأ يقوى ناحية ارسال تلامذة أو طلبة مصريين ومن خريجى المدارس الحديثة ٠

البعثة العلمية الثالثة ١٨٢٩ م

بلغ عدد أعضائها ٥٨ عضوا ولم يذكر الرافعى من أسمائهم الا ٦ أسماء منهم عبد الحميد الديار بكرى الذى ينتمى الى ديار بكر بالعراق ٠

البعثة العلمية الرابعة ١٨٣٢ م :

ويطلق عليها أيضا البعثة الطبية وعدد أعضائها ١٢ من خريجى أول دفعة من مدرسة الطب وتعد هذه البعثة أول بعثة يكون أعضائها متخصصون فى فرع واحد من العلوم ويتبعون جهة واحدة فقط وهى مدرسة الطب ومن المعروف انهم كانوا من تلامذة الأزهر قبل أن يلتحقوا

بمدرسة الطب ١٨٢٧ م ومنهم محمد على البقلى ومصطفى السبكى وابراهيم النبراوى ومحمد النسباسى ومحمد الشافعى وحسين الهيهاوى أفندى .

البعثة العلمية الخامسة ١٨٤٤ م :

وهى آخر بعثة علمية كبرى الى فرنسا ويطلق عليها على مبارك بعثة الانجال بسبب وجود بعض أمراء أسرة محمد على ضمن أعضائها وهم الأمير عبد الحليم والأمير حسين (توفى أثناء تعلمه) والأمير أحمد اسماعيل (الخديوى اسماعيل باشا) .

وبلغ أعضاء هذه البعثة أكثر من ٧٠ عضوا وقد غلب عليها تعلم العلوم العسكريه وقد انتخب سليمان باشا الفرنساوى تلاميذها من نوابغ طلبه المدارس المصرية العالية وانتظم بسلكها بعض المعلمين وموظفى الحكومة ورافق البعثة الشيخ نصر أبو الوفا كأمام للبعثة .

ومن مراجعة أسماء أعضاء تلك البعثه تبين تغلب العنصر المصرى فيها كما وجد بها بعض من كان ذو أصل مملوكى وجركسى مثل حسين كوجك وابراهيم جركسى ونوبار أفندى وأوهان اسطفان أفندى ويوسف اسطفان وعبد الرحمن محو أفندى كما وجد بينهم بعض الزميين مثل بترو أفندى وبولس لابى أفندى ومن أعضاء تلك البعثة من المصريين محمد أفندى يونس ومحمد أفندى السرقاوى وبدوى سالم أفندى وحسن بك هاسم وعلى عيسى ومحمد ابراهيم ومحمد الفحام وشاكر أفندى ومحمد حسن أفندى وعبد الهادى اسماعيل وعلى ابراهيم وعلى مبارك .

البعثة العلمية السادسة ١٨٤٥ م :

وهى بعثة صغيرة بلغ عدد أعضاءها ثلاثة أرسلوا الى النمسا :

البعثة العلمية السابعة ١٨٤٧ م :

وهى بعثة صغيرة أيضا تكونت من خمسة أعضاء كلهم — من طلبة الأزهر وقد أرسلوا لتعلم الحقوق ودراسة القانون .

البعثة العلمية الثامنة ١٨٤٧ م :

وتكونت هذه البعثة من ٢١ من صناع ترسانة الاسكندرية وقد أرسلوا الى انجلترا للتخصص فى صناعة واحدة هى النجارة وصناعة السفن وقد ذهبوا بصحبة محمد راغب الاسلامبولى .

البعثة التاسعة ١٨٤٧ م :

عدد أعضائها ٢٥ تم اختيارهم من بين مدرسة المهندس خانة لدراسة علوم الميكانيكا ٠ ومن هذا يتضح أن أعضاء البعثات العلمية كانوا ينتمون الى جهات مختلفه فمنهم الموظف بأحد دواوين الحكومة وطلبة أو خريجي المدارس الحديثة وطلبة أو خريجي الأزهر والمدرسين بالمدارس الحكومية والصناع بورش الدولة وقد ذهبوا جميعا للتخصص وتعلم مختلف علوم وفنون الصناعه الحديثه بأوروبا ولم يكونوا جميعا من المصريين بل وجدنا بينهم مختلف الجنسيات مثل المماليك والأتراك والشوام والأرمن ، بل ومن السودان والحبشه ومنهم المسلم والذمي وحتى المصريين كانوا ينتمون الى مختلف مديريات البلاد ٠

أثر البعثات العلمية فى المجتمع :

بلغ عدد أعضاء البعثات العلمية كلها نحو ٣١٩ فردا أمضوا فترة من الزمن فى أوربا يتلقون فيها العلوم والدراسات الحديثة وعاشوا فى مجتمع جديد عليهم بكل أفكاره وتقاليده وعاداته ، وعادوا الى مصر يحملون معهم آراء وأفكار جديدة ليست فى مجال العلم والصناعة فحسب بل وفى الفكر والتقاليد والعادات الاجتماعية أيضا وقد تولى معظم هؤلاء المبعوثون مناصب كبرى فى الدوله فى مجالات التجارة والادارة والجيش والبحريه والتعليم وغيرها ولكى نبين أثر ذلك على الفكر المصرى فى ذلك الوقت سنشير الى بعض أراء الشيخ رفاعة أحد رواد الفكر الحديث والاصلاح الاجتماعى ويمثل رفاعة الطهطاوى نزعة التجديد الفكرى والثقافى التى استيقظت مصر على اصدائها مع مطلع القرن التاسع عشر وكانت حياته التى امتدت ثلاثة أرباع القرن (١٨٠١ — ١٨٧٣) سجلا صادقا لحركة الفكر والمناخ الفكرى الذى ساد البلاد فى تلك الفترة الحرجة من حياة مصر ولذا يطيب لبعض الكتاب ان يطلق على رفاعة الطهطاوى « أبو الفكر المصرى الحديث ومؤسس نهضة مصر الثقافية ... الذى استطاع بفكره وقلمه ونفوذه فيما تقلد من وظائف رسمية ان يرسى الأساس العظيم الذى يبنى عليه الفكر الحديث ونهضت عليه الثقافة المصرية الحديثة » (١٢) ٠

ولقد كان الشيخ رفاعة مفكرا تربويا متطورا اتسم بالواقعية فى معالجة قضايا التعليم فى مجتمعه ومن آرائه فى تعليم البنات ما جاء فى كتابه المرشد الأمين للبنات والبنين « ينبغى صرف الهمة فى تعليم البنات

(١٢) لويس عوض . تاريخ الفكر المصرى الحديث ص ١٠ كتاب الهلال ١٩٦٩ ٠

والصبيان معـا لحسن معـاشرة الأزواج فتتعلم البنـات القراءة والكتابة والحساب ونحو ذلك فان هذا مما يزدهن أدبا وعقـلا ويجعلهن بالمعارف أهلا ويصلحن به لمشاركة الرجال فى الكلام والرأى يتعظمن فى قلوبهم ويعظم مقامهن » (١٣) وفى موضع آخر يؤكد رفاعة أهمية تعلم الفتاة فى حسن تربيتها لأبنائها ، وفى هذا يقول « اذا بالمرأة ومعارفها تؤثر كثيرا فى أخلاق أولادها اذ ان البنت الصغيرة متى رأت أمها مقبلة على مطالعة الكتب وضبط أمور البيت والاشتغال بتربية أولادها جذبتها الغيرة الى ان تكون مثل أمها بخلاف ما اذا رأت أمها مقبلة على مجرد الزينة والتبهرج واضاعة الوقت بهذر الكلام والزيارات فتعتقد أن كل الناس على هـذا النحو » • وكان من أهم ما طالب به رفاعة فى « مناهج الألباب » هو نشر الثقافة والسياسة على أوسع نطاق ممكن بين المواطنين •

ولم يكتف أثر العائدين من البعثات العلمية الى أوربا على الجوانب الفكرية والتربوية ، بل تعدى ذلك الى نقل بعض التقـاليد والعـادات الأوربية الى مصر فعلى سبيل المثال استخدام الشوكة والسكين فى تناول الطعام • كما حدث عندما أمر محمد على ابنه سعيد بعدم استخدام بدعة الشـوكة والسكين ذلك لأن مدرسـه الشيخ فارس الصـوفى المذهب يستنكف الأكل معه (١٤) • وكذلك قام بعض المبعوثين العـائدين من الخارج بتقليد الزى الأوربى فى ملابسهم والتخلى عن ارتداء الزى المصرى وقابل محمد على هذا التصرف بكل شدة وعنف لمنع تقليد الزى الأوربى وعفا عن هؤلاء المبعوثين بعد عدولهم عن التقليد (١٥) •

---

(١٣) سيد ابراهيم الجيار – نفس المرجع – ص ٥١ •
(١٤) أمين سامى – تقويم النيل جـ ٢ ص ٤٤٠ •
(١٥) أمين سامى – تقويم النيل جـ ٢ ص ٤٩٥ •

الطبـاعة

عرفت مصر المطابع لأول مرة فى زمن الحملة الفرنسية فقد أدرك بونابرت أهمية الدعاية فى تحقيق أغراضه فحمل معه مطبعة عربية لطبع المنشورات والبيانات للأهالى ، وكذلك حمل معه مطبعـة فرنسية التى كانت تقوم بطبع صحيفة « كوريه ديلجبت » التى سوف تحمل الى جنده وقواده الأخبار من هنا وهناك فتقوى روحهم المعنوية وصحيفة « لاديكاد اجبسين » ذلك السجل الذى سيحتوى أبحاث وتقارير علماء الحملة وغيرها من المطبوعات ٠

وفى ٢٣ ابريل ١٧٩٨ أمر بتأسيس المطبعه الشرقيـــة وبتعيين مستخدميها وتحديد مرتباتهم ٠ ويحتوى هـذا الأمر على أسماء المشرفين على سير العمل فى المطبعـه وثلاثة منضدى حروف وثلاثة طابعين ٠ أما المترجم فهو من مدينة ديار بكر العراقيه وهو الأب روفائيل وأخذ الملاحظين من دمشـق الى جانب هذه المطبعة الرسـمية اذن بونابرت لطابع فرنسى يدعى مارك أوريل بالحضور الى مصر بصحبة الحملة ومعه مطبعته (١٦) وقد أمر بونابرت بطبع البيان العربى الى الشعب المصرى قبل احتلال الاسكندرية أى يوم ٢ يوليو وهكذا نرى ان عمل المطبعة الشرقية قد بدأ قبل نزول الحملة الى البر ، وبعد نزولها فى الاسكندريه أصدر بونابرت أوامره بطبع ٤٠٠٠ نسخة من البيان العربى (١٧) ٠ وقد قام مارك أوريل بطبع الأوامر اليومية الفرنسيه فى القـاهرة وكذلك الأعداد الأولى من (لكوريبه ديلجبت ولاديكاد اجيبسين) حتى وصلت المطبعـة الرسمية الى القاهرة فقامت بتلك المهام مما دفع أوريل لبيع مطبعته الى الحملة والرحيل الى فرنسا ٠

لقد كان مقر المطبعة الرسمية والتى كان يطلق عليها المطبعة الأهلية يقع فى ميدان الأزبكية تحت ادارة يوحنا يوسف مارسيل ٠ واستطاع العلماء الفرنسيون الذين كانوا ضمن الحمله الفرنسية أن يصنعوا الورق بكميات كبيرة مستعينين بالقطن ولحاء النخيل أما عن الحبر المستخدم

---

(١٦) خليل صابات : نفس المرجع ص ١٣٤ ٠

(١٧) خليل صابات : نفس المرجع ص ١٣٥ ٠

فقد كان يصنع أيضا فى مصر بمعرفة علماء الحملة (١٨) وقد اختلفت الآراء فى مصير مطـابع الحملة بعد جلاء الفرنسيين عن مصر فمنها ما يذكر أن الحملة تركت مطابعها فى مصر ، وقد أفرد لها محمد على بعد توليه مكانا لها فى القلعة ولكن ابراهيم عبده يخالف هذا الرأى ويؤكد ان حنا يوسف مارسيل استطاع بعد تسليم القاهرة أن ينقذ مطابعه ويعيدها الى فرنسا ، ويذكر خليل صابات أن هناك عدة خطابات ورسائل رسمية فرنسية متبادلة بين القادة الفرنسيين تدعم هذا الرأى ٠

الطباعة فى عهد محمد على :

بدأ محمد على يفكر فى ادخال الطباعة الى مصر منذ سنة ١٨١٥ م ، أى عندما فكر فى تكوين جيش نظامى حديث اذ كان لابد لهذا الجيش من كتب يتعلم فيها وأوامر توزع عليه ولذلك كان يجب عمل مطبعة تقوم بطبع تلك الكتب والأوامر ، والدليل على ذلك أن أول بعثة أرسلتها مصر كانت فى سنه ١٨١٥ م اذ سافر الى ميلانو بايطاليا الشاب نقولا مسابكى (ليتعلم فن سبك الحروف ويدرس فن الطباعة فيها) ٠

أولا : المطابع الرسمية :

مطبعة بولاق :

اختلف الباحثون على السنة التى أسست فيها مطبعة بولاق وعلى الجهة التى استوردت منها ، فيقول جورجى زيدان انها أنشئت سـنة ١٨٢١ م (١٩) ٠ ولكن أمين سامى يعيد تاريخ التأسيس الى ٨ صفر ١٢٣٧ (٦ نوفمبر ١٨٢١ (٢٠) ٠

وهناك اللوحة التذكارية لانشاء المطبعة الموجودة اليوم على المدخل الرئيسى (٢١) فى أعلى الباب فقد نقشت عليها ثلاثة أبيات من الشعر التركى بتاريخ ١٢٣٥ هـ (١٨١٩ م) ٠ ولا شك أن هذه اللوحة التذكارية تشير الى تاريخ البدء فى تشييد البناء الذى خصص لايواء المطبعة ٠ أما ٦ نوفمبر ١٨٢١ فهو التاريخ الرسمى لافتتاح المطبعة ٠ ولما عاد نقولا مسابكى من ايطاليا هو وثلاثة من زملائه عينوا بمعية عثمان نور الدين ٠

---

(١٨) ابراهيم عبده ٠ تاريخ الطباعة والصحافة خلال الحملة الفرنسيه الطبعة الثانيه مكتبة الآداب ١٩٥٠ ص ٥٧ ٠

(١٩) جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية جـ ٤ ص ٤١ ٠

(٢٠) أمين سامى : تقويم النيل ـ جـ ٢ ٠ ص ٢٧٨ ٠

(٢١) خليل صابات : نفس المرجع ص ١٤٨ ٠

وأحضر المسابكى معه من ميلانو ثلاث طابعات من طراز الطابعات التى نستخدمها « المطبعة الملكية » وحروفا عربية وتركية وايطالية ويونانية ٠ وكان يوجد فى المطبعة ثلاثة أنواع من الحروف العربية ونوعان من الحروف الايطالية وكان يساعد المسابكى فى العمل أربعة من خريجى الأزهر هم الشيخ عبد الباقى رئيس المسبك ومحمد أبو عبد الله رئيس الطباعين ويوسف الطنغى ومحمد شحاتة رئيسا الصفيفة أما عدد صفافى الأحرف فاثنا عشر من المصريين وايطالى واحد لصف الحروف الايطالية ويونانيان لصف الحروف اليونانية (٢٢) ٠ ولم يكن المسابكى الشخص الوحيد الذى استعان به الباشا على انشاء المطبعة ، فقد كان للآراء التى أبداها كل من عثمان نور الدين والأب أنطوان رافاييل نصيبا فى ارساء قواعد تلك المطبعة (٢٣) وظل المسابكى يعمل بهمة ونشاط فى مطبعة بولاق الى أن توفاه الله فى شهر مايو سنة ١٨٣٠ م ٠

وعلى أثر وفاة المسابكى عين عبد الكريم أفندى مديرا للمطبعة (٢٤) واستمر فى ادارتها لمدة ثلاث سنوات ثم تولى قاسم أفندى ادارة مطبعة بولاق عام ١٢٤٩ هـ ١٨٣٣ م وظلت مطبعة بولاق وغيرها من المطابع الرسمية التى أنشئت بالقاهرة والاسكندرية تابعة لديوان الجهادية الى سنة ١٢٥٢ هـ (١٨٣٧ م) حين أنشىء ديوان المدارس ٠ (١٢٥٣ هـ ـ ١٨٣٧ م) صدرت لائحة بتحديد اختصاصات ديوان المدارس الذى أصبح من ضمن اشرافه مطبعة بولاق والوقائع المصرية (٢٥) لم تكن مطبعة بولاق حروف فحسب بل كان يوجد فيها مطابع حجرية أما الورق فكان يستورد من ايطاليا عن طريق ليفورن كذلك حبر الطباعة الا انه صار يصنع بالقاهرة بعد انشاء المطبعة بوقت قليل وقد استوردت حروف المطبعة أول الأمر من أوربا غير أنها استبدلت بحروف مصنوعة بمصر بعد ذلك (٢٦) ٠

وكان عدد طابعات بولاق فى سنة ١٨٣١ م ثمانية استوردت جميعها من باريس وكانت مطبعة ديوان الوقائع المصرية بالقلعة تستورد طابعاتها ولوازمها من مطبعة بولاق فاذا تعطلت آلة من الآلات أرسلت الى بولاق وحلت محلها آلة أخرى حتى لا يتعطل طبع الوقائع وكان فى دار الطباعة

---

(٢٢) خليل صابات : نفس المرجع ص ١٥٠ ٠

(٢٣) محمد فؤاد شكرى ـ بناء دولة مصر محمد على ص ١٢٠ ٠

(٢٤) خليل صابات ـ نفس المرجع ص ١٥١ ٠

(٢٥) أمين سامى ـ تقويم النيل جـ ٢ ٠ ص ٤٩٦ ٠

(٢٦) خليل صابات ـ نفس المرجع ص ١٥٥ ٠

ببولاق صمم لاصلاح أدوات الطباعة وصيانتها (٢٧) وبدأت المطبعة فى الطبع على حساب الأفراد منذ سنة ١٢٥٢ هـ ـ ١٨٣٦ م وكان على الملتزم الى أراد طبع كتاب أن يأتى بمن يكفله لدى ادارة المطبعة (٢٨) وقد أظهرت مطابع بولاق نشاطا عظيما من اصدار الكتب ومن بين الكتب التى صدرت ايها حتى عام ١٨٣٦ م كما جاء فى تقرير بورنج (٢٩) كتب تاريخية مثل تاريخ ايطاليا ـ سليمان نامة (التاريخ الخاص بالسلطان سليمان وكتب ادب وشعر مثل ديوان على ـ تحفة وهبى ـ تحفة خيرت كتب دينيـة مثل دلائل الخيرات ـ شرح المحمدية وكتب نحو وصرف ولغة مثل الشذور ـ الألفية ـ الأزهرية ـ شرح القاموس بالاضافة الى كتب أخرى متنوعة فى مجالات الطب والهندسة والزراعة والقانون والحربية والبحرية والفلسفة والمعاجم وكليلة ودمنة وكان الوالى يصدر أوامره بتخفيض تكاليف طبع الكتب حتى يكون سعرها فى متناول الجميع فقد صدر أمر الوالى للمطبعة بطبع الكتب على ورق خفيف حتى لا يرتفع ثمنها فى عام ١٢٦٥ هـ ـ ١٨٤٩ م (٣٠) ٠ وكذلك كانت الأوامر تصدر أحيانا بتخفيض أثمـان الكتب ٠ ففى نفس العام خفض ثمن كتاب دلائل الخيرات الى ٢٥ قرشا بدلا من ٨١ قرشا وخفض ثمن كتاب كليلة ودمنـة الى ١٨ قرشا بدلا من ٢٩ قرشا وقانون زراعة أوربا خفض ثمنه من ٧ قروش الى ٣ قروش(٣١) ٠

وبصفة عامة فان ثمن الكتاب كان يتراوح بين قرش صاغ واحد وثلثمائة وعشرة قرشا ٠ وكانت مطبوعات بولاق تبـــاع بمحل قرب خان الخليلى صاحباه مصطفى وأحمد الكتبيان وكانا يتقاضيان عن البيع نصفين من الفضة عن كل قرش ثم زيدت نسـبة الربـح بعد ذلك نصفا ثالثا (٣٢) ٠ لم تكن مطبعة بولاق المطبعة الوحيدة فى مصر خلال الفترة الواقعة بين سنة ١٨١٩ ـ ١٨٤١ م فقد تأسس بعدها عدد من المطابع الصغيرة الحق بعضها بالمدارس والبعض الآخر بالديوان وكانت مطبعة المدارس تقوم بطبع الكتب العلمية المختلفة بعد ترجمتها الى اللغة العربية ٠

مطبعة مدرسة الطب بأبى زعبل :

أنشأ الباشـا مارستان بأبى زعبل ومدرسـة لتعلم الطب وبدأت الدراسة بها فى فبراير ١٨٢٧ م وعين الدكتور كلوت بك رئيسا لهـا

---

(٢٧) خليل صابات ـ نفس المرجع ص ١٥٧ ٠

(٢٨) خليل صابات ـ نفس المرجع ص ١٦٢ ٠

(٢٩) محمد فؤاد شكرى ـ نفس المرجع ص ٦٧٧ ٠

(٣٠) دار الوثائق بالقلعة محفظة ٤٩ دفتر ١٢ جـ ٥ مكاتبة ٧٨٩ ص ٢٤٦٣ ٠

(٣١) دار الوثائق محفظة ٤٩ دفتر ٥٨ جـ ٥ مكاتبة ١٣٥ ص ١٨٩ ٠

(٣٢) خليل صابات ـ نفس المرجع ص ١٦٣ ؛

وخصص جزء من جناح فى بناء المدرسة لمطبعة حجرية (٣٣) يعمل فيها عمال مصريون لطبع ترجمات أجود المؤلفات الطبية ولوحات التشريح وهم ينقلونهـــا أحيانا نقلا غاية فى الدقة ، وتحتوى المطبعة على عدد أربع طابعات ، وكانت مطبعة أبى زعبل تزود بعمال من مطبعة بـولاق فقد أرسلت لها المطبعة الأخيرة فى ١٨٣١ م ثمانية عمال لتعيينهم على أن يقوموا بطهى طعامهم بأنفسهم ولما كان اعدادهم لطعامهم سوف يحصل منه تعطيل لانشغالهم فقد طلب كلوت بك الى مجلس الجهادية أن يصرف لهؤلاء تعسهم من مطبخ المستشفى مثلهم فى ذلك مثل ســـائر الذين يعملون فى تلك المؤسسة (٣٤) وقد أغلقت مطبعة أبى زعبـل أبوابهـا فى سنة ١٨٣٧ م بعد نقل المدرســة من أبى زعبـل الى قصر العينى وقد توقفت المطبعة عن العمل منذ ذلك التاريخ وأحيلت أشغالها الى مطبعة بولاق التى قامت بطبع كتب الطب بالحروف المتفرقة ٠

مطبعة الطوبجية :

يرجح أن تكون قد أنشئت فى نفس السنة التى فتحت خلالها مدرسة الطوبجية أى فى سنة ١٢٤٧ هـ (١٨٣٤ م) (٣٥) ولابد أن هذه المطبعة كانت تقوم بطبع الدروس التى كانت تلقى على تلاميذ مدرسة الطوبجية وبعض الكتب المتعلقة بالفنون الحربية والمترجمة عن اللغات الأوربية ٠

مطبعة الجهادية :

لما عين عثمان نور الدين مديرا للمدرسة الحربية ببولاق كان بهـا مطبعة حجرية عرفت باسم المطبعة الجهادية لطبع الكتب التركية والعربية والفارسية (٣٦) ٠ وقد تم انشاء هذه المطبعة فى عام ١٢٥٠ هـ ـ ١٨٣٤ م وتعين لها طباعين وجماعين ومصففين للعمل بها (٣٧) ٠

مطبعة المهندسخانة :

بعد انشاء مدرسة المهندسخانة تم عمل المطبعة بها وذلك لتغطية متطلبات المدرسة من الكتب والدروس المطبوعة ويبدو أن المطبعة كانت

---

(٣٣) كلوت بك ـ لمحة عامة ـ ج ٢ ٠ ص ١٩٦ ٠
(٣٤) خليل صابات ـ نفس المرجع ص ١٦٦ ٠
(٣٥) أمين سامى ـ تقويم النيل ج ٢ ص ٣٨٢ ٠
(٣٦) خليل صابات ـ نفس المرجع ص ١٦٨ ـ ١٦٩ ٠
(٣٧) دار الوثائق بالقلعة دفتر ٦١ المعية تركي وثيقة ١١١ في ٥ ذو الحجة سنة ١٢٥٠ هـ ٠

صغيرة ولا تفى باحتياجات المدرسة ففى ١٢٦٥ هـ - ١٨٤٩ م صدرت تعليمات بأن برسل الدروس لتطبع بالمطبعة الكبرى (مطبعة بولاق) ، اذا لم يكن فى امكان مطبعة المهندسخانة طبعها (٣٨) ٠

مطبعة الديوان الخديوى والقلعة :

لا يعرف على وجه التدقيق التاريخ الذى أنشئت فيه هذه المطبعة ويرجح انها تعود الى ما قبل سنة ١٢٤٨ هـ بقليل ومهما يكن من أمرها فقد كانت تقوم بطبع الأوراق الخاصة بديوان الخديوى ويرجح أن مطبعة ديوان الخديوى هى مطبعة القلعة التى كانت تقوم بطبع الجورنال الخديوى قبل انشاء الوقائع المصرية ١٨٢٨ م (٣٩) وقد وصفها سانت جون بأنها مطبعة صغيرة للغاية وان آلاتها رديئة وعدد صفافى الحروف والطباعة قليل (٤٠) ٠

المطابع الخاصة :

لم تنتشر المطابع المصرية الخاصة بالقاهرة فى تلك الفترة ويرجع ذلك الى انخفاض المستوى الثقافى بصفة عامة بين الأهالى والى أن مطبعة بولاق كانت ترحب بطبع مطبوعات الأفراد وقد عرفت القاهرة مطبعة خاصة هى مطبعة عبد الرازق التى قامت عام ١٨٣٧ م بطبع كتاب تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجاب ويعرف أيضا بتذكرة داود الانطاكى للشيخ داود الانطاكى (٤١) وتجدر الاشارة الى أن حركة الطبع خفت عما كانت عليه قبل سنة ١٨٤٠ م ذلك لأن الوالى بدأ يهمل المؤسسات التعليمية التى أنشأها فى أوج سلطانه وطبيعى أن يتبع هذا الاهمال انخفاض فى عدد الكتب المدرسية المطبوعة فقد الغيت معظم المدارس الابتدائية فى أواخر حكم محمد على (٤٢) ان مطبعة بولاق كانت تتجاوب أيضا مع حركة التقدم العمرانى والصناعى والحربى التى عمت البلاد فاذا ما فترت تلك الحركة قل اهتمام أولى الشأن بالمطبعة وانخفض عدد عمالها وقل انتاجها وظلت مطبعة بولاق فى عهد الباشا المؤسسة الصناعية الوحيدة التى لم تلجأ الى العناصر الأجنبية مطلقا وذلك من الناحية الادارية فان نظارها حميعا كانوا من العرب أو الأتراك (٤٣) ٠

---

(٣٨) دار الوثائق بالقلعة محفظة ٥٠ دفتر ١٢٦ ص ٩٧٨ فى ١٨ محرم سنة ١٢٦٥ هـ ٠

(٣٩) محمد فؤاد شكرى - بناء دولة مصر ص ١٢٥ ٠

(٤٠) St. John. Op. Cit., p. 129-130.

(٤١) خليل صابات - نفس المرجع ص ١٧٥ ٠

(٤٢) عبد الرحمن الرافعى - عصر محمد على - ص ٣٦٥ ٠

(٤٣) خليل صابات - نفس المرجع ص ١٨٠ ٠

الصحافة

عرفت مصر الصحافة لأول مرة فى عهد الحملة الفرنسية فقد اصطحبت الحملة معها جهازا طباعيا كبيرا وذلك ليكون أداة اتصال لجنود جيش الشرق ، وكانت وسيلة الاتصال الرئيسية التى أصدرتها الحملة لجنودها هى صحيفة « لوكوريه دى ليجيبت » التى ظهر العدد الأول منها فى ٢٩ أغسطس ، ١٧٩٨ م أى بعد شهر واحد من دخول الفرنسيين الى القاهرة • وقد طبعت لوكوريه فى بادىء الأمر بمطبعة مارك أوريل ، التى استقرت بالقاهرة ، بينما كانت مطابع الحملة الرسمية ما زالت بالاسكندرية ثم ما لبثت الصحيفة ، ابتداء من العدد ٣١ بتاريخ ٧ يوليو ١٧٩٩ ان بدأت تطبع بالمطابع الرسمية (٤٤) وكانت هذه قد نقلت قبل ذلك الى القاهرة •

كانت لوكوريه صحيفة شبه رسمية تصدر لجنود الحملة باشراف مباشر من قيادتها ، وكان قواد الحملة هم الذين يعينون المسئولين عن تحرير الصحيفة • ولم يكن ظهور (لوكوريه) منتظما تماما • فقد صدرت الاعداد الستة الأولى كل أربعة أيام ، ثم صدرت الصحيفة كل خمسة أيام حتى العدد ١٢ الذى طبع يوم ٢١ أكتوبر ١٧٩٨ م • وبعد ذلك كان بين كل عدد وآخر فترة تتراوح بين أسبوع وعشرة أيام (٤٥) • وقد صدر آخر عدد منها وهو المرقوم ١٦ يوم ٩ يونيو ١٨٠١ وقد استهدفت تلك الصحيفة المحاولة من تخفيف غربة ووحشة الجنود فى مصر والعمل على رفع روحهم المعنوية واطلاعهم على ما يحدث فى بيئتهم الجديدة والعمل على الربط بينهم وبين قيادتهم وكذلك عملت على تسلية وتثقيف الجنود فقد كانت تنشر كثيرا من أخبار الحفلات العامة مطولة كذلك أخبار الحفلات الخاصة

(٤٤) أحمد حسين الصاوى : فجر الصحافة فى مصر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ ص ٤٧ •

(٤٥) أحمد حسين الصاوى : نفس المرجع ص ٤٩ •

والساهرة الراقصة والنمنيلية وما اليها (٤٦) ومن المعروف ان الحملة الفرنسية قد اصطحبت معها فريق هام من العلماء والباحثين وكان لابد لهؤلاء العلماء الذين كانوا (المجمع العلمى المصرى) من دورية خاصة تتخذ وسيلة لنشر بحوثهم وسجلا لمناقشات مجمعهم وتتسع كذلك لما قد يساهم به غير أعضاء المجمع من مواد ترقى لمستوى النشر بها وغنى عن القول ان لوكوريه لم تكن بحكم طبيعتها لتتسع لمثل هذا النوع من النشر المتخصص ومن هنا لم تحظ أخبار نشاط المجمع فى صفحاتها الا بنصيب ضئيل لا يتجاوز بضعة أسطر بين حين وآخر .

وقد تقرر انشاء هذه الدورية فى أول اجتماع للمجمع العلمى واختير لها اسم (لادبكاد ليجبسين) بعد مناقشة طويلة وأضيفت تحتها عبارة (صحيفة للآداب والاقتصاد السياسى) (٤٧) وقد جمعت اعداد تلك الدورية فى ثلاث مجلدات وهى تحتوى على عدد كبير من الموضوعات التى كتبها علماء الحملة وباحثوها والتى تحفل بالمعلومات والبيانات والاحصاءات المفيدة الممتعة عن مصر .

وعلى هذا فان لاديكاد تختلف عن زميلاتها (لوكوريه) فى أمر جوهرى فقد صدرت لوكوريه أساسا لجنود الحملة تحمل اليهم الخبر والرأى والتوجيه ومواد التسلية والاعلان من خلال مخطط اعلانى مدروس وضعته قيادة الحملة وما يتفق مع أهدافها وأشرفت على تنفيذه أى ان مصدر الاعلام هنا هو رأس الحملة وجمهوره هو قاعدتها العريضة أما لاديكاد فقد صدرت بقرار من المجمع العلمى المصرى لتقوم فى المقام الأول سجلا لنشاط أعضائه فمصدر الاعلام هنا هو المجمع نفسه وجمهوره يتكون من أعضاء لجنة العلوم والفنون ومثقفى الحملة وقوادها والى جانب هاتين الدورتين فقد شهدت القاهرة نوع آخر من الاعلام أو الصحف وهى المنشورات التى يمكن أن نطلق عليها صحف الحائط وكانت على نوعين الأول منها هو المنشورات الفرنسية التى كانت تتضمن ما يراد توجيهه الى الجنود من نداءات وبيانات وأومر وكانت هذه تصدر كلما اقتضى الأمر ذلك أى دونما توقيت معين والنوع الثانى هو المنشورات العربية التى اهتم بونابرت اهتماما كبيرا بها وأصدر منها أعدادا كثيرة طوال الحملة فيقول الجبرتى مثلا « ... وكتبوا نسخا من ذلك كثيرة أرسلوا منها الى الأعيان ولصقوا منها نسخا فى مفارق الطرق ورؤس العطف وأبواب

---

(٤٦) أحمد المغازى . الصحافة الفنية فى مصر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨ ص ٣٣ .

(٤٧) أحمد حسين الصاوى ــ نفس المرجع ــ ص ٥٦ .

المساجد والأسواق (٤٨) ويقول محمد فؤاد شـــكرى منلا » جـــريا على سياسته في الاستعانة بنفوذ علماء الدين لتنفيذ خططه لم يلبث بونابرت ان استخدم الديوان والعلماء فى اصدار المنشورات لتســكين خواطـر الأهالى وحثهم على النزام الهدوء والسكينة ، ثم لنقل الأخبار الهامة التى رأى اذاعتهـــا على المصريين فى أثنــــاء الحملة السورية (٤٩) • ويقول ابراهيم عبده ان بونابرت كان شديد العناية باذاعة النداءات العربية بين الحين والحين ، وهذه كانت تقوم مقام الصحف على غير ميعاد (٥٠) ويذكر بعض الباحثين مثل جورجى زيدان (٥١) ان بونابرت كان يصدر صحيفة عربية تسمى الحوادث اليومية أو التنبيه غير ان عبد الرحمن الرافعى (٥٢) وابراهيم عبده (٥٣) لا يرجحان امكانية صدور مثل هذه الصحيفة هذا ولم يذكر الجبرتى فى مؤلفه عجائب الآثار أى شيء يدل على وجود مثل هذه الصحيفة العربية •

ويرجح هذا الرأى أيضا أحمد حسين الصاوى (٥٤) وعلى أية حال فان المنشورات العربية صدرت لتكون وسيلة الاعلام الرئيسية التى تصل بين السلطات الفرنسية والمصريين ، لكى تعمل على ان تكون أداة دعاية للحكم الفرنسى فقد استهدف بونابرت سياسة اسلامية واضحة مخططه لارضاء المشاعر الدينيـــة للمصريين وكذلك لاذكاء مشاعرهم الوطنيـــة واستخدام اسلوب الوعود أو الترهيب والترغيب (٥٥) وهذا يتضح من نص المنشور العربى الأول للحملة الفرنســـية فى مصر وما تلى ذلك من منشورات حين يقتضى الأمر ولم تقصر مهمة المنشورات العربية على الدعاية، أيا كانت دوافعها واتجاهاتها ، وانما أدت هذه المنشورات دورها الاعلامى البحت ، أى الاخبارى ، مثل أى صحيفة عامة ، أو وسيلة اتصال جماهيرى أخرى ، ومن أبرز نماذج هذا النوع المنشور (٥٦) الذى أصدره بونابرت

---

(٤٨) الجبرتى ـ عجائب الآثار جـ ٢ ص ٢٧١ •

(٤٩) محمد فؤاد شكرى ـ الحملة الفرنسية وظهور محمد على ص ١٧٢ •

(٥٠) ابراهيم عبده تاريخ الطباعة والصحافة فى مصر خلال الحملة الفرنسية ص ٨٩ •

(٥١) جورجى زيدان • تاريخ آداب اللغة العربية الطبعة الأولى مطبعة الهلال جـ ٢ ص ٥١ سنة ١٩١٢ م •

(٥٢) عبد الرحمن الرافعى تاريخ الحركة القومية جـ ١ ص ١٤٥ جـ ٢ ص ٢٢٨ •

(٥٣) ابراهيم عبده ـ نفس المرجع ص ٩٣ •

(٥٤) أحمد حسين الصاوى ـ نفس المرجع ص ٨٣ •

(٥٥) الجبرتى : عجائب الآثار ج ٢ ص ٢١١ ص ٢٩١ •

(٥٦) الجبرتى : عجائب الآثار ج ٢ • ص ٣٥١ •

بعد شهرين من ثورة القاهرة الأولى ، وأعلن فيـــه اعادة تشكيل ديوان القاهرة من مجلسين عمومى وخصوصى وتمثل المنشورات التى صدرت على لسان أعضاء الديوان فى أثناء غياب بونابرت عن مصر مع حملته السورية لونا من البلاغات الحربية التى تتضمن كثيرا من الأنباء •

الصحافة فى عهد محمد على

١ ـ جرنال الخديوى : صحيفة محمد على الأولى :

كان محمد على باشا حريصـــا على الوقوف على شئون بلاده مهتما بالاطلاع على خطوات الاصلاح وما يكون عليه الموظفون من جد أو خمول ومن ثم فقد رأى أن يقدم اليه فى نهاية كل عام أو كل شهر تقرير شامل بهذه الشئون ثم استكثر هذه المدة التى قد تكون مجالا لتكاسل عماله فأصدر أمره بأنه « فى اليوم الأخير من كل أســبوع تـرد اليه كشوف الأقاليم البحرية والقبلية » بمقدار المال المحصل وكميات الغلال والأصناف الأخرى حتى يعلم منها نشاط المأمورين أو تكاسلهم ، ثم تراءى له ان فترة الاسبوع لاتسمح برعاية شـــئون البلاد على ما يرجوه وان بعض الأمور تتطلب سرعة النظر فأمر بعرض هذه التقريرات يوميا أو فى أى ساعة للنظر فى الشئون المستعجلة (٥٧) فكانت ترفع اليه هذه التقريرات فى كل عشرة أيام أو أسبوع أو فى فترات أخرى يحددها •

وقد خصص لذلك نخبة من الكتاب يجيدون العربيـــة والتركية • ثم انتظمت هذه التقريرات وتشعبت موادها بعد ان قامت المطبعـة مقام النسخ واستمرت الأقاليم والدواوين توافيها بالأخبار والكتابات الوافية المفصلة عن سير الأمور فى مختلف الأنحاء ويذكر أحد موظفى مطبعة بولاق انه كان يطبع هذه الصحيفة اذا ساغ ان نسميها هذا الاسم كل مرة مائة نسخة باللغتين العربية والتركية متضمنة الأخبار الرســـمية الحكومية وبعض قصص من كتاب ألف ليلة وليلة (٥٨) • وقد كانت هذه الصحيفة ترســـل الى رجالات الدولة ومأموريهـــا ومن يهمهم الاطلاع على أحـوالها وشئونها • وتدرجت هذه الصحيفة فأصبحت سجلا لأخبار البلاد جميعا كما أصبحت خلاصة وافية لأعمال الحكومة والموظفين والعمال وقد كانت أقدم الصحف المصرية وأسبقها الى الوجود •

---

(٥٧) ابراهيم عبده : تطور الصحافة المصرية الطبعة الثالثة مكتبة الآداب ســنة ١٩٥١ م ص ٣٤ •

(٥٨) ابراهيم عبده : نفس المرجع ص ٣٥ •

وفى بداية جمادى الثانية ١٢٤٤ هـ ٩ ديسمبر ١٨٢٨ م أصدر المجلس العالى لائحة تنظم ديوان الجرنال على نحو يجعل منه هيئة تفنيش ادارية كبرى ثم استبدلت كلمة التفنيش بكلمة الجرنال (٥٩) ومن المعروف ان جرنال الخديوى قد صدر أول عدد منه فى عام ١٨١٣ م ٠

٢ ـ الوقائع المصرية :

أصدر الباشا أوامره فى ٢٥ جمادى الأولى ١٢٤٤ هـ الموافق ٣ ديسمبر ١٨٢٨ م باصدار جريدة الوقائع المصرية وقد صدر أول عدد منها فى ذلك التاريخ وهو يحمل مقالة افتتاحية يمكن أن نبين منها الغرض الذى صدرت من أجله الجريدة (٦٠) ٠ فقد جاء فيه « ٠٠ ومن حيث ان الأمور الدقيقة الحاصلة من مصالح الزراعة والحراثة ، وباقى أنواع الصنايع التى باستعمالها يتأتى الرضا والتيسير ، هى أسباب الرفاهية واجتناب الضرر والأذى وجاء فى المقال أيضا ان الخدمة التى يؤديها جرنال الخديوى لم تعد عمومية لذلك أراد ولى النعم ان الأخبار التى ترد الى الديوان المذكور تنقح وينتخب منها ما هو مفيد ، وتنشر عموما مع بعض الأمور التى ترد من مجلس المذاكرة السامى ، والأمور المنظور بها فى ديوان الخديوى ، والأخبار التى تأتى من أقطار الحجاز والسودان ومن بعض جهات أخرى ٠ وقد جاء فى وثيقة أخرى (ان الغرض من طبع الوقائع انما هو نشر الأخبار الحديثة على الناس حتى يستفيد منها كل انسان) (٦١) ٠ كانت الحوادث الداخلية هى أهم ما نشر بالوقائع حيث ان قلم الوقائع كان يقوم بارسال موظفين الى مختلف دواوين الحكومة بغرض انتخاب الأخبار التى تنشرها الوقائع وقد تنبه على النظار ورؤساء الأقلام بضرورة تسهيل مهمة هؤلاء الموظفين (٦٢) لذلك أرسل مندوبون من الوقائع الى المحمودية وبولاق لهذا الغرض (٦٣) ٠ كما كانت تنشر أيضا فى جريدة الوقائع حوادث وأخبار وفاة (٦٤) ٠ وقد صدر أول عدد لجريدة الوقائع كما ذكرنا فى ٢٥ جمادى الأول ١٢٤٤ الموافق ٣ ديسمبر ١٨٢٨ ٠

---

(٥٩) محمد فؤاد شكرى : نفس المرجع ص ١٢٦ ٠

(٦٠) محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر محمد على ص ١٢ ٠

(٦١) دار الوثائق بالقلعة ـ محفظة ٥٣ دفتر ٢٧٣ نمره ص ٨٢ نمرة ٥٨٤ ٢٧ ذى العقدة سنة ٥٧ ٠

(٦٢) دار الوثائق بالقلعة ـ دفتر ١٥٤ مدارس عربى صفحة ٣٧٨٧ نمرة ٧٦٩ من

(٦٣) دار الوثائق بالقلعه : دفتر ١٤٢ مدارس عربى صفحة ٥٩١ نمرة ٢١٦ من الديوان الى المطبعة فى ٦ محرم سنة ٦٦ ٠

(٦٤) دار الوثائق بالقلعة دفتر ١٢٦ مدارس عربى ص ٨٦٢ فى ٢٦ جماد سنة ٦٤ ٦

وشكل الصفحة الأولى من العدد الأول كان على هذا النحـــو (٦٥) شعار لجريدة عبارة عن اناء زرع (أصيص - زهرية) وبه ٥ زهرات - ويكتب فى أعلى الصفحة جهة اليمين تاريخ اليوم (٢٥ جمادى الأول سنه ١٢٤٤) هـ وفى أعلى الصفحة يكتب اسم اليوم (الثلاث) وأعلاه رقـــم العدد (١) أما اسم الجريدة الوقائع المصرية فيكتب تحت الشعار وأسفل الصفحة الأولى هذه العبـــارة « طبعت هذه الوقائع المصرية بعون خالق البرية صاحب الفتوحات السنية ببولاق مصر المحمية وفى ١٣ شـــوال ١٢٤٤ هـ ٢٠ مارس ١٨٢٩ م صدر العدد التاسع عشر من الوقائع المصرية وفيه تغير شكل الصفحه الأولى من الوقائع وأصبح على هذا النحو (٦٦) شعار الجريدة أصبح عبارة عن شكل الهرم وخلفه قرص الشمس وعلى يساره نخلة وأسفل الهرم ماء النيل ويكتب فى أعلى الصفحة جهة اليمين اسم اليوم (الجمعة) وفى أعلى الصفحة جهة اليسار يكتب تاريخ اليوم الهجرى (فى ١٣ شوال ١٢٤٤ هـ وأعلاه رقم العدد (١٩) ٠ ويكتب أعلى الصفحة على اليمين فوق يوم الجمعة بولاق مصر ويلاحظ بصفة عامة ان الصفحة كان يكتب نصفها الأيمن باللغـة التركية وفى نصفها الأيسر ترجمة باللغة العربية ويفصل بينهما بخط وفى عام ١٢٦٥ هـ / ١٨٤٩ م اتجه النفكير الى تغيير شكل الوقائع لأنه صار قديم جدا واستلزم الحال لعمل شكل عوضا عنه ولزم تحديد الشكل الجديد بمعرفة محمد أفندى الرسيم باعادة مع الياس أفندى باقرب وقت (٦٧) ٠ ويبدو ان جريدة الوقائع لم يقدر له انتظام فى ذلك الوقت (٦٨) فالعدد الرابع ظهر فى ١٥ رجب ١٢٤٤ هـ والعـــدد الخامس صدر فى ٢٦ رجب أى بعـــد ١١ يوم (٦٩) ٠ وقد صدر العدد ٣٠٨ فى ١٦ جمادى الأولى سنة ١٢٤٧هـ والعدد ٣٠٩ فى ١٨ جمادى الأولى وقد صـــدر العدد ٣٢٨ فى ٨ رجب سنة ١٢٤٧ والعدد ٣٢٩ فى ١٣ رجب وقد صدر العدد ٣٧٦ فى ٢٥ القعدة ١٢٤٧ والعـــدد ٣٧٧ فى ٢٨ ذى القعـــدة (٧٠) فقد كان طبع الوقائع حوادث من كل سنة (٧١) وقد بذلت محاولات لجعل صدور الوقائع منتظم ونشرها على المستخدمين المستحقين فى ذلك الوقت يكون حسب ظهـور

---

(٦٥) أمين سامى نفس المرجع جـ ٢ ٣٤٠ ٠

(٦٦) أمين سامى : نفس المرجع حـ ٢ ص ٣٤٦ ٠

(٦٧) دار الوثائق بالقلعة دفتر ١٤١ مدارس عربية صفحة ٢٤١ نمرة ١١٣ من الديوان الى المطبعة فى ١٩ ذى القعدة سنة ١٢٦٥ هـ ٠

(٦٨) Madden, op cit., p. 18.

(٦٩) أمين سامى : نفس المرجع حـ ٢ ص ٣٤٠ ٠

(٧٠) أمين سامى : نفس المرجع حـ ٢ ٠ ص ٣٨٤ ٠

(٧١) دار الوثائق بالقلعة محفظة ٤٩ - رقم الدفتر ١١ جزء رابع - رقم المكتابة ٣٥٦ ص ٣٠٣٧ بتاريخ ٦ ربيع الأولى سنة ١٢٦١ هـ ٠

بحيث تصدر لسخة أسبوعية فقد تكررت المخاطبـــات من قلم الوقائع الى دار الطباعة فى عام ١٢٦٣ هـ ـ ١٨٤٧ م بضرورة « ارسال الوقائع كل يوم سبت قبل الظهر أو بعده بعد تصحيحها لأجل ملاحظتها ثانيا بعلم الوقائع واعادتها كى ننشر بأوقاتها » لا ان ترسل فى عصر يـوم الأحـد فلا يتسع الوقت لفحصها فتظهر يوم الاثنين بما فيها من (النحريفات) فيلزم مجازاة من تسبب فى ذلك (٧٢) ٠

أما توزيع جريدة الوقائع ففد كان يتم اجباريا على الموظفين المصريين الذين لاتقل مرتباتهم عن ١٠٠٠ قرش شهريا نظير رســم اشتراك سنوى مقداره ٧٧ قرشا و ١١ بارة (٧٣) كما انها كانت توزع على كافة المدارس وذلك لانها كانت تعد وسيلة من وسائل التعليم (٧٤) وكذلك أرسلت الى المدرسة المصرية بفرنسا نسخ منها (٧٥) كما كانت توزع نسخ منهـــا على قناصل الدول الأجنبية (٧٦) وبازديـاد عدد النســـخ المطبوعة من جريدة الوقائع فى ١٢٦٢ هـ ١٨٤٦ م تقرر توزيع جريدة الوقائع اجباريا على الموظفين الأجانب الذين لا تقل مرتباتهم عن ١٠٠٠ قرش شهرى نظير اشتراك سنوى قدره ٧٧ قرشا و ١١ بارة أسوة بالموظفين المصريين (٧٧) كذلك فان الوقائع كانت ترسل الى بعض العلماء والمشـايخ ويلاحظ ان جريدة الوقائع التى كانت ترسل الى الذوات الكرام والعلماء وقناصل الدول يراعى وضعها داخل مظاريف من الورق الأبيض (٧٨) ٠ أما النسخ التى كانت ترسل الى الموظفين بالدواوين فلم تكن ترسل عن طريق البريد بل تجمع النسخ المخصصة الى كل ديوان على حدة ثم يأتى منـــدوب من الديوان لتسلم النسخ ثم يقوم بتوزيعها على الموظفين المستحقين (٧٩) ٠

(٧٢) دار الوثائق بالقلعة : محفظه ٤٩ دفتر ٦٣ جزء ١٠ وثيقة ١٢٨٨ ص ٦٣ هـ ٣٧٥١ رجب سنة ١٢٦٣ ٠

(٧٣) دار الوثائق بالقلعة محفظة ٤٩ دفتر ١ ج ١ ص ١١ مكاتبه هـ ١ ـ ٢٢ جماد أول سنة ١٢٦٠ هـ ٠

(٧٤) دار الوثائق بالقلعة محفظة ٤٩ دفتر ٥٩ جـ ٦ ص ٢٣٥٣ رقم المكاتبة ٣٧٨٥ ـ سنة ١٢٦٣ هـ ٠

(٧٥) دار الوثائق بالقلعة دفتر ١٥٤ مدارس عربى ص ٢٧٩٤ نمره ٢٦١٤ ـ ١٣ شعبان سنة ٦٦ هـ ٠

(٧٦) دار الوثائق القلعة : محفظة ٤٩ دفتر ٦٣ ج ١٠ ص ٣٦٤٧ مكاتبة ١٢١٤ ـ ١٣ رجب ١٣ هـ ٠

(٧٧) دار الوثائق بالقلعه محفظة ٤٩ دفتر ٩ ج ٢ ص ٦١٤ مكاتبة ١٢٧ ـ ٥ القعدة سنة ١٢٦٠ ٠

(٧٨) دار الوثائق بالقلعة دفتر ١٥٨ مدارس عربى ص ٩٠٨ نمرة ٣٩٠ من الديوان الى المطبعة ٤ صفر ٦٦ هـ ٠

(٧٩) دار الوثائق بالقلعة دفتر ١٤٤ مدارس عربى ص ٩٦٤ نمره ٢٦٧ من الديوان

وقد شهدت جريدة الوقائع تطورا هاما فى اسلوب تحريرها سنة ١٢٥٧ هـ / ١٨٤١ م فقد صدر أمر من الباشا جاء فيه ان الغرض من طبع الوقائع انما هو نشر الأخبار الحديثة على الناس حتى يستفيد منها كل انسان ولا يجب الاكتفاء بنشر أخبار مصر فحسب وقد أصبح من اللازم اضافة بند للحوادث الخارجية فى الجريدة حتى ينقبلها الناس برغبة وشوق ويشتاقون لقراءتها فالأخبار تسقط قيمتها اذا تقادم عهدها ولذلك وجب الحصول على الأخبار أولا فأول ونشرها على الجمهور . ولما كان فى بعض الأخبار الاجنبية أشياء لايليق نشرها فقد تقرر تمييزها وعدم نشر المواد غير المناسبة ونشر الحوادث الداخلية والخارجية الملأى بالعبر المنتظر فائدة منها .. وحيث ان نشر مثل هذه الأخبار يتوقف على قراءة الجرائد التى تنشر فى الخارج ويستوجب ان يكون موقف المشرف على ترتيب الجريدة وتنظيمها ملما باللغتين وعلى ذلك فقد أحال أعمال ترجمة المواد المناسبة من الجرائد الأجنبية وعلاوة على بعض قطع أجنبية من الكتب الأدبية وانتخاب أخبار الملكية وترتيب الجريدة المصرية بصفة عامة وترتيب الجريدة المصرية بصفة عامة على سفره الشيخ رفاعة أفندى ناظر مدرسة الألسن لوجود مترجمين جاهزين فى هذه المدرسة . واناطة تفريق المواد التى تستحق النشر وبحث المواضيع التى ستدرج بالجريدة بحضرة أدهم بك مدير المدارس وحيث ان حضرة الشيخ رفاعى سيطبع أصول الجريدة بحسب اللغة العربية فتحال أعمال افراغ الترجمة التركية فى قالب حسن بدون الاخلال بالأصل العربى وتنظيم المواد حسب النظام التركى على حضرة حسين أفندى ناظر المطبعة العامرة على ان يعد هذا التكليف من اختصاص وظيفته بصفة أصلية .

أما الحوادث الخارجية وان كانت ستنشر فى الجريدة الا أن الأخبار المصرية ستكون المادة الأساسية وسيمكن نشر الأخبار المصرية فى كل أسبوع اذا ما وردت التقارير فى الوقت المناسب من الديوان المعاون ديوان الجهادية والديوان الخديوى والاسكندرية والأقاليم الى ديوان المدارس وفى حالة عدم ورودها فى الوقت المناسب تعلن على لبيب أفندى ومعاون ديوان المدارس والمترجم العربى للذهاب الى الدواوين لاحضار الأخبار ، وأن تنقل بعض أخبار مناسبة من جريدة أستانبول وحيث ان الحوادث الأجنبية معتاد تقديمها الى الجناب العالى بعد ترجمتها الى اللغة التركية فيكلف البك المترجم بانتخاب المناسب منها وارسال صورها الى

(٨٠) دار الوثائق بالقلعة ـ محفظة ٥٣ دفتر ٢٧٢ ص ٨٢ ، ٨٣ نمره ٢٧٥٨ سنة ١٢٥٧ هـ .

ديوان المدارس وبهذه الطريقة يمكن نشر الجريدة أسبوعيا (٨٠) هذا وقد حرص الباشا على ان تصدر الوقائع فى هيئة وطريقـــة تماثل صحف الاستانة وأوربا (٨١) ٠ وبالنسبة للاشراف على القسم العربى بجريدة الوقائع فقـــد اختلف فيمن أشرف على تحـــريره أولا وأغلب الظن أنه السيد شهاب الدين بن اسماعيل الخشاب الذى عين بعد ذلك مصححا أول لمطبوعات بولاق ١٨٣٦ م وبقى فى خـــدمة الوقائع والمطبعـــة حتى ســنة ١٨٤٩ م ٠ فقد أحيلت نظـارة الوقائع الى الشيخ رفاعة فى ســنة ١٢٥١ هـ ١٨٣٥ م وبقى مشرفا عليها حتى ســـنة ١٢٦٧ هـ ١٨٥٠ م ٠ واذ آل الى رفاعة الاشراف عليها وتمكن من رعايتها وجعل اللغة العربية فى مكان الصدارة بدلا من التركية فى صفحاتها الأربـع وعنى بها عناية بالغة واستعان بطائفة من المحررين الماهرين مثل أحمد فارس الشدياق والسيد شهاب الدين (٨٢) وكانت الوقائع تابعـــة لديوان المدارس منذ بداية صدورها حتى ١٢٦٤ هـ / ١٨٤٨ م حيث ألحقت بديوان الخديوى فى تلك السنة (٨٣) ونعرض ميزانية الوقائع فى عام ١٢٦٤ هـ / ١٨٤٨م لكى تعطينا مثلا على حجم الانفاق على تلك الجريدة فى ذلك الوقت (٨٤)٠ فقيمـــة تكاليف الوقائع بما فيهـا الطبع والورق بلغت ٢٣٥ر٤٩ ك.س

أما الماهيات فكانت على النحو التالى :

قرش	كيس	
٢٠٤	٧٢	**لقائمقام ناظـــر القلم**
٤٠٧	١٥	**يوزباش أول مترجم تركى وعربى**
١١٤	٨	**ملازم أول مترجم فرنساوى**
١١٤	٨	**مأمور رجال الحوادث من الديوان**
١٠٢	٥	**ملازم ثان مبيض تركى وعربى**
٢٠١	٣	**مساعد المبيض ٠**

---

(٨١) دار الوثائق بالقلعة محفظة ٤٩ دفتر ٥٦ جزء ثالث ص ١١٣٧ رقم المكاتبة ٣٦٥ ذى الحجة سنة ١٢٦٢ هـ ٠

(٨٢) محمد كامل الفقى : الأزهر ـ ص ١٤٦ ، ١٤٧ ٠

(٨٣) دار الوثائق بالقلعة ـ محفظة ٤٩ دفتر ١١٩ حـ ٣ مكاتبة رقم ٥٣ ص ٩٩٩ سنة ١٢٦٤ هـ ٠

(٨٤) دار الوثائق بالقلعة ـ محفظة ٤٩ دفتر ٨٩ جزء ٨ وثيقة ٦٩٦ ٢٧٢٢ رجب ١٢٦٤ هـ ٠

٣ ـ الوقائع الطبية :

الى جانب الوقائع المصرية فقد صدرت صحيفتان أخرتان تحملان نفس الاسم وهما الوقائع الطبية والوقائع الحربية ، وجريدة الوقائع الطبية كان يشرف على تحريرها واصدارها معلمى مدرسة الطب البشرى وكانت نوزع على الأطباء والصيادلة مقابل خصم سنوى مقداره ١٣ قرشا خفض فى سنة ١٢٦٥ هـ / ١٨٤٩ م الى ثمانيـــة قروش (٨٥) وكانت هذه الصحيفة تحمل على ما يبدو الأخبار والحوادث التى تتصـــل بالمصلحة الطبيـــة والمستشفيات ولكن هذه الجريدة قد ألغيت فى ٨ ذى الحجة ١٢٦٥ هـ / ٢٦ سبتمبر ١٨٤٩ م (٨٦) ٠

٤ ـ الوقائع الحربية :

لقد صدرت جريدة الوقائع الحربية فى بداية حــرب الشـــام سنة ١٨٣٣ م حين فكر محمد على فى انشاء جريدة حربية الى جانب الوقائع المصرية وكانت تصـــدر كل يومين وكانت تطبع بمطبعة الجهـادية وقد اقتصرت كتابتها تقريبا على الحوادث التى تقع فى آلايات الجيش وتنشر الأحكام التى تصدر ضد أصحاب الجـرائم (٨٧) ٠ ويقول عبد اللطيف حمزة ان هذه الجريدة لم تعش طويلا وربما ســـبب ذلك معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ م وهى المعاهدة التى حدت من نشاط الجيش المصرى فلم تعد هناك ضرورة ملحة للمضى فى نشر هذه الصحيفة ٠ غير ان هذا الرأى ليس صحيحا فهناك وثيقة يتضح منها صدور اذن من ديوان الجهادية الى مطبعة الجهادية بطبع جريدة الوقائع الحربية وذلك فى عام ١٢٦٥ هـ / ١٨٤٩ م (٨٨) ٠

٥ ـ صحيفة الزراعة والتجارة :

الى جانب الصحف السابقة فقد صدرت صحيفة أخرى تختص بأمور الزراعة والتجـــارة وذلك فى عام ١٢٦٤ هـ / ١٨٤٨ م فقـــد أصـــدر ابراهيم باشا أمرا جاء فيه ٠

---

(٨٥) دار الوثائق بالقلعة دفتر ١٤١ مدارس عربى ص ٣٢٧ رقم ٢٥ ذى الحجة ١٢٦٥ هـ ٠

(٨٦) دار الوثائق بالقلعة دفتر ١٢٨ مدارس عربى (وارد) ص ١٤٧ رقم ٢٧ سنة ١٢٦٥ هـ ٠

(٨٧) عبد اللطيف حمزه ـ قصة الصحافة فى مصر ـ بغداد ١٩٦٧ ـ ص ٤٥ ٠

(٨٨) دار الوثائق بالقلعة دفتر ١٥٩ مدارس عربى وارد ص ١٩ رقم ١٢٩ سنة ١٢٦٥ هـ ٠

« لما كان أمر التجارة والزراعة أساسا للرفاهية والثروة وقد أراد جناب الخديوى ان يطبع جرنالا جامعا فى شأن ذلك بحيث يشتمل على أخبار الزراعة والتجارة والاعلانات الملكية وان ينشر على البلاد والقـــرى كافة زيادة على نسخ الوقائع المعتاد نشرها كل أسبوع » (٨٩) ٠

ولا شك ان صحيفة الوقائع المصرية والجهود المبذولة بصفة عامة فى مجالات الصحافة والتعليم والترجمة والنشر والطباعة كان لها أثر ظاهر فى تنوير عقول العبـاد وزيادة ثقافتهـــم ولبس ذلك فى تعليم الصفوة المستنيرة الممتازة فحسب بل لقد كان لهذه الحركة أثر كبير فى مكافحة التعصب للعادات المصرية القديمة وذلك التعصب الذى كان متغلغلا فى النفوس ويسيطر على عقول العامة ومشاعرهم فاتسع من جراء هذه الحركة العلمية الواسعة أفق التفكير لدى المصريين واستطاع محمد على عندما نقل الى مصر علوم الغرب وفنونه ان يعد التربة الصالحة لقبول أفكار كانت غريبة على المصريين هذا ولم يحدث ذلك بسهولة ويسر فقد كان على الطرف الآخر يوجد من يتمسك بالتقاليـد القديمة الموروثة ويرفض كل جـــديد أو مستحدث مما أدى الى وجود صراع دائم بين الجديد والقديم ذلك الصراع الذى استمر طوال القرن التاسع عشر بل وخلال القرن العشرين ولا نزال نشاهد صوره ومظاهره حتى وقتنا الحاضر ٠

---

(٨٩) امين سامى : نفس المرجع ص ٦١٨ ٠

الترجمة

كان الجيش هو المحور الذى تدور عليه جميع الاصلاحات التى فكر فيهـا محمـد على فمن أجله عنى بالتجارة والصناعة وبالتعليم بصفة خاصة واحتاج الباشا الى مصانع كثيرة والى المدارس الحديثة والى المدرسين الذين يدرسون للطلبة علوم الهندسة والطب وفنون الحرب ولم تكن فى مصر فى ذلك الوقت كتب فى هذه العلوم ولم يكن أمام الباشا الا سبيل واحد فقط لادخال هذه العلوم فى المدارس الحديثة وهو سبيل الترجمة ومن ثم اتجهت حركة الترجمة فى عهد محمد على الى وجهة علمية خالصة وحصرت المواد المترجمة فى الطب والهندسة والكمياء والزراعة ثم السياسة والمنطق ثم الجغرافيا والتاريخ فحركة التعليم كانت سببا فى نمو حركة الترجمة حتى ان أحمد عزت عبد الكريم يقول اننا لا نغلو اذا وصفنا عصر محمد على من جهة النهضة العلمية بأنه عصر الترجمة والتعريب (٩٠) لذلك فان محمد على نفسه كان يهتم بالاطـــلاع على الثقافة الأوربية وكان يهدف الى نقل حضارة الغرب بصفة عامة الى مصر فى مختلف العلوم الى جانب ذلك اتجه الى عمل آخر كان له أعمق الأثر فى بناء الصرح الثقافى وهذا العمل هو نشر الكتب العربية القديمة وقد بلغ عدد الكتب العربيـــة القديمة المطبـوعة فى الأدب والشعر والتاريـــخ والدين حتى ســـــنة ١٨٢٩ خمسة وسبعون كتابا (٩١) . وقد بدأت الترجمة فى عهد محمد على مع انشاء المدارس الفنية الحديثة وما استوجب ذلك من الاستعانة بالمدرسين الأجانب الذين سيقوموا بتعليم التلاميذ ولم يقتصر استخدام الأجانب فى بادىء الأمــر على المدارس فقط بـل انهم استخدموا أيضا فى المصـــانع والجيش والمصالح وكان من المستحيل بطبيعة الحال على هؤلاء الأجانب ان يقوموا بالتفاهم مباشرة بينهم وبين الموظفين والتلامذة اذ كانوا يجهلون لغة البلاد كما كان الأهالى يجهلون لغة الفرنج لذلك اتخذت عدة اجـــراءات

---

(٩٠) أحمد عزت عبد الكريم ـ نفس المرجع .

(٩١) عبد اللطيف حمزة : قصة الصحافة فى مصر ص ٢٨ .

لتيسير العلاقات بين العنصرين والاسراع فى العمل والانتاج منها ترجمة الكتب الفرنسية والايطالية الى اللغة العربية أو التركية واستخدم محمد على لهذا الغرض بعض السوريين وكانت المشكلة الملحة فى ذلك الوقت هى قلة عدد المترجمين ومما زاد المشكلة عسرا عدم ثبات الحكومة على سياسة مستقرة بشأن التعليم اذ لجأت الى دول مختلفة لتحصل على الكتب المدرسية والمدرسين فتعددت بذلك لغات التدريس وزادت صعوبة المترجمين (٩٢) ومما زاد المشكلة عسرا عدم ثبات الحكومه على سياسة مستقرة بشأن التعليم اذ لجأت الى دول مختلفة لتحصل على الكتب المدرسية والمدرسين فتعددت بذلك لغات التدريس وزادت صعوبة المترجمين صعوبة ومشقة اتجهت أنظار الحكومة أولا الى ايطالية فاستدعت منها الأساتذة وأرسلت اليها بعثتها الأولى فى سنة ١٨١٣ م ولما حل النفوذ الثقافى الفرنسى محل الايطالى استدعى الباشا الأساتذة والضباط والخبراء من فرنسا وعلى سبيل المثال فقد عين الدكتور كلوت بك لمدرسة الطب وصار معظم المدرسين منها من الفرنسيين يلقون محاضراتهم باللغة الفرنسية ويوصون بترجمة الكتب من اللغة الفرنسية هذا ولم يضمحل تماما نفوذ الايطاليين فى مصر فعندما انشأ مجلس التجارة بالاسكندرية عام ١٢٦١ هـ / ١٨٤٥ م جاء فى قرار الانشاء الاستعانة بمترجم ايطالى يقوم بمهمة الترجمة (٩٣) وقد اتجهت البعثة العلمية المصرية الثانية سنة ١٨١٨ الى فرنسا بدلا من ايطاليا ومن أبرز أعضائها عثمان نور الدين وقد كلفته الحكومة عند عودته الى مصر بأعمال الترجمة لقلة المترجمين .
وقد مست الحاجة فى ذلك الوقت للعمل بدواوين الحكومة والمصالح ولم يبرز منهم الا بعض السوريين مثل يوسف روفائيل ويوسف عنحورى والأب روفائيل ولجأت الحكومة لتعويض نقص المترجمين الى منح الهبات المالية لكل موظف فى خدمتها يقوم بترجمة الكتب (٩٤) كما كان الباشا يصدر أوامره أحيانا الى كبار الموظفين لترجمة الكتب الى اللغة العربية مثل حاكيكيان أفندى وارتين أفندى ويوسف أفندى واسطفان أفندى وكانى بك ومختار بك (٩٥) كما ألحق مترجمين بالمدارس لكى يقوموا بدور الترجمة بين المعلم الأجنبى والتلاميذ كذلك كان من ضمن مناهج التعليم للمدارس التجهيزية والعليا تعليم اللغات الأجنبية والايطالية والفرنسية وذلك

---

(٩٢) جاك تاجر : حركة الترجمة بمصر خلال القرن ١٩ دار المعارف سنة ١٩٥١ ص ١٩ .

(٩٣) أمين سامى - تقويم النيل جـ ٢ ص ٥٤٥ .

(٩٤) جاك تاجر - نفس المرجع - ص ٢٥ .

(٩٥) أمين سامى : تقويم النيل جـ ٢ . ص ٤٥ .

كمحاولة لتعويض وسد النقص فى عدد المترجمين وعندما أرسل الباشا البعثة العلمية الى فرنسا فى ١٨٢٦ م طلب من أعضائهـا ترجمة الكتب النافعة على انه لم ينتظر عودتهم الى مصر ليكلفهم أعمال الترجمة بل أمرهم بالشروع فيها وهم يتلقون العلم فى العاصمة الفرنسية فهناك أمر صادر من محمد على فى ٢٢ ربيع الأول ١٢٤٩ هـ / ١١ يوليه ١٨٣٣ م بالمدرس على كلوت بك بالزام الطلبة الذين أرسلوا الى أوربا لتلقى فنون الطب بها بترجمة الكتب التى يدرسونها أولا بأول الى العربية وارسالها (٩٦) كما عهد الباشا الى المبعوثين بعد عودتهم من فرنسا بترجمة جميع الكتب التى درسوها حتى تكون متاحة للطلبة فى المدارس خاصة انه بدأ احلال الوطنيين فى مختلف الوظائف بالدولة وذلك تخفيفا على الدولة من مرتبات الأجانب العالية ولتوفر الاعداد الكافية من المصريين لشغل تلك المناصب ٠

وقد انتقلت حركة الترجمة فى مصر الى مرحلة جديدة توفر فيهـا العدد الكافى من المترجمين وجعلت أكثر تنظيما واشرافا من جانب الدولة وذلك بافتتاح مدرسة الألسن فى عام ١٨٣٦ « ٠٠٠ ان يرتب مدرسـة للمترجمين لتترجم فيها اللسان الفرنسى اللازم أشد اللزوم لتلاميذ المكاتب المصرية باللغة العربية طلبا لتحصيل الفوائد الكثيرة صـدر أمره العالى خطابا لحضرة مختار بك ناظر مجلس المشـورة الملكية ترتيب المدرسـة المـذكورة على ما يلزم فسـار الناظر المشار اليه الى تنفيذ مقتضى الارادة السـنية واستحسن بالتفكير فى ذلك مكانا قصر المرحـوم محمد بك الدفتر دار الكائن بالأزبكية حيث وجده يسع خمسين تلميذا وجعله مدرسة للمترجمين واستنسب احالة الرئاسة فى هذه المدرسة الى عهدة الشيخ رفاعة رافع الذى ذهب فيما تقـدم الى باريس وحصل الفنون وتعلمها على وفق المطلوب ٠ ولما كانت هذه المكاتب التى رتبت من قبل الآن مشتملة على تلامذة كثيرة استصوب ان يؤخذ لهذه المدرسة الجديدة خمسة وعشرون تلميذا من تلامذة المكاتب الكائنـة فى الوجـه البحرى وخمسة وعشرون تلميذا من تلامذة المكاتب بالوجه القبلى وعرض هذا الأمر على جناب الخديوى الأكرم وحيث ان هذا الترتيب المذكور قد وافق مقتضى الارادة السـنية صدر الأمر السامى باجراء ما يلزم اجراءه من ذلك وأدخل السرور على الشيخ رفاعة برئاسة هذه المدرسة الجديدة (٩٧) » وتم افتتاح المدرسة فى شهر ربيع الأول ١٢٥٢ هـ يونيـه ١٨٣٦ م (٩٨) أى بعد مرور حوالى أحد عشر شهرا من صدور الأمر السابق ٠

(٩٦) امين سامى : تقويم النيل حـ ٢ ص ٤٢١ ٠

(٩٧) دار الوثائق بالقلعة ٠ محفظة ٥٠ رقم ٥٩٠ فى يوم الأحد المبارك ٧ من شهر ربيع الثانى سنة ١٢٥١ هـ ٠

(٩٨) امين سامى ــ تقويم النيل ٠ جـ ٢ ص ٤٧٠ ٠

وكان الغرض من تأسيس مدرسة الألسن تخريج مترجمين لخدمة المصالح والمدارس الحكومية انجهت فيه الحكومة منذ انشائهـــا الى « ان يكون من خريجيها قلما للترجمة يقوم على ترجمة الكتب اللازمة للمدارس الحكومية ومصالحها » ولما وضعت قوانين التعليم ولوائحه فى سنة ١٨٣٦ م أصبح الغرض منها تخريج المترجمين واعداد المدارس الخصوصية الأخرى بتلاميذ يعرفون اللغة الفرنسية حتى اذا تخرجوا فى هذه المدارس كانوا على معرفة باللغة التى يترجمون منها وبالعلم الذى يترجمون كتبه وبهذا يمكن ان تعد مدرسة الألسن مدرسة خصوصية وتجهيزية ففى عام ١٨٤١م تقرر ان تقوم مدرسة الألسن بمهمة مدرسة تجهيزية أيضا حيث انها تعد التلاميذ للالتحاق بالمدارس الخصوصية المختلفـة حتى يكونوا على دراية باللغات الأجنبية والعلوم والفنون التى يدروسنها فى المدارس العالية مما يؤهلهم لترجمة الكتب العلمية المختلفة (٩٩) ٠

وكانت مدة الدراسة فى مدرسة الألسن تتراوح بين أربعة ــ خمسة سنوات وكان الطلبة يكلفون أثناء فترة الدراسة بترجمة بعض الكتب وبعد مراجعتها من جانب المدرسة ومدير المدرسة تقوم المطبعة بطبعها ونشرها على المدرسين والتلاميذ ومن أمثلة هؤلاء الذين قاموا بترجمة كتب مختلفة محمد دبور الذى ترجـم كتاب فى علم الهيئة ثم أعطى كتابا مختصرا فى فن الآداب (الرعاية) سيد عمارة أتم ترجمـة الكتــاب فى فن المساحة وسيعطى كتابا آخر فى صناعة القماش والورق وعلى وسلامة يعطى كتابا فى فن الجوخ وعلى الجزاوى أتم الجغرافيا ثم أعطى الجزء الأول من تاريخ الدولة العثمــانية لترجمتـــه الى التركية ومصطفى الكريرى أعطى الجزء الثالث من التاريخ القديم للترجمة للتركيــة ٠ ومحمد أفندى لاظ أعطى الجزء الأول من التاريخ القديم للترجمة للتركية ، وحسن موسى سيعطى كتابا مختصرا فى الزراعة والفلاحة وهذه الأســـماء مأخوذة من وثيقــة بتاريخ ١٢٥٩ هـ / ١٨٤٣ م ويتضح منها ان أكثر من طالب كان يشترك أحيانا فى ترجمة كتاب واحد وكانت الترجمة تنقل للغة العربية أو التركية ويلاحظ أيضا ان الترجمة لم تقتصر على الكتب الدراسية بل تعدت ذلك الى كتب فى الزراعة والفلاحة وصناعة الورق والقماش والجوخ والفنون العسكرية وغيرها ٠

ونصت لوائح المدرسة على ان مدرسى المدرسة هم مديرها ومراقبان للدراسة وأستاذ للغة العربية من الدرجة الأولى وأستاذ للغة التركية من

---

(٩٩) جاك تاجر : نفس المرجع ص ٣٠ ــ ٣١ ٠

الدرجة الأولى وثلاثة أساتذة لتدريس اللغة الفرنسية والرياضة والتاريخ والجغرافيا .

أما مديرها فهو العالم الجليل رفاعة رافع الطهطاوى (١٠٠) .

وفى عام ١٨٤٠ م تقرر انشاء قلم للترجمة لكى يصم اليه خريجو مدرسة الألسن فى عام ١٢٦٤ هـ / ١٨٤٨ م صدر أمر عال بانشاء قلمى ترجمة عربى وتركى وضمهم الى نظارة حضرة أمير اللواء كانى بك وكيل ديـوان التفتيش وقد تعين رفاعة بك أميرالاى الذى كان ناظر مدرسـة الألسن التابعة لديوان المدارس ناظرا على قلم الترجمة العربى فى معية حضرة الأمير المومىء اليه (١٠١) وفى عـام ١٢٦٥ هـ ــ ١٨٤٩ م ألغى قلمى الترجمة وتقرر اعادة المترجمين العرب الى المدرسة (مدرسة الألسن) . أما المترجمون الترك فقد تأجل النظر فى أمرهم لأجل آخر (١٠٢) .

(١٠٠) جاك تاجر . نفس المرجع ص ٣٢ .

(١٠١) رمين سامى ــ تقويم النيل جـ ٢ ص ٦١٩ .

(١٠٢) دار الوثائق بالقلعة ــ دفتر ١٢٦ مدارس عربى ص ٩٧٧ نمرة ٢٧١ محرم سنة ١٢٦٥ هـ .



الباب الرابع

الشئون القضائية والأمن

القضـاء

فى خلال عهد السلطان سليمان القانونى تم ارســـاء قواعد نظام القضاء العثمانى فى مصر بصفة نهائية حتى أواخر العصر العثمانى فقد أرسل السلطان سليمان مرسوما الى مصر فى أواخر جمادى الثانيـــه سنة ٩٢٨ هـ ٢٨ ابريل سنة ١٥٢١ م يتضمن تعيين قاضى عثمانى يرأس هيئة القضاء فى مصر ويتصرف فى الأحكام الشرعية على المذاهب الأربعة وبوصول أول قاضى عثمانى الى مصر يحمل لقب قاضى العسكر فى ١٠ رجب سنة ٩٢٨ هـ و ٧ يونيو سنة ١٥٢١ م بدأ تنفيذ نظام القضاء العثمانى فيهـــا (١) ٠

ويعد منصب قاضى العسكر من المناصـب العلميـــة وقد اشترط السلطان سليمان القانونى شروطا قاسية لوصـــول العالم الى احد هذه المناصب الكبرى فعليه ان يمر كطالب علم أولا ثم كمدرس فى اثنى عشر مدينة بتسلسل تدريجى وهذا كان يتطلب من الفـــرد أربعين عاما من الدراسة والعمل وقد تمتع قاضى العسكر فى مصر العثمانية بمكانة كبيرة وكان السلطان يخاطبه فى فرماناته بلقب (أقضى قضاه المسلمين أولى ولاة الموحدين معدن الفضل واليقين رافع أعلام الشريعة والدين وارث علوم الأنبيـاء والمرســلين المختص بمزيد عناية الملك المعين مولانا ٠٠٠ ذيدت فضائله) (٢) ٠

وقد لقب قاضى العسكر فى مصر العثمانية بلقب شيخ الاسلام فورد فى سجلات الديوان العالى : مراسلة شريفة صدرت عن حضرة ســـيدنا ومولانا شيخ قايم الاسلام علامة الأنام قاموس البلاغة ونبراس الافهـام الناظر فى الأحكام الشرعية وأمور القسمتين العسكرية والعربيـــة قاضى القضاة يومئذ بمصر المحمية الموقع خطه الكريم فى آخره ٠

---

(١) ليلى عبد اللطيف ــ الادارة فى مصر ــ مطبعه جامعة عين شمس ١٩٧٨ ص ٢٤٦ ٠

(٢) سجلات المحكمة الشرعية ــ محكمة الديوان العالى ــ مسلسل ٧ مادة ١١٢ ص ٢٥ ٠

وأحيانا كان يلقب بلقب قاضى الديوان وأحيانا يذكر بلقب مولانا النائب وفى بداية العهد العثمانى بمصر كان قاضى القضاة يشغل منصبه لسنوات طويلة وصلت أحيانا الى ستة عشر عاما متوالية ثم قصرت مدة شغل القاضى لوظيفته تدريجيا فأصبحت تتراوح بين ثلاث سنوات وسنة واحدة وفى القرن الثامن عشر وحتى أواخر العهد العثمانى أصبح قاضى القضاة يعين لمدة سنة واحدة (٨) ·

كان قاضى القضاة (قاضى عسكر أفندى) هو رئيس هيئة القضاء فى مصر كلها وقد تم تنظيم القضاء فى مصر العثمانية على يد القاضى (سيدى جلبى) الذى اتخذ مقره فى مدرسة الصالحية وعين له نائبا حنفيا وآخر شافعيا ونائبا ثالثا مالكى المذهب والنائب الرابع حنبلى وكلهم شخصيات عثمانية ويتناوب هؤلاء النواب الجلوس نيابة عن قاضى القضاة فى المدرسة الصالحية فى الأوقات التى يسمح لهم فيها بذلك وقد حدد هذا القاضى لكل نائب من نوابه الأربعة الاحتفاظ بشاهدين فقط يعملان معه وقد عين قاضى القضاه مجموعة من القضاه العثمانيين المرسلين من استانبول عنه فى أنحاء القاهرة مثل بولاق ومصر العتيقة جامع بن طولون والحسينية وغيرها من اخطاط القاهرة وفى محاكم الأقاليم (٩) وبالاضافة لرئاسة قاضى العسكر لهيئة القضاء فى مصر كلها فقد كان يفصل فى القضايا التى تقدم اليه فى أكبر وأهم محاكم مصر العثمانية وهى التى عرفت بمحكمة الباب العالى أو محكمة محروسة مصر أو المحكمة الكبرى وقد اختصت تلك المحكمة بالقضايا الهامة المتعلقة باسقاط الأرض والرزق وعمليات الاستبدال فيها وادارة الأوقاف الخيرية والتعيينات لوظائف المساجد وبالاضافة الى اختصاصات السابقة كان قاضى القضاة يفصل فى تلك المحكمة أيضا فى القضايا والخصومات التى تنشب بين الأفراد وكذا قضايا الزواج والطلاق والبيوع والعقود والاشراف على اتفاقات أرباب الحرف والمصالحة بين المتخاصمين وابراء الذمة ومن أمثلة القضايا التى عرضت على محكمة الباب العالى حكم بنشاز فاطمة عمر من حسن ابراهيم (١٠) كذلك الحكم بتصالح وابراء ذمة بين على أغا محمد وأحمد حنفى محمود (١١) ومن اختصاصات محكمة الباب العالى الاشهاد بوقف

---

(٨) ليلى عبد اللطيف ـ نفس المرجع ص ٢٤٩ :

(٩) ليلى عبد اللطيف ـ نفس المرجع ص ٢٥١ ·

(١٠) سجلات المحكمة الشرعية ـ محكمه الباب العالى مسلسل ٦ مادة ١٥٢ ص ٣٢ سنة ٢٣٤٠ هـ ·

(١١) سجلات المحكمة الشرعية ـ محكمة الباب العالى ـ مسلسل ٣ مادة ١١ ص ١٨٠ · ١٥ محرم سنة ١٢٢٨ ، ١٨ ديسمبر سنة ١٨٢٧ م ·

والمبايعات والاستحقاق فى رزق أرض وعزل ناظر وقف من عمله وتعيين بدله عند الضرورة ومن أمثلة قضـــايا الارث وتعيين المستحقين وقيمـة استحقاق كل فرد منهم التى نظرت أمام محكمة البـــاب العالى ما يلى :

اعلام شرعى بمقتضاه انه قد ثبت بين يدينـــا بمجلس الشريعة الغرى بمحكمة مصر الكبرى على تركة المرحوم الحاج أحمد سريورهلى بن المرحوم عبد الله بن المرحوم عبد الله وقد حكم برد ٩٧٥ قرش على ما يبين فيه ما هو عما أوصى به المرحوم الحاج أحمد المذكور حال حياته فى ٢٥ ربيع آخر سنة تاريخه المعتوقة زهرة بنت عبد الله خمسون ريالا ثم تمضى الوثيقة لتبين أبناء المذكور أعلاه وقيمة نصيب كل منهم فى التركة (١٢).

وكذلك من الأمور الهامة التى كانت تختص بها محكمة الباب العالى اشهار اسلام الأقباط الذين يعتنقون الاسلام ومن ذلك ما يلى :

اعلام شرعى بمقتضاه حضر بين يدينا مجلس الشريعة الغرى بمحكمه مصر الكبرى رجلا كان نصرانيا يدعى تادرس القبطى ولد ملكية النصرانى القبطى وقد أقر لله سبحانه وتعالى بالوحدانية ولسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالنبـوة والرســـالة بأنه قال صريح لفظه وصريحه نطقـه أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله وتبرأ من كل دين يخالف دين الاسلام وأسلم وحسن اسلامه واختار لنفسه اسم محمد أسميناه بذلك ولكن اســـلامه صـــادر ذلك بحضور كل من محمد القصبجى الحاج حسن والمكرم على شـــولاق بن عمرو أطلاعهما على ذلك اطلاعا شرعيا شوال ١٢٤٦ هـ (١٣) ـ مارس ١٨٣٠ م.

نخلص مما سبق الى أن قاضى القضاة كان يقوم بمهمة قضائية تتعلق بالفصل فى قضـــايا الأفراد وحل مشكلاتهم التى يتقدمون بها اليه فى محكمة الباب العالى التى كان يرأس معظم جلساتها أما اذا حال دون ذلك حائل كانشغاله بحضور جلسات الديوان العالى فقد كان يعهد الى أحد نوابه الأربعة برئاسة الجلسة بدلا منه. وكان ينص على ذلك فى السجلات ظل قاضى القضاة (قاضى العسكر) فى مصر شخصية عثمانيـــة وظل قاضى القضاة العثمانى يرأس القضاء فى مصر العثمانية منذ ارسال أول قاضى عثمانى فى عهد السلطان سليمان القانونى الى ان تم الاحتـــلال الفرنسى عام ١٧٩٨ م حيث عهدوا برئاسة القضاء فى مصر لعالم مصرى هو الشيخ

---

(١٢) سجلات المحكمـة الشرعية محكمـة الباب العالى مسلسل ٨ مادة ٤ ص ١٢ شوال ١٢٤٥ هـ ، مارس سنة ١٨٢٩ م .

(١٣) سجلات المحكمة الشرعية ـ محكمة الباب العالى مسلسل ٨ مادة ٦٣٣ ص ١٣٢٠٠ شوال سنة ١٢٤٦ هـ ـ مارس ١٨٣٠ م .

أحمد العريشى (١٤) وذلك فى ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٠٠ م ٠ الخامس من رمضان ١٢١٥ وبعد جلاء الفرنسيين من مصر عاد قاضى القضاة العثمانى لتولى رئاسة القضاء فيها حتى أواخر العهد العثمانى ٠

محاكم أقسام (أخطاط) القاهرة :

وجدت بالاضافة الى محكمة الباب العالى مجموعة أخرى من المحاكم فى القاهرة والتى كان يتولى شئون القضاء فيها مجموعة من القضاه كنواب لقاضى القضاه الذى يعينهم للعمل بهـا ٠ وفى بداية العهد العثمانى كان السلطان يرسل الى مصر قضاه عثمانيين لمعاونة قاضى القضاه فى تطبيق العدالة فى مصر ٠

أما فى أواخر القرن الثامن عشر فقد شـــغل معظم محاكم القاهرة قضاه مصريون عينهم قاضى القضاه كنواب له (١٥) ٠ وقد وجـــد فى القاهرة فى العصر العثمانى خمس عشرة (١٦) محكمة ظلت تعمل منذ بداية العصر تقريبا حتى نهايته وسنعرض فيما يلى لهذه المحاكم واختصاصاتها ٠

١ ــ محكمة الباب العالى او المحكمة الكبرى

وهى الخاصة بقاضى القضاه وتبدأ ســجلاتها من سنة ٩٢٧ هـ / ١٥٣٠ م واستمرت حتى ١٢٩٢ هـ / ١٨٧٥ م وعدد سجلاتها ٥٥٩ سجلا٠ وكانت محكمة البـــاب العالى أهم محاكم القاهرة لذا أطلق عليها اســم المحكمة الكبرى ٠

وقد ذكرنا آنفا اختصاصات هذه المحكمة ٠

٢ ــ محكمة القسمة العسكرية

وتبدأ سجلاتها من سنة ٩٦١ هـ / ١٥٥٣ م واستمرت الى ســنة ١٢٩٢ هـ / ١٨٧٥ م وعدد سجلاتها ٤١٨ سجلا ٠ وقد اختصت بضبط تركات ومحاسبات وآيلولات واشــهادات وبراءات واقامة الوصى والقيم وكذلك اشهاد بوقف ومبايعة لجهة الوقف واحكام بتخلية مكان وتسليمه وتصديقات على بيع من الميراث ٠

ويلاحظ ان اختصاصات تلك المحكمة كانت مقصورة على العسكريين فى العهد العثمانى ثم ضمت الى اختصاصاتها شئون المدنيين الى جانب العسكرين ومن أمثلة مسائل الميراث التى نظرتها محكمة القسمة العسكرية

---

(١٤) الجبرتى ــ عجائب الآثار ــ جـ ٢ ــ ص ٤٠٦ ٠

(١٥) ليلى عبد اللطيف ــ نفس المرجع ص ٢٦٦ ٠

(١٦) توجد سجلات هذه المحاكم بدفتر خانة (أرشيف) الشهر العقارى بالقاهرة ٠

ميراث الحاج عثمان ابن الحاج رضوان المقدم وقد انحصر ميراثه الشرعى في زوجته وبناته الثلاث ظريفة وزينب (١٧) وأمونة ثم حصرت التركة وتوزع طبقا للشرع على بناته وزوجته ٠

٣ ـ محكمة القسمة العربية

وتبدأ سجلاتها من سنة ٩٧٠ هـ / ١٥٦٢ م وتستمر الى سـنة ١٢٩٨ / ١٨٨٠ م وعدد سجلاتها ١٥٧ سجلا ٠ وقد اختصت أيضا بشئون التركات والمحاسبات واقامة الأوصياء وغير ذلك من الشئون المتعلقة بالميرات وذلك بالنسبة للرعية من المدنيين سواء أكانوا مسلمين أو من أهل الذمة ٠

ويلاحظ ان قاضى القضاه (شيخ مشايخ الاسلام) كان يرأس محكمة القسمة العربية والعسكرية فى ذلك الوقت ويقوم بتعيين نائبين له لتلك المحكمتين وكان يوجد كاتب واحد لكل من محكمتى القسمة العسكريه والعربية (١٨) ٠

ومن أمثلة القضايا التى كانت تطرح على محكمة القسمة العربية ما يلى : بعد ان مات الذمى بطرس ولد الياس اليعقوبى وانحصار الميراث الشرعى فى كل من زوجته وابنته حنينه وولد اختـه شقيقة الياس وقد قسمت التركة بينهم (١٩) ويلاحظ ان عملية حصر الورثة والميراث للذميين كانت تتم أمام مجموعة من رجال الدين المسيحى أو اليهودى وبشهادتهم كما انها كانت مقسمة على حسب ما أوجبته شرائعهم سواء آكانوا أقباط أو يهود (٢٠) ومن قضايا البيع التى نظرتها تلك المحكمة (اشترى الخواجه ونيس الترزى بخدمة ابراهيم باشا من ماله لنفسه من بايعه المعلم سعد عبده المباشر لشئون الزيوت بطريقة توكيله الشرعية عن الذمية حنينه المرأة جميع ملك وكامل البناء بمصر القديمة (٢١) ٠ وقد وجدت محاكم أخرى فى احياء القاهرة المختلفة للتيسير على الرعية لرفع قضاياهم اليها وهى محاكم :

---

(١٧) سجلات المحكمة الشرعية ـ محكمة القسمة العسكرية مسلسل ٣٩٤ مادة ١٤ ص ٨ سنة ١٢٤٦ هـ ٠

(١٨) سجلات المحكمة الشرعية ـ محكمة القسمة العربية مسلسل ١٤٣ مادة ٢٧١٦ ص ١٣٣ سنة ١٢٦٠ هـ /١٨٣٠ م ٠

(١٩) سجلات المحكمة الشرعية ـ محكمة القسمة العربية مسلسل ١٤٣ مادة ٤٢ ص ١٥ سنة ١٢٤٤ هـ ٠

(٢٠) سجلات المحكمة الشرعية ـ محكمة القسمة العربية ـ نفس الوثيقة ٠

(٢١) سجلات المحكمة الشرعية ـ محكمة القسمة العربية مسلسل ٢٤٣ مادة ٢٠٨ ص ٩٩ سنة ١٢٤٦ هـ ٠

٤ ـ **مصر القديمة** : وسجلاتها تبدأ من ٩٣٤هـ / ١٥٢٥ م وتستمر الى ١٢٢٥ هـ / ١٨١٠ م ، ٣١ سجلا ٠

٥ ـ **الصالحية النجمية** وسجلاتها تبـدأ من ١٥٢٥/٩٣٤ م واستمرت ١٢٢٦ هـ / ١٨١١ ، ١٠١ سجلا ٠

٦ ـ **طولون** وتبـدأ من ٩٣٧ هـ حتى ١٨١١/١٢٢٦ وعدد سـجلاتها ٧٩ سـجلا ٠

٧ ـ **البرمشية** وتبدأ من ٩٧٣ هـ / ١٥٦٤ م واستمرت الى ١٨١٢/١٢٢٧ وعدد سجلاتها ٧١٥ سجلا ٠

٨ ـ **باب الشعرية** وتبدأ من ٩٥٥ هـ / ١٥٤٨ الى ٢٢٦ هـ / ١٨١١ م وعدد سجلاتها ٧٥ سجلا ٠

٩ ـ **باب سـعادة الخرق** وتبدأ من ١٥٨٩/٩٩٨ م الى ١٧٩٧/١٢١٢ وعدد سجلاتها ٦٨ سجلا ٠

١٠ـ **الصالح** سجلاتها تبدأ من ١٥٤٦/٩٥٣ م الى ١٨١١/١٢٢٦ م عدد سجلاتها ٦٥ سجلا ٠

١١ـ **بولاق** وتبدأ من ١٥٣٦/٩٤٣ م وحتى ١٢٢٦ هـ / ١٨١١ وسجلاتها ٨٣ سجلا ٠

١٢ـ **جـامع الحاكم** وتبـدأ من ٩٤٥ هـ / ١٥٣٨ م وحتى ١٢٢٥ هـ / ١٨١١ م وسجلاتها ٤٦ سجلا ٠

١٣ـ **قناطر السباع** وتبـدأ من ٩٥٧ هـ / ١٥٥٠ م وحتى ١٢٢٦ هـ / ١٨١١ م سجلاتها ٤٧ سجلا ٠

١٤ـ **قوصون** وتبدأ من ٩٦٣ هـ / ١٥٥٥ م وحتى ١٢٢٥ هـ / ١٨١٠ م وسجلاتها ٦٦ سجلا ٠

المجالس والدواوين ذات الاختصاصات القضائيـة التى انشئت فى عهـد محمد على :

كانت المحاولة الأولى لانشاء (مجالس قضائيـة) هى تلك المحاولة التى حاولها بونابرت عند انشائه (محاكم القضايا) وهى تتكون من ١٢ تاجرا نصفهم من المسلمين والنصف الآخر من الأقباط وقد جعلها برئاسة القاضى ملطى القبطى وجعل من اختصاصها النظـر فى المسائل التجاريه ومسائـل المواريث ولكن محاولتـه باءت بالفشل وعاد للقضـاء الشرعى اختصاصه على أن بونابرت قد اختار لمنصب قاضى القضـاه أحد العلمـاء المصريين بعد ان كان قاضى القضاه من الأتراك دائما ٠ وقد وضع الفرنسيون لائحة تحدد الرسوم التى تدفع عند التقاضى على أساس ثابت كما انشأوا

ديوانا للمحفوظات تحفظ به الأحكام القضائية وكذلك أمروا بتسجيل الممتلكات . وقد جعل الجنرال « مينو » من حق ديوان القاهرة تفسير أحكام الشريعة الاسلامية والاشراف على المحاكم الشرعية فقد كان له أن يقترح عزل القضاه كذلك له الحق فى الغاء الأحكام أو تعديلها فهو بهذا القدر اصبح عبارة عن محكمة عليا للنقض والابرام وقد وضعت قواعد لتنظيم الطعن على الأحكام أمام الديوان منها ان ترفق صحيفة الطعن بفتوى صادرة من مفتى المذاهب الأربعة فاذا وافق ثلث أعضاء الديوان على الحكم نفذ والا اعيد الى القاضى (٢٢) وبمقتضى قانون مينو الصادر فى ١٢ أكتوبر سنة ١٨٠٠ يتولى قاضى القضاه تعيين من ينوبون عنه بمحاكم القاهرة . أما القضاه الآخرون فيعينون نوابا عنهم وقد وكل أمر تنفيذ الأحكام فى عهد بونابرت الى السلطة العسكرية كما وكل اليها بالاشتراك مع (السلطة العمومية) أمر التحقيقات الجنائية وما تستتبعه من أوامر بالقبض وتقديم المتهمين للمحاكمة . ثم أن (مينو) قد نظم أخيرا قضاء الطوائف غير الاسلاميةفأنشأ محكمة لكل طائفة من طوائف القبط والشوام والأروام واليهود وغير ذلك من الطوائف غير الاسلامية وهذه المحاكم الملية كان يتولى رئاستها كبير من كل طائفة ويحضرها عضوان ويشمل اختصاص هذه المحاكم جميع المسائل المدنية التى تثور ما بين أفراد الطائفة الواحدة ولكن اذا لم يوافق احد الطرفين الاختصام الى مجلس طائفته عاد الاختصاص الى المحكمة الشرعية ، كما ان المحاكم الشرعية تكون مختصة متى كان الخصوم غير متحدى الدين(٢٣) وقد زال كل أثر لهذه التنظيمات بخروج الفرنسيين من البلاد .

وقد أقام محمد على الى جانب المحاكم الشرعية مجالس ذات سلطة قضائية استلبت فى الواقع بعض اختصاصات القضاء الشرعى فكانت هى النواة الأولى للنظام القضائى الحديث .

أولا : ديوان الوالى :

فى سنة ١٨٠٥ أنشأ محمد على ديوان اطلق عليه (ديوان الوالى) لم تكن اختصاصاته مقصورة على شئون الادارة فقط فقد كان لهذا الديوان ان ينظر فى مسائل قضائية ويضم بين أعضائه عالما من كل مذهب من المذاهب الأربعة ولكنه كان لا يقبل افتاء الا من قبل علماء الاحناف (٢٤). ومن المسائل القضائية التى كان ينظرها ديوان الوالى ثبوت المواريث

---

(٢٢) شفيق شحاته ــ نفس المرجع ص ٤٤ .

(٢٣) شفيق شحاته ــ نفس المرجع ص ٤٥ .

(٢٤) سجلات المحكمة الشرعية ــ محكمة الديوان العالى مسلسل ٧ ص ١٢٦ مادة ٣٣٤ سنة ١٢٥٥ هـ .

والوصايا فعلى سبيل المثال حالة سلمان أغا مراد حيث تم تعيين اسلام اغا وصيا عليه (٢٥) والنظر فى مســـائل البيع والتمليك والهبات وفسخ العقود والتصالح ومسائل القتل ودفع الديات واشهار الافلاس والاعسار وكذلك النظر فى منع ايقاف من المحتالين وأيضا النظر فى مخالفات المبانى وازالة الضرر الناتج عن ذلك والفصل فى مسائل الديوان وانهاء التوكيلات تلك كانت المسائل القضائية التى ينظرها ديوان الوالى ويفصل فيها ودفاتر محكمة الديوان العالى بالمحكمة الشرعية عامرة بقضايا كثيرة تبين ذلك والى جانب تلك المسائل كان يسجل فى الديوان العالى براءة بتعيـين قـاضى القضاه لمصر (٢٦) ٠

كما كانت محكمـة الديوان العالى تنظر فى مســـائل رفت موظفى الحكومة الغير أكفاء كما حدث للشيخ محمد شرف الدين وعدم استخدامه فى الحكومة « مراسلة شريفة صدرت من حضرة سيدنـا شيخ مشايـخ الاســـلام قاموس البلاغة بأننـا قد رفتنا الشيخ محمد شرف الدين من خدمتنا ومن كتابة السندات الشرعية ومن التركات بأنه لا يتعاطى شيئا من ذلك لعدم صلاحيته وأنه لا يقعد فى مجلس من مجالس الشرع الشريف ولا يكتب مبايعات ولا ايلولات ولا يضبط تركات وان فعـل ذلك قابلناه بما يليق لفعله ودمنم فى رعاية الله » (٢٧) وكانت تنظر أيضا الى جانب ذلك فى مســـائل اخراج الأفراد ذو الأخلاق السيئة سواء كانوا رجالا أم نساءا من الحارة التى يقطنون بها وذلك بناء على رغبة أهل الحارة (٢٨) كما أن محمد على كان يسجل فى الديوان العالى ما يقدمه من انعامات على الرعايا كما حدث فى حالة انعام بمبلـغ على محمد سعيد (٢٩) و فى ٢٥ ربيع الثـانى سنة ١٢٤٠ هـ ـ ١٨٢٤ م صدر أمر الى كتخدا بك يبين فيه كيفية نظر المسائل التى تعرض على ذلك المجلس وطرق المداولة فيها وسماه (المجلس العالى الملكى) ٠ وفى ٢٣ صفر سنة ١٢٤١ هـ سن محمد على قانونا أشبه بلائحة داخلية وطرق مرافعات أسموه (ترتيب مجلس أحكام

---

(٢٥) سجلات المحكمة الشرعية محكمة الديوان العالى مسلسل ٣ مادة ١٦ ص ٩ ٢٥ جمادى الأول سنة ١٢٢٢ هـ ٠

(٢٦) سجلات المحكمة الشرعية ـ محكمة الديوان العالى مسلسل ٢ مادة ٥٩٣ ص ٣٦٣ ٧ ذو الحجة سنة ١٢١٧ هـ ٠

(٢٧) سجلات المحكمة ـ محكمة الديوان العالى مسلسل ٧ مادة ٢٤٦ ص ٧٨ ١١ جماد الآخر سنة ١٢٥٣ هـ ٠

(٢٨) سجلات المحكمة الشرعية محكمة الديوان العالى مسلسل ٥ مادة ٢٣٥ ص ٧١ ١٥ رمضان سنة ١٣٣١ هـ ٠

(٢٩) سجلات المحكمة الشرعية محكمة الديوان العالى مسلسل ٤ مادة ٢٥ ص ١٣ ٢٨ شوال سنة ١٢٣٠ هـ ٠

ملكية) (٣٠) • وفى سنة ١٢٥٠ هـ ١٨٣٤ م وضع محمد على قانونا عاما للبلاد أسموه (قانون السياسة نامة) به حصر السلطة فى سبع دواوين هى :

١ ـ الديوان العالى وكان اختصاصه خليط من الاختصاصات الادارية والمالية والقضائية والشرعية والجهادية والبحرية وغيرها لأنه تناول اجراءات الضبط والربط وفى الوقت نفسه تناول الفصل فى الخصومات وفى مشاكل بيت المال والأوقاف وقضايا مجلس التجار وادارة مصلحة المبانى والمخبز الملكى والقوافل وجبال المرمر وطره وأشغال المحمودية والبوستات والنظر فى الدعاوى وفى العرضحالات وفى أمور الأحكام بمدينة الاسكندرية •

٢ ـ ديوان الايرادات •

٣ ـ ديوان الجهادية •

٤ ـ ديوان البحر •

٥ ـ ديوان المدارس •

٦ ـ ديوان الأمور الأفرنجية والتجارة المصرية •

٧ ـ ديوان الفابريقات •

ثانيا : جمعية الحقانية :

تكونت جمعية الحقانية فى ٣ محرم سنة ١٢٥٨ هـ الموافق ١٤ فبراير ١٨٤٢ م وفى ذو القعدة ١٢٦٤ هـ ٢٤ أكتوبر ١٨٤٨ م أصدر الجناب العالى أمرا جاء فيه : (لما كان لجناب الوالى ملتزم براحة العباد جل قصده فصل القضايا وحل ما يقع من المشاكل والدعاوى واستحصال جميع راحة الخلق يعمل لتنظيم مجلس مصر المحروسة يعمل جمعية الحقانية وجعل رئيسه حضرة اسماعيل بك تيمور زاده وأعضاء خمسة آخرون)(٣١) ومن اختصاصات هذا المجلس الفصل فى جميع المسائل المدنية والجنائية والعسكرية التى لا يتقيد فيها بأحكام الشريعة الاسلامية وكذلك تعتبر هيئة استئنافية عليا يحيل عليها الوالى القضايا التى صدرت فيها أحكام لاعادة النظر فيها (٣٢) •

---

(٣٠) عزيز خانكى نفس المرجع ص ٢ •

(٣١) أمين سامى تقويم النيل جـ ٢ ص ٦١٩ نقلا عن الوقائع العدد ١٣٧ فى ٢٦ ذى القعدة سنة ١٢٦٤ هـ •

(٣٢) شفيق شحاته : نفس المرجع ص ٤٩ •

ثالثا : المجالس التجارية :

فى سنة ١٢٦١ هـ ــ ١٨٤٥ م شكل محمد على باشا مجلسا لتجار اسكندرية وكان يتألف من ١٢ عضوا ومن رئيس ومعاون وباشكاتب وكاتب يعرف باللغة العربية واللغة الايطالية وثمانية تجار (٥ مصريين ، ٣ اداريين) ، وكان ينظر القضايا التجارية بين الأهالى والأوروبيين(٣٣) وبين تجار الأهالى بعضهم ببعض وبذلك قد جعلت القضايا التجارية كلها من اختصاصاته ومن ثم فان الدعوى التى تقوم بين مصرى وأجنبى أصبحت من اختصاصات المجلس التجارى لا من اختصاص القنصل التابع له الأجنبى ٠

ويلاحظ أن رفع الدعوى الى هذا المجلس تسبقه عريضة تقدم الى مدير ديوان الوالى كما ان التظلم من أحكام المجلس يرفع الى الوالى (٣٤) وفى شوال ١٢٦٢ هـ ــ ١٥ سبتمبر ١٨٤٦ م صدر منشور لترتيب مجلس تجارى فى مصر على مثال مجلس ثغر اسكندرية وتقرر سريان اللائحة السابقة على المجلسين معا ٠

ونخلص مما تقدم ان المجالس القضائية فى عهد محمد على لم تستقل تماما عن السلطة التنفيذية فهى فى الجملة عبارة عن هيئات ادارية ذات اختصاص قضائى وأعضاؤها فى العادة من الموظفين الاداريين ٠ وقد تمثلت المحاولة الأولى للفصل ما بين الادارة والقضاء فى جمعية الحقانية وفى مجلس التجار المختلطين ٠

ولكن هذه الهيئات قد ظلت اجراءاتها خاضعة لتدخل الوالى فلم يتم الفصل بينها وبين الادارة على صورة كاملة ٠

هذا الى أن توزيع الاختصاص ما بين هذه المجالس المختلفة لم يكن واضحا وقد يقال بوجه عام أنه قد كانت هناك هيئات للفصل فى المسائل التجارية أما المسائل المدنية والجنائية فقد ظلت فى أيدى الموظفين الاداريين وان وجدت هيئات عليا للنظر فى القضايا الخطيرة أو لاعادة النظر فيما يكون قد صدر من أحكام تستوجب تلك الاعادة ويلاحظ اخيرا أن الطوائف غير الاسلامية قد ظلت خاضعة لمجالسها الملية الخاصة كما كانت الحال فى العهد العثمانى وقد صدر فى سنة ١٨٣٩ الفرمان المعروف بأسم (خط كلخانة) مؤكدا لحقوق الطوائف غير الاسلامية فى سائر انحاء الدولة العثمانية ٠

---

(٣٣) أمين سامى تقويم النيل جـ ٢ ص ٢٤٥ فى ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٢٦١ هـ ٠

(٣٤) شفيق شحاته : نفس المرجع ص ٥٠ ٠

التشريع

لقد سبقت مصر تركيا فى مجال النشاط الجديد المتعلق بسن القوانين فى بداية القرن التاسع عشر وخاصة فيما يتعلق بالقانون الجنائى ورغم أن مصر كانت ولا تزال جزءا من الأمبراطورية العثمانية فأننا نجد أن محمد على قد صاغ قوانين جديدة نابعة من الأوضاع المصرية وسارية المفعول فى مصر فقط ، بينما قوانين التنظيمات العثمانية لم تكن سارية المفعول فى مصر قبل أيام سعيد (٣٥) ·

وفى ربيع الآخر ١٢٥٣ هـ الموافق يوليو / أغسطس ١٨٣٧ م صدر قانون السياسة الملكية الذى يقنن قوانين العقوبات التى تتناول المخالفات والجرائم التى يرتكبها الموظفون اذ حددت بنوده العشرين المتعلقة بالعقوبات التى توقع على الموظفين الذين يختلسون أموال الدولة أو يحدثون أضرارا بممتلكات الدولة أو يأخذون الرشوة أو يحرمون آخرين من ممتلكاتهم أو ينتهكون القوانين أو لا يطيعون الأوامر أو يهملون أعمالهم وكانت معظم المخالفات التى يرتكبها الموظفون يعاقبون عليها بالطرد من الوظيفة أو الحرمان من جزء من المرتب أو السجن فى مقر العمل أو القلعة أما الجرائم الكبرى التى يرتكبها الموظفون فكانوا يعاقبون عليها بالنفى أو الأشغال الشاقة هكذا كانت حال القانون المصرى للعقوبات عندما أرسل خط شريف كلخانة الى محمد على فى ٦ ديسمبر ١٨٣٩ — يناير ١٨٤٠ م بعث محمد على برد يفيد أنه قد أمر بتلاوة الفرمان أمام المجلس الكبير وأرسله للمديريات التابعة لحكمه كما افاد بأنه كان يطبق بالفعل منذ سنوات مضت النصوص الرئيسية الواردة فى الخط من خلال عدد من القوانين التى تنظم عقوبة الاعدام وتحرم قانون الثأر (العين بالعين والسن بالسن) كما أفاد بأنه سيكمل هذه الوسائل عن طريق ادخال مزيد من الاصلاحات وفى ٣ مايو ١٨٤٠ صدر أول قانون عقوبات عثمانى وبعد ذلك بعام وفى ٢٣ مايو ١٨٤١ أرسل لمحمد على الفرمان الشهير الذى أكد منح حكومة مصر لأسرته

---

(٣٥) ج · بير : نفس المرجع ص ٢٤١ ·

بالوراثة (يعرف هذا الفرمان فى مصر بأسم فرمان الوراثـة) وقد نص هذا الفرمان صراحة على ضرورة تطبيق جميع قوانين الأمبراطورية العثمانية فى مصر ٠ الا أن هذا الأمر لم ينفذ لمدة خمس عشرة سنة أخرى ٠

أما قانون العقوبات العثمانى لعام ١٨٤٠ م فلم يطبق مطلقا فى مصر هذا بالاضافة الى أنه بعد ذلك بعدة سنوات أرسل عباس باشا (خليفة محمد على) رسالة الى الصدر الأعظم أكد فيها أن التنظيمات لم تنفذ فى مصر بل ولم تنشر مطلقا فى ذلك الاقليم وبعد عام ١٨٤٠ م استمر محمد على فى تنفيذ عدد كبير من قوانين العقوبات عاما بعد عام الا أنه لم تكن هناك أية علاقة بين هذه القوانين وبين قانون العقوبات العثمانى بل أن النصوص المشتركة بينهما كانت مختلفة تماما من حيث الصياغة (٣٦) ٠

فى ٩ شعبان ١٢٦٠ الموافق ٢٤ أغسطس ١٨٤٤ أصدرت الجمعية الحقانية ملحقا لقانون العقوبات يتكون من ٧٣ مادة تنظم تنفيذ العقوبات وتتناول تزييف العملات وتزوير الأختام وفضها بدون تخويل بذلك والتشرد والاغتيال والقتل بدون سبق اصرار والسرقة والسلب والنهب والنصب والاحتيال وشهادة الزور بالأضافة الى عدد كبير من الجرائم والمخالفـات الأخرى (٧٣) ويعتبر قانون محمد على فى العقوبات علاوة على اشتماله على اكبر نطاق فى مجال العقوبات ذا أهمية كبرى وذلك لسببين أولا : لأنه حاول لأول مرة أن يحمى حقوق المواطنين تجاه الحكومة وان يمنع العقاب التعسفى وذلك بتحديد حق السجين فى ممتلكاته وتحديد حجـم ونوع العقوبات التى توقع على الأحداث وكبار السن ٠ وثانيا : لأنه قد خالف القوانين الأخرى السابقة عليه فى الخروج على أحكام الشريعة الاسلامية ، وذلك بأننا نجد نص على جريمة انتهاك العرض فى قانون عام ١٨٤٤ م لم يشر الى القاضى أو الشريعة الاسلامية فى هذا الشأن وحدد العقوبة على هذه الجريمة (بالسجن فى القلعة أو الأشغال الشاقة فى ميناء الاسكندرية) ٠

وقد نشر محمد على جميع القوانين الجنائية التى صدرت خلال حكمه فى كتاب عرف بأسم قانون المنتخب وقد عرف عند الأوربيين باسم قانون محمد على وذلك فى أول محرم ١٢٦١ الموافق ١٠ يناير ١٨٤٥ (٣٨) ولم يكتف نظام محمد على بالتغيرات التى أدخلها على التشريع القضائى والمدنى والجنـائى فى مصر بل امتد ذلك الى ايجاد ما يعرف بقانون المعـاشات أو التأمينات الاجتماعية لصالح موظفى الدولة ومستخدميها ٠

---

(٣٦) ج ٠ بير : ـ نفس المرجع ص ٢٤٢ ٠
(٣٧) ج ٠ بير : ـ نفس المرجع ـ ص ٢٤٣ ٠
(٣٨) ج ٠ بير : ـ نفس المرجع ـ ص ٢٤٤ ٠

فقد صدرت لائحة المعاشات فى شعبان ١٢٦٠هـ ـ أغسطس ١٨٤٤م وهى تفيد بالآتى :

١ ـ الذى يصاب بعينيه الاثنتين يرتب له ثلثى ماهيته ومرتبه ٠

٢ ـ الذى يصاب بعين واحدة يرتب له ثلث ماهيته ومرتبه ٠

٣ ـ بالبند الثانى منها أن الذى عطل منه عضو واحد وأصيب بعلل خفيف وليس له المقدرة على الخدمة يتعامل بما هو مصرح بالبند الأول ٠

٤ ـ وجاء بالبند الأول من كان ماهيته ١٠٠٠ قرش مع مرتباته فيرتب له ربع ماهبته ومرتبه ٠

وان كان أقل من ١٠٠٠ قرش الى ٢٥٠ قرشا فيربط له ثلث والذى ماهيته أقل من ٢٥٠ قرشا فيرتب له النصف ٠

وفى عام ١٢٦٥ هـ ـ ١٨٤٩ م صدر قانون عام بشأن نظام الاستيداع وينص على أن المتقاعدين تصرف لهم نصف ماهيتهم (٤٠) ٠

وبالاضافة الى ذلك فان محمد على كان يقوم بمنح العطايا والهبات فى شكل أراض زراعيـة وقصور لكبار موظفى الدولة وضباط الجيش الذين انهوا خدمتهم ٠ ولعل كثرة صدور القوانين والتشريعات المستخدمة فى عهد محمـد على ترجع الى محاولة مسايرة التغيرات الاجتماعية فى مصر وجعل القوانين تتناسب مع الأوضاع الجديـدة ٠ أما القوانين الشرعيـة والمدنية مثل الزواج والطلاق والوصية والبيع والشراء والايجـار والوقف والوراثة فانها كانت تعتمـد فى تطبيقها على الشريعة الاسـلامية ويلاحظ ذلك من مراجعة دفاتر المحاكم الشرعية فى عهد محمد على ٠

---

(٣٩) دار الوثائق بالقلعة محفظة ٤٩ دفتر جزء سادس صفحة ٢٩٤٩ ، ٢٩٦٦ سنة ١٢٦٠ هـ ٠

(٤٠) دار الوثائق بالقلعة محفظة ٤٩ دفتر جزء سادس صفحة ٢٩٣٥ سنة ١٢٦٥ هـ ٠

الأمـن

عندما زار الرحالة الانجليزى مادن مصر قال :

(انه لا يعرف بلد فى أوروبا يكون المسافر فيها أكثر أمانا من مصر فقطـاع الطرق غير معروفين فى مصر ولا شك أن محمـد على هو صـاحب ذلك التأثير وهو يتبع وسائل عديدة لقمع المجرمـين ولكن هذه الوسائل يمكن ان تنزل على الأبرياء والمجرمين على حد سواء دون تمييز اذ أنه يصب جام غضبه على المنطقة التى يحدث فيها خروج على القانون ونحن كأوربيين نعتبر ذلك غير عادل والجريمة فى مصر انخفضت بشكل ملحوظ) (٤١) ٠
وقد علق قنصـل انجلترا فى مصر سنة ١٨١٣ على حالة الأمن قائـلا ان شعور سكان القاهرة بالطمأنينة على النفس والمـال لأول مرة منذ اجيال عديدة فان ذلك الأمن لم يتواجد الا بعد استخدام مختلف دروب الشدة واعدام كثير من الأشرار وتعليق جثثهم على جدران بوابة زويلة التى كان ينفذ فى ساحتها عمليات الشنق العلنى فى أغلب الأحيان (٤٢) ٠

ويصف الجبرتى طرفـا من ذلك فى حـوادث أول محرم ١٢٣٥ هـ ٢٠ أكتوبر ١٨١٩ م حيث يقول « فى أول محرم وما قبله حصل بالأرياف بل وبداخل المـدن انزعاجات وكرشات وأغلق النـاس أبواب الدور والدروب وحصل منع الناس من السير والمشى بالأزقة من بعد غروب الشمس وسار كتخدا بك وأغا التبديل والوالى يطوفون ليلا بالمدينة وكل من صادفوه قبضوا عليه وحبسوه ولو كان ممن اشتبه فيه واستمر هذا الحال الى آخر الشهر ولم يكن من مناص أن يولى الباشا هؤلاء السراق بالغ اهتمامه فبذل جهودا جبارة لقطع دابرهم ووضع حد لجرائمهم (٤٣) ويرجع الفضل فى هدوء واستقرار الأوضـاع الأمنية فى البلاد الى جهود محمد على الجادة المستمرة دون هوادة لتحقيق تلك الغاية فقد رأى محمد على بنفسه الى أى

(٤١) Madden — op. cit., p. 26.

(٤٢) Doduell. op. cit., 75.

(٤٣) الجبرتى ـ عجائب الآثار جـ ٣ ـ ص ٥٩٦ ٠

مدى بلغ تدهور الأمن في البلاد من فوضى وعدم استقرار وشغب الجنود خاصة بعد خروج الحملة الفرنسية عن مصر وأدرك الباشا أن لا سبيل له لتحقيق طموحاته الداخلية والخارجية الا بأن تستقر الجبهة الداخلية والحالة الأمنية في البلاد فسعى الى ذلك سعيا حثيثا وضرب بيد من حديد على كل خارج أو منشق كما وضع نظاما أمنيا لضبط حالة البلاد ٠

نظام الشرطة :

كانت الشرطة مسئولة عن حفظ الأمن والنظام بمدينة القاهرة وكان رجالها على درجة عالية من الكفاءة ويستمدون سلطتهم من صلابة حكومة محمد على باشا الذى الزمهم بأحترام القانون وتجنب الفوضى التى عرفت عن الجنود من قبل وأخذ عليهم عهودا وذلك عند تعيينهم فى مناصبهم ٠ كان ديوان القلعة « ديوان الخديوى » يشرف على الأمن فى القاهرة اذ كان بها عدة « قرقولات » أهمها وأكبرها فى شارع الموسكى وفى كل منها ضابط مهمته الاستماع الى شكوى السرقات وحوادث الاعتداء التى لم يكن نظرها من اختصاص قاضى المحكمة حتى اذا أتم الضابط تحقيقاته رفعها الى ديوان الخديوى للفصل فيها وكان من عمل الضابط كذلك الفحص على الموازين والمكاييل وتفتيش المحال العامة والقبض على المذنبين وتوقيع العقوبة عليهم ٠

وقد ذكر كمبل فى عام ١٨٤٠ أن الشرطة تتألف من بضع مئات من الأتراك وأبناء العرب يدعون (جاويش) وهم مسلحون بسياط (كرابيج) مصنوعة من جلد أفراس البحر يضربون بها باطن القدم والأرداف أحيانا عندما تتطلب المخالفات الصغيرة لعقوبة سريعة (٤٤) وكان رجال الشرطة يتميزون بشارات متنوعة حسب رتبهم أما صاحب الاشراف العام على أعمال الشرطة فهو كتخدا أو وكيل الباشا ولم تقف جهود الباشا فى ضبط الأمن عند هذا الحد فقد عمد الى الاكثار من العسس الذين كانوا يوزعون فى شوارع المدينة ودروبها فى الليل ، كما عهد الى استخدام «البصاصين» الذين كانوا يندسون بين الناس لرصد أخبار اللصوص ومراقبة نشاط من يشتبه فى سلوكهم (٤٥) ٠

ومن الاجراءات التى اتخذها محمد على فى تلك الفترة للمحافظة على الأمن هو اصدار قرار بمنع أى شخص من حمل السلاح الا اذا كان من اتباع الشرطة أو الحكام (٤٦) ومن الاجراءات التى اتبعت لحماية الأمن

(٤٤) محمد فؤاد شكرى ـ بناء دولة مصر ص ٧٩٥ نقلا عن تقرير كمبل ٠

(٤٥) محمد فؤاد شكرى ـ نفس المرجع ـ ص ٩٧ ٠

(٤٦) الجبرتى ـ عجائب الآثار ، جـ ٣ ص ٤٨٩ ، ١٢٣٠ هـ ٠

هى الزام كل شخص يمر ليلا فى شوارع القاهرة بعد الغروب بنحو ساعتين بحمل مصباح مضىء فى يده للتعرف عليه وكان ضابط الشرطة ومعاونوه يجوبون شوارع القاهرة ليلا للتأكد من ذلك ، واذا قابلوا شخصا لا يحمل مصباحا فانه يعاقب بالضرب وتكثر فى أثناء الليل ترديد عبارة « وحد الله » من قبل رجال الشرطة ، فيرد عليه المار بقوله « لا اله الا الله » ويلزم المسيحيون أيضا بالنطق بهذه العبارة (٤٧) كما أنه روعى عند انشاء أحياء أو حارات القاهرة عمل أبواب للحارات تغلق ليلا أو أثناء وقوع أحداث الفوضى أو الشغب ، وكان لكل حارة شيخ لها هو شيخ الحارة الذى يقوم بالمحافظة على النظام وحل المشاكل البسيطة التى تقع بين أفراد الحارة ٠

فى أكتوبر سنة ١٨٢٩ ادخلت الحكومة نظام بطاقات الأمن لأول مرة فى مصر وألزمت الحكومة جميع الرجال بحمل هذه البطاقات كجواز للمرور فى الدخول والخروج الى القاهرة وسائر المدن والقرى وكانت كل بطاقة يدرج فيها اسم صاحبها وأوصافه وعمره ومحل اقامته وجميع الفلاحين كان يجب عليهم حمل هذه البطاقات ، وكان يستفاد من ذلك فى معرفة محال اقامتهم الأصلية وسهولة ترحيلهم اليها ، وذلك فى حالة انتقالهم الى أماكن أخرى ، وكان المسيحيون من جميع المذاهب يخضعون أيضا لهذا النظام ، وطلب الى « بطاركه » الأرمن والأقباط واليونانين توزيع هذه البطاقات بين أتباع مذاهبهم الدينية ، وكان المعتقد بصفة عامة فى مصر أن الحكومة كانت تقصد من هذا الاجراء عمل حصر محدد لعدد الأفراد الذين يجب أن يدفعوا ضريبة « الفردة » أو الجزية وهذا الاجراء الذى كان يحتم ابراز بطاقة الأمن عند اجتياز أبواب القاهرة كان محل الشكوى والاحتجاج من جانب قناصل ووكلاء مختلف الدول الأجنبية ، ونتيجة لجهودهم فقد وافقت الحكومة على أعفاء الأوربين الذين يرتدون الملابس الأفرنجية من حمل بطاقة الأمن المشار اليها ، ولكنهم قبلوا ارتداء اشارة العبور التى دونت باللغة العربية ، وفرضت أيضا على الرعايا واللاجئين تحت الحماية الأجنبية ويرتدون الملابس الشرقية ٠ (٤٨) ٠

---

(٤٧) كلوت بك : لمحة عامة ، ج ١ ، ص ١٥٢ ٠

(٤٨) حلمى محروس اسماعيل دراسات فى التاريخ الاجتماعى فى مصر خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر ص ٨٢١ رسالة دكتوراه ـ جامعة القاهرة ـ ١٩٧٧ ٠



الباب الخامس

العادات والتقاليد



العادات والتقاليد

قبل ان نشرع فى بيان ما كان عليه أهالى القاهرة من عادات وتقاليد خلال تلك الفترة سنحاول أولا توضيح الاتجاهات أو المحاور التى كانت تسيطر على اذهان وافعال وعادات الشعب ·· وتلك الاتجاهات يمكن ان نبرزها على الوجه التالى :

أولا : النزعة الدينية ·

من خصائص عقيدة الاسلام سلطانها الذى يغلب على نفس المتمسكين بحبلها وهيمنتها عليهم فى أقوالهم وأفعالهم فهم يعتزون ويفخرون باسلامهم وينظرون باحتقار الى كل من خالف عقيدتهم ومن الشائع ارداف كلمة قبطى أو يهودى بأنه كلب أو كافر (١) · كذلك عند وفاة أحد الأقباط وتقسيم تركته على المستحقين فانه فى بعض الأحيان كان يرد هذا النص « بعد أن هلك الزمى سليمان الخياط ببولاق قبل تاريخه ابن الزمى ·· » (٢) أى أن أهل الذمة كانوا يعدوا من الهالكين بعد وفاتهم فى نظر بعض المسلمين) ·

ولقد فطن نابليون بونابرت الى مدى سيطرة العواطف الدينية على الشعب المصرى وادرك لكى يكسب رضى الشعب المصرى عليه أن يوجه ويستغل النعرة الدينية المتحكمة فى الأهالى (٣) ·

ومن يطلع على المنشورات الصادرة ابان الحملة الفرنسية سيجدها تحتوى على كثير من العبارات المقتبسة من القرآن الكريم وذكر اسم النبى والصلاة عليه والابتداء بالبسملة والانتهاء بالحمد ، (٤) وقد حرص

---

(١) كلوت بك ــ لمحة عامة الى مصر جـ ١ ص ٥٥٣ ·

(٢) سجلات المحكمة الشرعية ــ محكمة القسمة العربية مسلسل ١٤٣ مادة ٩٩ ص ٤٣ ·

(٣) ج · كرستوفر هيرولد ترجمة فؤاد أندراوس بونابرت فى مصر دار الكتاب العربى ١٩٦٥ ص ٢٥١ ·

(٤) الجبرتى عجائب الآثار جـ ٢ ص ١٨٢ ·

نابليون على اظهار اعجابه بالدين الاسلامى واحترام تقاليده وحضور الحفلات الدينية مثل المولد النبوى (٥) وقد أبدى نابليون رغبته هو وجيشه فى اعتناق الاسلام وأنه يفكر فى ذلك جديا (٦) ٠

وخلال حكم محمد على استمر ذلك الشعور مسيطرا على النواحى الادارية ويتجلى ذلك فى المحررات الرسمية وخصوصا ما يتعلق منها بالادارة العليا اذ كثيرا ما ترد فى ثناياها فقرات دينية من عبارات التوحيد والتسبيح والصلاة على النبى والثناء عليه ومقتبسات من القرآن الكريم وكان التاريخ الهجرى هو التاريخ الرسمى للحكومة كما كان التوقيت يجرى بالساعات العربية على ما نص عليه القرآن الكريم من أن الليل سابق النهار اذ تبدأ الساعة الواحدة ليلا فى ذلك التوقيت عند غروب الشمس ٠٠٠ كما نلاحظ أن الخاتم الكبير لمحمد على الذى كان معتبرا خاتما رسميا للدولة كان على هيئة دائرة يتوسطها أسم محمد على وتحتها كلمة عبده ويعنى بها (عبد الله) ويحيط بالاسم اطار دائرى مكتوب فيه أحد الأبيات من قصيدة بردة البوصيرى (٧) ٠

وفى عام (١٢٥٠ هـ ــ ١٨٣٤ م أصدر محمد على أمرا يمنع بمقتضاه المخدمين من بيع النساء المسلمات الحسان المستخدمات بصفة خادمات عند عزاب طوائف الأرمن والأروام واليهود ومن خدمتهن لهم وبتزويجهن بمن يرغبن فى زواجه من الرجال المسلمين نظرا لأنه قد ثبت ان كل شخص عازب من الطوائف المذكورة يدفع مائة قرش للمخدم فيستخدم منه امرأة مسلمة جميلة على إنها ستكون خادمة له ثم يرتكب الفحش والزنا معها مع وضع مراقبة شديدة على ذلك (٨) ٠

وسجلات المحكمة الشرعية ــ محكمة الديوان العالى تحتوى على عدد وافر من الرخص بشأن انشاء أو توسيع أو تعمير المساجد وكذلك تعيين الخطباء والمشرفين على المساجد والزوايا فى القاهرة ٠

هذا على المستوى الرسمى أما على المستوى الشعبى فان العواطف الدينية لدى الأهالى كانت تمتزج بما يمكن ان نطلق عليه المعتقدات الشعبية وقد يكون ذلك راجعا لحد ما الى ضعف التعليم والثقافة حيث

---

(٥) الجبرتى عجائب الآثار جـ ٢ ص ٢٠١ ٠

(٦) ح ٠ كرستوفر هيرولد ــ نفس المرجع ص ١٥٥ ٠

(٧) عبد السميع الهوارى لغة الادارة العامة المجلس الأعلى للفنون والآداب ١٩٦٢ ص ١٦٢ ٠

(٨) دار الوثائق بالقلعة ــ محفظة ٤٩ دفتر ٧٩٦ وثيقة رقم ١٥٣ بتاريخ ٣ ربيع الأول ١٢٥٠ هـ ٠

أنه لم يكن هنــاك من دور لنشر العلم خلال الحكم العثمانى الا الكتاتيب والأزهر ولقد تميزت الدراســـة فى الأزهر ابان العهد العثمانى المملوكى بفقدان روح البحث العلمى أى بعدم وجود اسلوب ومنهج يحدد بين ما يمكن ان يقبل عقلا وما لا يقبل عقلا كما تميزت بالتشبث بالمتون والتقيد تقيدا متزمتا واعتمدت على الاستذكار والحفظ عن ظهر قلب أكثر من اعتمادها على اثارة التفكير ودارت حول المتون والتعليق على الشروح لدرجــة أن هذا العهد سمى (بعهد الشروح والحواشى) واهتمت على وجه العموم بالألفاظ دون المعانى (٩) ٠

وقد أدى هذا الى شيوع الاعتقادات الباطلة والخرافات والاوهام بين الأهالى فعلى سبيل المثــال عند حلول أوبئة أو كوارث مثــل وباء الطاعون والكوليرا ، وكذلك عند دخول الفرنسين الى القاهرة أو عند خروج الجيوش المصرية الى المعارك فان العلماء والمشايخ والأهالى كانوا يتجمعون فى الجامع الأزهر لقراءة صحيح البخارى بغرض دره الخطر أو الانتصار فى المعارك(١٠)

وكذلك تمثل المفهوم الشعبى للمعتقدات الدينية فى طرائق الوقاية والعلاج من الأمراض فقد كانت هناك شجرة للنذور قرب القاهرة بشبك فيها المريض جزء من ثوبه نذرا للشفاء من مرضه وأشخاص آخرون كانوا يقومون بتعليق قطع من القماش من أجل تحقيق أمنيــة ٠٠ وكذلك تعلق قطعة من القماش لنفس الغرض فى أضرحة المشايخ المشهورين ويطلق أسم الأثر على هذه القطعة من القماش ولنفس الغرض أيضا يقوم بعض الناس باخذ قطعة من قمــاش ضريح الشيخ للتبرك بها ٠٠ كما عرفت زفــة أبو الريش بغرض اطالة عمر الأطفال حيث يلبس الطفــل تاجــا من الريش ويركب فى وضع معكوس على حمار أسود وتزفه الأطفال فى الشوارع وهم يرددون (يابو الريش ان شاء الله تعيش) (١١) أبــو الريش هو أحــد الأولياء ولنفس الغرض عرف الأهالى الأحجبة والتمائم والرقى وأعمال السحر كذلك اعتقدوا فى التنجيم والتنبوء بالمستقبل (١٢) ٠ وانتشر فى القاهرة جماعة من الناس اعتقــد فيهم الأهــالى الولايــة وكانوا يتركوهم يفعلون ما ارادوا حتى انهم فى بعض الأحيان يمشون فى الشوارع بدون ملابس ويدخلون أى بيت دون استئذان وكان يطلق عليهم اسم المجاذيب (١٣) ٠

---

(٩) السيد رجب حراز ــ نفس المرجع ــ ص ٢٩٥ ٠

(١٠) الجبرتى ــ عجائب الآثار جـ ٣ ص ٣٩٥ و ٥٦٩ ٠

(١١) سعد الخادم ــ تاريخ الأزياء الشعبية فى مصر دار المعارف ١٩٦١ ص ٤٢ ٠

(١٢) كلوت بك ــ نفس المرجع ــ ح ٢ ص ٩٧ وكذلك انظر ادوارد ٠ وليم لين المصريون المحدثون ــ ص ٢٣٢ ٠

(١٣) كلوت بك ــ نفس المرجع ــ جـ ٢ ص ٢٠٨١ كذلك انظر أ٠ وليم لين ــ نفس المرجع ٠

وكذلك انتشر فى القاهرة فى ذلك الوقت المشعوذون او من أدعى أنه عاش من عهد سليم الأول فى استطاعته قدرة خارقة يمكن بها ان يتكلم مع الجن ويطلب منهم ويأمروهم وهناك قصة مشهورة لمحمد على مع امرأة كانت تدعى مثل تلك القدرات فخشى محمد على من أن يستغلها خصومه لجمع الأهالى ضده فطلبها الى قصره لكى تحضر الجن ثم أمر باغراقها فى النيل بعد كشف خداعها وحيلتها (١٤) ٠

ولذلك فان الشعور الدينى كان له تاثير غالب على عادات الأهالى ويتمثل ذلك فى ان كل الأعياد العامة الدورية فى القاهرة كانت ذات صبغة دينية (عدا احتفال وفاء النيل) فهناك شهر رمضان والعيدان الفطر والأضحى والمولد النبوى وموالد الأولياء الكثيرة والتى بلغت ثمانون مولدا فى العام وبعض الليالى الدينية مثل عاشوراء وليلة النصف من شعبان وغيرها وانعكس ذلك الشعور على التقاليد المتبعة فى الاحتفال ببعض الأعياد الخاصة مثل شد الولد والمآتم ولكن ما يجب ملاحظته أن المعتقدات الشعبية قد اختلطت بشكل قوى مع النزعة الدينية نظرا لانهيار الثقافة والتعليم فانتشرت الاعتقادات الباطلة والشعوذة والسحر والخزافات والتنجيم ٠

ثانيا : روح التعاون ٠

تلعب الظروف البيئية دورا هاما فى تشكيل عادات الأهالى ٠٠ فالمصريون منذ القدم اضطروا للتماسك والتعاون فيما بينهم لمقاومة فيضان النيل (١٥) ٠

ومما قوى تلك الصفة خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر وجود نظام طوائف الحرف والأحياء فى القاهرة ٠٠٠ فكان مجتمع القاهرة برغم وحدته الظاهرة منقسما الى هيئات أو مجموعات صغيرة وكل هيئة تقوم على تنظيم شئونها وتدبير أمورها وفقا لتقاليدها ونظامها وان كانت من الناحية العامة تخضع لسلطة الحكومة ولكل من هذه الهيئات والطوائف كيانها وتقاليدها وزعامتها التى تتمثل فى شيخ الطائفة ولم ينتظم أهل الحرف والتجار وحدهم فى طوائف وهيئات بل كان لمجاورى الأزهر والعلماء والمتصوفة وحتى للسقائين والشحاذين واللصوص والعاهرات كان لكل هؤلاء طوائف معترف بها من الدولة والتى لم تكن تعرف الأفراد

---

(١٤) ادوارد جوان ـ نفس المرجع ص ٣٩٩ ـ ٤٠٢ ٠

(١٥) جمال حمدان ـ شخصية مصر ـ مكتبة النهضة العربية سنة ٩٩٧٠ ص ١٢١ ـ ١٢٧ ٠

الا مندرجين فى طوائفهم والفرد بدوره لايمكن أن يمارس نشاطه الا اذا كان منتميا لطائفة يخضع لنظمها ونقالبدها ويحتمى بظلها · ومن مزايا ذلك النظام أنه كان من أهم العوامل لاشاعة حياة اجتماعية زاخرة بألوان النشاط مما أدى الى توثيق الصلات الاجتماعية بين الناس وتضامنهم فى السراء والضراء (١٦) ·

كذلك عرفت الحياة فى القاهرة تقسيما جغرافيا أو اداريا اذ كانت المدينة مقسمة الى مناطق ادارية يطلق عليها حارات ويسكنها فى الغالب عائلات تربطها فى الغالب مصلحة مشتركة اما اقتصادية كحارة المغربلين · والصاغة ··· والصنادقية واما دينية كحارة النصارى واليهود وأما جنسية كحارة المغاربة ·· والحبش وغير ذلك · وكانت كل حارة تؤلف وحدة ادارية مستقلة بذاتها لها جامعها وسوقها وحمامها وبواباتها (١٧) ولقد كانت الحارات تخضع لسلطة شيوخ الحارات وكان يعاونهم نقيب أو أكثر وهذه البنية تطابق نفس بنية الطوائف الحرفية ويمكن أن نفترض ان الحارة كانت بنية موازية لبنية الطائفة أحداهما تقوم على الحرفة وأخرى تقوم على مقر السكن وهما متكاملتان ··· لم يكن أذن ثمة انفصال بين النظامين بل لقد كان هناك تكامل بينهما فكان من الممكن أن يكون شيخ الحارة أحيانا هو نفسه شيخ الطائفة المسيطرة فى الحى كما كان حال حجاج موسى ١٧٩٨ م حيث كان شيخا لحارة النجارين وشيخ لطائفة الحبالة فى نفس الوقت (١٨) ·

وكان لشيخ الحى سلطات أمنية وادارية والمحافظة على الأخلاق العامة فى الحارة فعلى سبيل المثال لابد من استئذان شيخ الحى عند عقد اتفاق لاستئجار أحد المنازل (١٩) وكان من شروط الاقامة فى الأحياء السكنية أن يكون الشخص متزوجا ولديه جارية وشيخ الحارة يقوم بمتابعة ذلك الشرط وعند ثبوت سوء أخلاق أحد سكان الحارة رجلا كان أو امرأة فان شيخ الحارة يرفع طلبا الى المحكمة الشرعية موقع عليه بعض سكان الحارة بالطرد خارج الحارة (٢٠) وكانت الروح الاجتماعية للحى تعبر عن نفسها عادة فى تظاهرات جماعية يساهم فيها سكان الحى وتسير فى مواكب صاخبة وملونة تصحبها الطبول والمزامير خلف حملة المشاعل والبيارق وكانت المواكب تنظم فى مناسبات الزواج أو الختان

---

(١٦) السيد رجب رجب حراز ـ نفس المرجع ـ ص ١٧٠ ·
(١٧) السيد رجب حراز ـ نفس المرجع ص ١٧٢ ·
(١٨) اندريه ريمون ـ نفس المرجع ص ٢٦ ·
(١٩) جيراردى نيرڤال ـ نفس المرجع ص ١٣٨ ·
(٢٠) سجلات المحكمة الشرعية ـ محكمة الديوان العالى مسلسل ٥ مادة ١٣٥ ـ ص ٧١ ·

أو مولد أحد الأولياء المحليين أو فى مناسبة احتفال له صبغة أكثر عمومية كمولد النبى أو شق الخليج وعيد الفطر والأضحى وذهاب وعودة المحمل وكذلك التجمع لاستقبال باشا جديد وتوديع المعزول وعند دفع مظالم وشغب الجند أو ازالة الغرض أو مقاومة اعتداء خارجى (٢١) .

وحتى أنه من الأمثال الشعبية الشائعة فى القاهرة فى ذلك الوقت ما كان يكشف عن وجود روح التعاون بين الأهالى أو حرص أهل الحارة على بعضهم وعدم ايذاء بعضهم لبعض فهناك مثال يقول « بلدنا صغيرة ونعرف بعضنا » وآخر يقول « اللص العيار ما يسرق شىء من حارته » .

ثالثا : التأثيرات الأوربية على مجتمع القاهرة .

توارث مجتمع القاهرة عادات وتقاليد منذ أقدم العهود كما سنوضح بعد قليل تأثيرات ظلت باقية منذ عصر الفراعنة وأخرى منذ الحكم الاسلامى والفاطمى فى مصر وقد تناقلت الأجيال عبر القرون تلك العادات والتقاليد وظلت محافظة عليها ولكن مع نهاية القرن الثامن عشر وخلال النصف الأول من القرن التاسع عشر شهدت القاهرة حادثين هامين أديا الى بدايات تأثر مجتمع القاهرة بأوربا أولهما كان دخول الحملة الفرنسية على مصر وهى تحمل فى احدى يديها السلاح وفى الأخرى العلماء ومظاهر التقدم فى أوروبا فاحدثت تلك الحملة ما يشبه الصدمة للمجتمع المصرى التى أعقبتها الدهشة ثم محاولة الاستفادة والتطوير والنقل عن أوروبا واعتلاء محمد على باشوية مصر وكان قد رأى بعينيه ما حملته الحملة الفرنسية من امكانيات وتقدم فلذلك بعد ان استقرت له مقاليد الحكم أخذ يغير من انظمة الجيش والتعليم والصناعة وارسل البعثات العلميـة الى الخارج وأدخل الصناعة الحديثة واستجلب الأوربيين من الخارج فى مختلف المجالات للاستفادة منهم وبهذا بدأ الاحتكاك القوى بين المصريين والغرب ذلك الاحتكاك الذى بانت أثاره بشكل قوى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ولكن يمكننا أن نتلمس بدايات ذلك التأثير وان كانت خافتة وقليلة وسوف نوضح ذلك فى الصفحات القادمة فقد حدثت بعض التغيرات والتقليد للزى الأوربى وكذلك بدأ بعض الناس فى تقليد طريقتهم فى تناول الطعام وبعض المصريين تزوجوا باوربيات وهناك تأثيرات أخرى فى مجال العمران وبناء المساكن وتوسيع الشوارع وغيرها ولكن يلاحظ أن بعض هذه العادات لم تكن تلقى قبولا ورضى من عامة الشعب (٢٢) .

---

(٢١) الدربه ريمون نفس المرجع ص ٢٨١ (٦) .

(٢٢) Lewis — Arabic proverbs - london 1830, p. 37.

من هذا يتضح أن النزعة الدينية وروح التعاون بين الأهالى وبداية التأثر بأروبا كان له تأثير على أفعـال وأفكار مجتمع القاهرة من ناحيـة العادات والتقاليـد أضف الى ذلك طبيعـة جو القاهرة الذى يتسم بطول فصل الصيف مما أدى الى اختيار الألوان الفاتحـة للمـلابس التى تكون دائما واسعة وفضفاضة كذلك الى انتشار وكثرة عدد الحمامات العامـة والأسبلة وأدى هذا الطقس الحار أيضا الى اتباع أساليب معينة فى بناء المساكن وسوف نوضح ذلك فى حينه .

الحفلات العمومية الدورية

١ ـ شهر رمضـــان :

يبدأ الاحتفال بشهر رمضان منذ ليلة الرؤية حيث يخرج الى الخلاء كثير من الأهالى لاستطلاع هلال شهر رمضان واعلان موعد الصيام وفى مساء ذلك اليوم يسير موكب المحتسب ومشايخ الحرف المتعددة ومعهم بعض أعضاء آخرين من هذه الحرف وفرق من الموسيقيين وحاملى الطبول والزمور وبعض الدراويش يحملون البيارق وكذا فرق من الجنود ويسير الجميع من القلعة الى مجلس القاضى وينتظرون هناك عودة أحد المرسلين لرؤية الهلال أو شهادة أى مسلم آخر على أنه رأى الهلال وفى تلك الأثناء تزدحم شوارع القاهرة بخلق عظيم ثم يقسم الموكب نفسه عدة أقسام تطوف فى شوارع القاهرة لاعلان الأهالى بموعد بدء الصيام (٢٣) ٠ وفى وقت لاحق استبدل ذلك الموكب بآخر يتكون غالبه من مشاة الجيش ٠

ويقوم القاضى باثبات بدء شهر رمضان فى وثيقة ويودعها فى المحكمة الشرعية ويصدر أوامره باضاءة المساجد ليلا بالقناديل (٢٤) وفى أثناء نهار رمضان يخلد معظم الناس خاصة الأغنياء الى الراحة ويمتنعون عن العمل وتغلق الدكاكين ولكن هناك بعض الميادين مثل الرميله يعرض بعض الحواة والسحرة وعارضى الثعابين والقرود والفرق التمثيلية عروضهم للناس (٢٥) ٠ وبعد غروب الشمس يتناول المسلمون قليلا من الطعام والشراب ثم يؤدوا صلاة المغرب ويتناولون الوجبة الأساسية ثم يتوجهوا الى المسجد لأداء صلاة العشاء والتراويح ٠

ومن وسائل التسلية فى ليالى رمضان تبادل الزيارات بين الأصدقاء والذهاب الى المقاهى لتناول القهوة والشبك والاستماع الى الرواة والمحدثين وهم يروون حكايات عنترة وألف ليلة وليلة وغيرها أو الاستماع الى الموسيقى

---

(٢٣) الجبرتى عجائب الآثار ـ جـ ٢ ص ٢٢٢ وجـ ٤٠٥٣ انظر أيضا ٠ وليم لين ـ نفس المرجع ـ ص ٣٩٩ ٠

(٢٤) سجلات المحكمة الشرعية ـ محكمة الديوان العالى مسلسل ٧ مادة ١٩٣ ص ٦٣ ٠

(٢٥) علماء الحملة الفرنسية وصف مصر ـ جـ ١ ص ١٤٧ ٠

وسماع الأغاني ومشاهدة الرقص أو التمثيل ومنهم من يقضي الليل في ممارسة بعض الألعاب منل الشطرنج أو المصارعة وحمل الأثقال (٢٦) والأهالي الأتقياء يعملون في منازلهم حلقات للذكر أو تلاوة القرآن في كل ليلة من ليالي رمضان يجول المسحرون ليقولوا أولا كلمة ثناء أمام كل منزل يستطيع صاحبه أن يكافئه وفي ساعة متأخرة يجولون ليعلنوا وقت السحور ولكل خط أو قسم صغير في القاهرة مسحر ويبدأ المسحر جولاته بعد الغروب بساعتين تقريبا أي بعد أداء صلاة العشاء ممسكا بشماله طبلة صغيرة يسمى بازا أو طبلة المسحر وبيمينه عصا صغيرة أو سيرا يضربه به ويصحبه غلام يحمل قنديلين في اطار من الجريد ويقفان أمام منزل كل مسلم غير فقير وفي كل مرة يضرب المسحر طبلة ثلاث مرات مع ترديد بعض الأناشيد الدينية ويتناول المسحر على العموم من منزل متوسط الطبقة قرشين أو ثلاثة قروش أو أربعة في العيد الصغير ويعطيه البعض مبلغا زهيدا كل ليلة وكثيرا ما تعمد النساء متوسطة الحال الى وضع نقد صغير (خمسة فضة أو من خمسة فضة الى قرش أو أكثر في ورقة ويقذفن بها من النافذة) الى المسحر بعد ان يشعلن الورقة ليرى المسحر مكان سقوطها فيقرأ الفاتحة بناء على طلبهن أحيانا أو من تلقاء نفسه ويؤدي لهن قصة قصيرة في سجع غير موزون لتسليتهن مثل قصة الضرتين وهي قصة مشاجرة امرأتين متزوجتين رجلا واحدا (٢٧) ٠

وفي وقت الحملة الفرنسية على مصر (رمضان ١٢١٣هـ - ١٧٩٨م) اهتم الفرنسيون بالمحافظة على التقاليد المصرية التي تراعى عند الاحتفال برؤية هلال رمضان وخلال الشهر نفسه فقال الجبرتي « وفيه أعرض حسن أغا محرم المحتسب لساري عسكر الركوبة المعتادة لاثبات هلال رمضان فرسم له بذلك على العادة القديمة فاحتفل لذلك المحتسب احتفالا زائدا وعمل ولبمة عظيمة في بيته أربعة أيام أولها السبت وآخرها الثلاثاء دعا في أول يوم العلماء والفقهاء والمشايخ والوجاقلية وغيرهم وفي ثاني يوم التجار والأعيان وكذلك ثالث يوم ورابع يوم دعا أيضا أكابر الفرنساوية وأصاغرهم وركب يوم الثلاثاء بالأبهة الكاملة زيادة عن العادة وأمامه مشايخ الحرف بطبولهم وزمورهم وشق القاهرة على الرسم المعتاد ومر على قائمقام وأمير الحاج وساري عسكر بونابرته ثم ركب من هناك بالموكب وأمامه المشاعل الكثيرة والطبول والزمور والنقاقير والمناداة بالصوم وخلفه عدة خيالة عارية رءوسهم وشعورهم مرخية على أقفيتهم بشكل بشع مهول » ٠

---

(٢٦) Brawne — op. cit., p. 85.

(٢٧) ٠١ وليم ولين - نفس المرجع - ص ٤٠٢ ٠

وخلال شهر رمضان أضاف الجبرتى قائلا « وانفتحت الأسواق والدكاكين واستمر الذهاب والمجيء وزيارة الاخوان ليلا والمشى على العادة بالفوانيس ودونها واجتماع الناس للسهر فى الدور والقهاوى ووقود المساجد صلاة التراويح وطواف المسحرين والتسلى بالرواية وترجى المأمول » (٢٨) ٠

٢ ـ العيدان : الفطر والأضحى :

يحتفل فى الأيام الثلاثة الأول من شهر شوال بأصغر العيدين ويسمى عادة العيد الصغير ويبدأ بانتهاء الصيام وبعد شروق شمس اليوم الأول يظهر الناس فى حللهم الجديدة أو فى أحسنها ويجتمع الرجال فى المساجد ويصلون ركعتين ، سنة العيد ثم يلقى الخطيب الخطبة ويتعانق الأصدقاء مهنئين بعضهم بعضا ٠٠ حينما يتقابلون فى المسجد أو فى الشارع ، أو فى منازلهم وهم يتزاورون لهذا الغرض على العموم ويلبس البعض حتى من عامة الشعب ملابس كاملة جديدة يكاد الكل يلبسون شيئا جديدا ولو حذاء فقط ويقدم السيد لخادمه قطعة واحدة من الثياب على الأقل جديدة ويتناول الخادم بعض قروش من كل أصدقاء السيد عند زيارتهم المنزل وعندما يذهب اليهم ليهنئهم (٢٩) ٠

وكانت العادة ان تطلق المدافع ثلاثة أيام فى عيد الفطر أو الأضحى كل يوم ثلاث طلقات احتفالا وابتهاجا بمقدم العيد (٣٠) وقد تعود الناس فى أيام العيد تناول فسيخ وكعك وفطير وشريك والنقل كالبندق والزبيب وتغلق المحلات فى هذا اليوم ماعدا دكاكين المأكولات والمشروبات وتبدو الشوارع أكثر بهجة وتذهب كثير من النساء وبعض الرجال لزيارة المقابر فى العيد وهم يحملون معهم سعف النخيل والريحان وبعض أنواع الطعام مثل الشريك والفطير والبلح لتوزيعها على الفقراء ويستأجرون بعض الفقهاء لتلاوة بعض سور من القرآن أو عمل خاتمة ثم يعودون آخر النهار ولكن بعض السيدات تبقى طوال ثلاث أيام العيد بجوار المقابر وهن يقمن داخل الخيام وتقام بجانب المقابر عدة أراجيح وخيم كبيرة يعمل بها الراقصون ورواة أبى زيد وغيرهم من اللاعبين (٣١) ٠

أما عيد الأضحى فيحتفل به لمدة أربعة أيام ابتداء من يوم عشرة

---

(٢٨) الجبرتى ـ عجائب الآثار ـ جـ ٣ ص ٢٤٧ ـ ٣٥٧ ٠

(٢٩) الجبرتى ـ عجائب الآثار ـ جـ ٣ ص ٤٩١ وانظر أيضا وليم لين المصريون المحدثون ص ٤٠٤ ٠

(٣٠) أمين سامى ـ تقويم النيل ـ جـ ٢ ص ٤٠٩ ٠

(٣١) الجبرتى ـ نفس المرجع ـ ص ١٤٩٢ ـ وليم لين نفس المرجع ص ٤٠٥ ٠

ذى الحجة وتتبع فيـــه معظم التقـاليد المتبعة فى عيد الفطر وان كانت أقل بهجة مثل تبـادل التهانى والأعطيات والزيارات وكذلك زيارة المقـابر وارتداء الملابس الجديدة وتذبح أضحية العيد لمن يستطيع ذلك ٠

وفى أثناء الحملة الفرنسية اجتهد الفرنسيون فى مشاركة المسلمين الفرحة بالعيد وذلك باطلاق المدافع كما أن كبار الفرنسيين كانوا يطوفون على الناس لتهنئتهم بالعيد (٣٢) ٠

٣ ـ المحمـــل :

كانت السلطات تجمع مبالغ كثيرة فى شكل ضرائب لتغطية نفقات الصرة والكسوة الشريفة وتقسم هذه المبالغ الى قســـمين قسم منها فى مصر يوزع على نقيب الأشراف والأشراف وبعض المشايخ والعلماء وكبـار الموظفين بالقاهرة وكذلك لتغطية نفقات صنع الكسوة أما القسم الثانى فكان يرســـل مع أمير الحج الى مكة والمدينـــة ليوزع على الشيوخ والمساجد والسكان وواضع هذا النظام هو السلطان سليمان (٣٣) ٠



المحمل

---

(٣٢) الجبرتى نفس المرجع ج ٢ ـ ص ٢٥٧ ٠

(٣٣) علماء الحملة الفرنسية ـ وصف مصر ـ ج ٥ ص ٢٣٤ ـ ٢٣٦ ٠

وفى أواخر شوال كان يصدر فرمان شريف يودع بالمحكمة الشرعية ويذكر فيه اسم أمير الحج الذى سيتولى قيادة موكب المحمل وكذلك يبين قيمة الضرائب المتحملة لأجل الصرة الشريفة وما يخص أهل مصر وأهل الحرمين منها فعلى سبيل المثال فى سنة ١٢٦٠هـ ـ ١٨٣٤م كان أمير الحج هو حسين أغا وبلغت قيمة المبالغ المستحقة لأهل مصر (١٠٥٠ كيسا) ولأهل مكة (٤٠٥ آكياس) والمدينة (٥٧١ كيسا) (٣٤) .

أما موكب المحمل فكما وصفه أ . وليم لين فانه يبـــدأ أولا بتقدم مدفع ميدان صغير يستخدم لاطلاق اشارة رحيل القافلة بعد كل محطة ويتبع ذلك فرقتان من الفرسان الأتراك غير النظاميين ثم يظهر عـدة رجال راكبين الجمال يضرب كل منهم زوج من النقارات وخلفهم تسير عدة جمال وهى تحمل على ظهورها قرب وصناديق تحتوى على الأموال التى تصرف على الحرمين وجمـال تحمل أمتعة أمير الحج والكسوة الجديدة (وموكب الحج يشتمل على كسوة الكعبة وكسوة مقام الخليل وستارة باب التوبة وبيارق الكعبة والمنبر) (٣٥) .

ويتخلل الموكب مواكب الدراويش وهم يحملون أعلامهم وكذلك فرق الموسيقى وفرق من ضباط الجيش يركبون الجمال والخيل وبعض أعضاء طوائف الحرف ومعهم شيوخهم وأئمة المذاهب الأربعة وأفراد من فرقة المغاربة وقد يبلغ عدد الجمال التى تكون موكب المحمل مائة جمل .

ويظل المحمل ومتاع الأمير على العموم ثلاثة أيام أو أكثر فى سهل الحصوة شمالى العاصمة ثم يتقدم الى بركة الحاج على بعد أحد عشر ميلا من المدينة ويبقى هناك يومين ويعد هذا المنزل الأخير ملتقى الحجاج وترحل القافلة من هناك فى السابع والعشرين من شوال ويدوم السفر الى مكة سبعة وثلاثون يوما وتسير القافلة ببطء ليلا غالبا للتخفيف من شدة السفر (٣٦) ومما يجدر ملاحظته أن الحج يجتذب الى القاهرة فى كل عام عددا يتراوح بين اثنى عشر وخمســة عشر ألف حاج من التجار مما يؤدى الى انتشار التجارة بين الساحل الافريقى بأجمعه والجزء العربى من ساحل البحر الأحمر (٣٧) وفى شهر صفر تعود القافلة الى القاهرة ويدخل الموكب المـدينة من باب النصر يتقـدمه فرقة كبـيرة من المشـاة النظاميين (٣٨) .

---

(٣٤) سجلات المحكمة الشرعية محكمة الديوان العالى م ٨ ماده ٦٦ ص ٢٤ سنة ١٢٦٠ .

(٣٥) على مبارك الخطط التوفيقية جـ ٩ ص ٢٢ .

(٣٦) أ. وليم لين ـ نفس المرجع ـ ص ٤١٠ ـ ٤١٢ .

انظر أيضا جيرار دى نيرفال ـ رحلة الى الشرق ـ جـ ١ ـ ص ٢٢٢ ـ ٢٢٦ .

(٣٧) محمد فؤاد شكرى ـ بناء دولة مصر ـ ص ٧٩٧ نقلا عن تقرير كامبل .

(٣٨) أ. وليم لين ـ نفس المرجع ـ ص ٣٦٩ .

ويقوم أهل الحجاج وأصدقاؤهم باستقبال الحجاج العائدين وهم يصحبون معهم حاملى الطبول والمزامير وبعض النساء اللائى يقمن باطلاق الزغاريد ابتهاجا بعودة الحجاج كما تزين بيوتهم بالرسوم والأعلام (٣٩) .

وقد لعبت الأحداث الجارية فى البلاد فى تلك الأوقات دورا كبيرا فى التأثير على مظاهر الاحتفال بموكب المحمل وأعداد الحجاج كذلك فى مقدار أموال الصرة الشريفة ففى عام ١٢١٣ هـ مارس ١٧٩٨ م أى قبل مرور عام من قدوم الحملة الفرنسية على مصر اهتم الفرنسيون بعمل موكب المحمل وبجمع أموال الصرة الشريفة وقد سافر الحجاج المصريين فى هذا العام عن طريق البحر من السويس بصحبة الصرة الشريفة ولم يسافر أحد عن طريق البر (٤٠) .

وقد يرجع ذلك الى قلة عدد الحجاج هذا العام وفى موسم الحج عام ١٢١٧ هـ - يناير ١٨٠٣ م وذلك بعد جلاء الحملة الفرنسية عن مصر ارتفع عدد الحجاج ارتفاعا ملحوظا وحضر الى القاهرة حجاج كثيرون من المغاربة ومن الصعيد ومن القرى البحرية (٤١). وفى موسم الحج عام ١٢١٩ هـ - يناير ١٨٠٥ م وكان ذلك فى الفترة التى شهدت فيها القاهرة أعمال الشغب والفوضى بعد جلاء الحملة الفرنسية وقبل استقرار مقاليد الأمور فى يد محمد على يقول الجبرتى (نزل الباشا الى قراميدان وحضر القاضى والدفتردار وأمير الحج فسلمه الباشا المحمل ونزلوا بالكسوة أمام أمير الحج وركب أمامه الأغا والوالى والمحتسب وناظر الكسوة بهيئة محتقرة من غير نظام ولا ترتيب ومن خلفهم المحمل على جمل صغير أعرج (٤٢) وفى عام ١٢٢٠ هـ - فبراير ١٨٠٦ م شهد مهرجان الاحتفال بموكب الحج واقعة حدثت لأول مرة وهى انخفاض أموال الصرة الشريفة حيث يقول الجبرتى (كان يوجد بالصرة الشريفة هذا العام ربعها وثمنها وهو مالم يحدث مثله من قبل (٤٣) ، وفى عام ١٢٢١ هـ - ديسمبر ١٨٠٦ شهدت القاهرة كذلك حادثة غريبة وقعت لحجاج الصعيد حيث قام الباشا وجنوده بمهاجمة قوافل حجاج الصعيد ليلا ونهبوا جمالهم وأموالهم ومتاعهم وقد يرجع ذلك لشدة حاجة الباشا للأموال (٤٤) وقد استمرت عدم العناية بجمال

---

(٣٩) Henniker — During A visit to Egypt, London 1825, p. 91.

(٤٠) الجبرتى عجائب الآثار ج ٢ - ص ٢٦٦ .

(٤١) الجبرتى - نفس المرجع - ج ٢ ص ٥٥٠ .

(٤٢) الجبرتى نفس المرجع - ج ٣ ص ٤٠ .

(٤٣) الجبرتى نفس المرجع ج ٣ ص ٩٩ .

وأبهة موكب المحمل وقتا ما ففي عام ١٢٣٠ هـ - سبتمبر ١٨١٤ م يقول الجبرتي (خرجوا بالمحمل الى الحصوة خارج باب النصر وسقوا به من وسط المدينة وأمير الركب شخص من الدلاة يسمى أوزون أوغلي وفوق رأسه طرطور الدلاتية ومعظم الموكب من عساكر الدلاة وعلى رءوسهم الطراطير السود بذانهم المستبشعة وقد عم الاقليم المسخ فى كل شيء فقد تنتغص الطبيعة وتتكدر النفس اذا شاهدت ذلك أو سمعت به وقد كانت نضارة الموكب السالفة فى أيام المصريين (يقصد المماليك) ونظامها وحسنها وترتيبها وفخامتها وجمالها وزينتها التى لم يكن لها نظير فى الربع المعمور (٤٥) ٠

ولكن بعد ذلك بدأ الانتعاش يظهر مرة أخرى فى موسم الحج ففى العام التالى مباشرة يقول الجبرتى (كانت الحجوج فى هذه السنة كثيرة من سائر الأجناس أتراك وغز وبشناق وجركس ومغاربة وفلاحين ومن سائر الأجناس (٤٦)) ٠

كما أخذت الأبهة والفخامة تعود الى مظاهر الاحتفال بموكب المحمل وأخذ الجنود النظاميين من جيش محمد على الحديث يشاركون فى موكب المحمل وذلك كما ذكر ادوارد ولبم لين ٠

٤ - المولد النبوى الشريف :

كان الاحتفال بمولد النبى بدعة فى نظر المتمسكين بالعادات الاسلامية لكن بعض المسلمين رغبة منهم فى تكريم النبى ٠٠٠ رأوا منذ بداية القرن الرابع الهجرى أن يحتفلوا بمولده (٤٧) وظل الاحتفال به مستمرا فى القاهرة عبر القرون التالية ولتحديد موعد الاحتفال به يصدر اعلان شريف من مجلس الشريعة الغراء بمحكمة مصر الكبرى الى محمد أفندى البكرى نقيب الأشراف يتضمن تحديد يوم المولد النبوى الشريف ويطلب منه أن يقرأ المولد النبوى الشريف عنده بحضور العلماء والأشراف كالعادة (٤٨) (المولد النبوى هو كتاب يحوى سيرة الرسول بالزجل) ٠

ويحتفل بالمولد ابتداء من يوم ٢ الى ١٢ ربيع الأول ومكان الاحتفال الرئيسى بالقاهرة هو ميدان الأزبكية حيث تضرب خيم كبيرة تسمى صيوان

---

(٤٤) الجبرتى نفس المرجع - ج ٣ ص ١٣٩ ٠
(٤٥) الجبرتى نفس المرجع ج ٣ ص ٤٩٤ ٠
(٤٦) الجبرتى نفس المرجع - ج ٣ ص ٥٦٧ ٠
(٤٧) آدم مينتز ترجمة محمد عبد الهادى - الحضارة الاسلامية القاهرة ١٩٤٠ ص ٢٥٠ ٠
(٤٨) سجلات المحكمة الشرعية محكمة الديوان العالى مسلسل ٩ مادة ٢٣ ص ١٣ سنة ١٢٦٥ ٠

فيجتمع الدراويش للذكر في أغلبها كل ليلة طول الاحتفال ويرفع وسط هذه الخيم صارى يشد بحبال شدا متينا ويعلق بها بعض القناديل ويجتمع خلق كثير ويتسلون فى المكان الرئيسى للاحتفال أثناء النهار بالاستماع الى الشعراء وبمشاهدة المشعوذين والهزليين وتنصب فى بعض الجوانب من الشوارع المجاورة أراجيح والعاب أخرى وعدة دكاكين لبيع الحلويات ويقوم الراقصون على الحبل أحيانا باللعب فى هذا الاحتفال وتضـــاء الشوارع بالقنـــاديل العديدة ليـــلا وتظل دكاكين المأكولات والمشروبات مفتوحة طول الليل وكذلك المقاهى التى يجلس عليها الناس للاستماع الى الرواة والمحدثين وتمر بالشـــوارع جمـــاعات من الدراويش وهى تحمل البيارق والمصابيح وتعقد فى المساجد حلقات الذكر ويزيد الاقبـــال على الاحتفال فى الليلتين الأخيرتين وتكثر حلقات الذكر ومواكب الدراويش ونعمل الدوسة (٤٩) ٠

وقد حرص بونابرت على أن يقام الاحتفال بالمولد النبوى بعد أن وجد ان هنـــاك أعراضا من الأهالى عن الاحتفال به اذ أن الغزو الفرنسى لم يكن قد مضى عليه طويلا وفى ذلك قال الجبرتى (وفيه سأل صارى عسكر عن المولد : النبوى ولماذا لم يعملوه كعادتهم فاعتذر الشيخ البكرى بتعطيل الأمور وتوقف الأحوال فلم يقبل وقال لابد من ذلك وأعطى له ثلثمائة ريال فرنسى معاونة وأمر بتعليق تعاليق وأحبال وقناديل واجتمع الفرنساويه يوم المولد ولعبوا ألعابا وضربوا طبولهم وأرسل الطبلخانة الكبيرة الى بيت الشيخ البكرى واستمروا يضربونا بطول النهار والليل بالبركة تحت داره وهى عبارة عن طبلات كبار مثل طبلات النوبة التركية وعدة آلات ومزامير مختلفة الأصوات وعملوا حراقة فى الليل وصواريخ تصعد فى الهواء (٥٠)) ٠

الدوســـة :

ومن العادات التى تســـتحق الملاحظة وكانت تجرى فى ليلة المولد ما يعرف بالدوسة ويقوم بها الدراويش التابعين للطريقة السعدية وشيخ الطريقة الذى يقضى (٥١) الليلة السابقة فى عزلة مرددا بعض الصلوات والأدعية الخفية وتقام الدوسة أمام منزل الشيخ/ محمد البكرى نقيب الأشراف الذى يرأس جميع طوائف الصوفية بمصر حيث ينبطح عدد كبير من الدراويش وغيرهم ويصل عددهم الى الستين أو أكثر فينبطحوا جنبا

---

(٤٩) أ٠ وليم لين ــ نفس المرجع ص ٣٧٢ ــ ٣٧٩ ٠

(٥١) أ٠ وليم لين ــ نفس المرجع ــ ص ٣٧٠ ٠

الى جنب متلاصقين بقدر الامكان وأرجلهم ممدودة وأذرعهم تحت جباههم وكانوا يهمسون على الدوام باسم الله ثم يجرى اثنا عشر درويشا تقريبا حفاة أغلبهم على ظهور رفقائهم المستلقين وكان بعضهم يضرب الباز ويصيحون الله ثم يدنوا الشيخ ويتردد حصانه دقائق عديدة قبل ان يدوس ·

ظهر أول الساجدين ولكنه يخطو أخيرا بالدفع والحث من الخلف ثم يمشى بدون خوف ظاهر بخطوة عالية على ظهورهم جميعا يقوده شخصان وكان أحدهما يطأ الساجدين فوق أرجلهم أحيانا والآخر فوق رءوسهم يهتف المشاهدون فى الحال بصوت ممدود الله ولم يظهر على أحد ممن داسهم الحصان انه أصيب بسوء بل وثب كل منهم واقفا بعد مرور الحصان عليه وتبع الشيخ ويقال ان هؤلاء والشيخ أيضا يستعملون بعض كلمات أى يرددون صلوات وأدعية فى اليوم السابق ليمكنهم احتمال خطى الحصان دون ضرر وان بعضهم لم يهيأوا كالسابقين أجبروا على الانبطاح ليمر الحصان عليهم فلقوا حتفهم أو أصيبوا بضرر بالغ والمصابين يأخذون بعيدا بسرعة لعلاجهم سرا وكذلك الموتى منهم يدفنون بطريقة غير علنية (٥٢) ·

ويذكر وليم لين ان شيخ السعدية الحالى (١٨٣٤م) قد رفض عمل الدوسة عدة سنوات وبعد توسل شديد حمل تفويض القيام بها الى شيخ آخر نجح فى أدائها وكان ضريرا ولكنه سريعا ما توفى بعد فاستجاب شيخ السعدية الى التماس دراويشه وأصبح منذ ذلك الوقت يقوم بعمل الدوسة بنفسه دائما ·

٥ ـ موالد الأولياء :

تنتشر وتكثر موالد الأولياء بالقاهرة وضواحيها منها ما يكون ذو صبغة عامة حيث يحتفل به كافة أهالى القاهرة مثل مولد الحسين والسيدة زينب والامام الشافعى ومنها ما يكون خاص بأهل خط أو حارة التى فيها مقام أو ضريح الوالى الذى يحتفل لمولده ·

ويبلغ عدد موالد الأولياء فى القاهرة وضواحيها ثمانون مولدا كل عام وقد ذكر على مبارك فى الخطط التوفيقية أسماء هذه الموالد ومواقيت الاحتفال بها (٥٣) ·

وبصفة عامة تتشابه مظاهر الاحتفال بهذه الموالد (٥٤) ولا تختلف

---

(٥٢) Butler Court Life in Egypt, London, 1867, p. 77.

(٥٣) على مبارك الخطط التوفيقية جـ ١ ص ٩٠ ·

(٥٤) علماء الحملة الفرنسية ـ وصف مصر ـ جـ ٣ ص ٢٥٧ ·

الا فى كونها عامة أو محددة بمنطقة أو حى واحد وسنعرض لبعض مظاهر الاحتفال بمولد سيدنا الحسين بالقاهرة حيث يستمر الاحتفال به لمدة ١٥ ليله فى شهر ربيع الآخر وهو يعتبر أشهر موالد القاهرة بعد مولد النبى صلى الله عليه وسلم ويكون اليوم الكبير « مولد الحسين » يوم ثلاثاء دائما وتكون الليلة التالية هى ليلة المولد (ليلة الأربعاء) ٠

وفى كل ليلة من ليالى المولد يضاء المسجد بمصابيح وشموع غليظة يبلغ ارتفاع البعض أكثر من متر ونصف ٠٠ وتظل دكاكين المأكولات والمشروبات والمقاهى المجاورة للمسجد والكثير منها فى الأحياء الأخرى أيضا مفتوحة الى الصباح والاستماع الى الموسيقى ومشاهدة الرقص والاستماع الى القاصين أما فى داخل المسجد فنجد جماعات مختلفة تجلس لتلاوة بعض سور القرآن الكريم أو الأدعية أو مدح الرسول صلى الله عليه وسلم أو القيام بحلقات ذكر ويزدحم المسجد بالزوار من الرجال والنساء وهم يدورون حول تلك الجماعات التى تقوم بأعمال دينية ٠٠ وفى خارج المسجد تنتشر مواكب الدراويش التى تطوف بشوارع القاهرة وهى تحمل الاعلام والرايات والطبول والموسيقى وعندما يمرون على أحد أضرحة المشايخ يكفون عن عزف الموسيقى لحظة لقراءة الفاتحة وتلاوة بعض الأدعية ثم يستمرون فى المسيرة الى المسجد الحسينى ٠٠٠ وفى الليلة الكبيرة تكثر حلقات الدراويش فى المسجد والتى تقوم بالذكر وبعضها يؤدى بعض طرق الشعوذة مثل بلع الجمرات المشتعلة أو أكل الزجاج أو التهام الثعابين الحية وكذلك يزداد ازدحام الناس بالمسجد وأيضا تزداد مواكب الدراويش (٥٥) ٠

هذا كان وصف بعض مظاهر الاحتفال بمولد سيدنا الحسين وهناك موالد أخرى للأولياء ، أقل أهمية ولكن مما يجدر ملاحظته ان بعض هذه الموالد كان يقوم بالانفاق عليها بعض الأقباط (٥٦) ٠

وكذلك مما يستحق ذكره ما قاله الجبرتى فى وصف الاحتفال بمولد زين العابدين فى حوادث شهر رجب ١٢٢٥هـ ـ ١٨٠٩م (ان عثمان أغا اجتهد فى تعمير مشهد زين العابدين الذى كان الناس يداومون على زيارته صبيحة كل يوم أحد فلما كانت الحوادث ومجىء الفرنسيين أهملوا وتخرب المشهد وانهيلت عليه الأتربة فقام عثمان أغا بتعميره وزخرفته وتبييضه وعمل به سترا وتاجا ليوضعا على المقام وأرسل فنادى على أهل الطرق الشيطانية المعروفين بالأشاير وهم السوقة وأرباب الحرف المرذولة الذين ينسبون أنفسهم لأرباب الضرائح المشهورين كالأحمدية

---

(٥٥) جيرار دى نيرفال ـ نفس المرجع ـ ١ ـ ص ٢٠٣ ٠

(٥٦) الجبرتى ـ عجائب الآثار ـ جـ ٣ ص ٣٠٣ ـ ٣٠٩ ٠

والرفاعية والقادرية والبرهامية ونحو ذلك والجد في حضورهم قبل الجمع بأيام ثم انهم اجتمعوا في يوم الأحد خامس عشرينه بأنواع من الطبول والزمامير والبيارق والأعـــلام والشراميط والخرق الملونة والمصبغة ولهم أنواع من الصياح والنياح والجلبة والصراخ الهائل حتى ملأوا النواصي والأسواق وانتظموا وســاروا وهم يصيحون ويرددون بالصلوات والآيات التي يحرفونها وأنواع التوسلات ومناداة أشياخهم أيضا المنتسبين اليهم وبأسمائهم كقولهم برفع الصـــوت وضرب الطبلات وقولهم ياهو ياهو يا جباوي ويا بدوي ويا دسوقي ويا بيومي ويصحبهم الكثير من الفقهاء والمتعممين والأغا راكب معهم والستر المصـــنوع مركب على أعواد وعليه العمــامة مرفوعة بوســـط الستر على خشب ومتحلقين حوله بالصياح والمقارع يمنعون أيدى الناس الذين يمدون أيديهم للتمسح والتبرك من الرجال والنساء والصبيان المتفرجين ويرمون الخرق والطرح حتى انهم يرخونها من الطيقان بالحبال لتصل الى ذلك التمثال لينالوا جزء من بركته ولم يزالوا سائرين به على هذا النمط والخلائق تزداد كثرة حتى وصلوا الى ذلك المشهد خارج البلدة بالقرب من كوم الجارح حيث المحراب وصنع في ذلك اليوم والليلة أطعمة وأســمطة للمجتمعين وباتوا على ذلك الى ثاني يوم (٥٧) ٠

من النص السابق يمكن استخلاص الملاحظات التالية :

أولا : موقف الجبرتي الرافض والناقد لمثل تلك الأفعال التي تعمل في مناسبات الاحتفال لمولد أحد الأولياء حيث انه اعتبرها بدعة وأفعال شيطانية وكذلك انتقد ترديد بعض الآيات المحرفة والتوســلات وهــذا الموقف من الجبرتي يعد اتجــاه جديد وبداية لتغير موقف بعض المصريين من المعتقدات الشعبية الخاطئة والمنافية للدين ولكن هذا الموقف لم يكن عاما بين الفقهــاء والمشايخ بدليل أن بعضهم كمــا ذكر الجبرتي حضروا الاحتفال بمولد زين العابدين ٠

ثانيا : امتناع الأهالي وتوقفهم عن الاحتفال ببعض المناسبات العامة زمن الحملة الفرنسية وطوال فترة القلاقل والشغب وعدم الاستقرار التي أعقبتها ثم عودة الناس الى ذلك بعد استتباب الأمر داخل القاهرة ٠

٦ ــ الليـــالي الدينيـــة :

اعتاد أهالي القــاهرة الاحتفال ببعض المناسبات الدينية في ليــالي معينة ومن أهمها عاشوراء وليلة المعراج وليلة النصف من شعبان ٠

---

(٥٧) الجبرتي ــ عجائب الآثار ــ جـ ٣ ص ٣٠٣ ــ ٣٠٩ ٠

(أ) يــوم عاشوراء ١٠ محــرم :

يقع يوم عاشوراء فى العاشر من محرم فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم : (أيها الناس سارعوا الى الخيرات فى هذا اليوم فانه يوم عظيم مبارك قد بارك الله فيه على آدم) ••• ومن مظاهر احترام المسلمين لهذا اليوم انهم كانوا يصــومون هــذا اليوم ويعظمونه ويصــومون فيه وتصــادف ان استشهد الحسين بن على فى ذلك اليوم فاتخذه الأمويون السنيون عيدا يبتهجون فيه أما الشيعة من أنصــــار على بن أبى طالب وأولاده فانهم اتخذوا من هذا اليوم مأتما يبكون فيه على الحسين ••• وقد ظل الشيعيون يحتفلون بذكرى هذا اليوم عهد الأمويين والعباسيين ويلقون صنوفا من العذاب والاضطهاد حتى قامت الدولة الفاطمية الشيعية فى المغرب ومصر ••• فأصبح هذا اليوم عيدا فى مصر (٥٨) • ويقوم أهــل الشيعة فى مصر بممارســة بعض الأعمال العجيبة فى تلك المناسبة فيتوسعون فى الوليمة ويكثرون من دعوة كبــار القوم والأعيــان ثم بعد الساعة الثانية من ليلة العاشر من محرم يتهيأون فى صورة موكب يحضره كبيرهم وصفيهم ويصطفون صفوفا وبأيديهم السيوف وبين صفوفهم شاب على حصــان ملبســه كحليهم البيض فينظمون أو يمشــون نحو المشهد الحسينى وهم يصيحون حسين حسين ويبكون بحزن ويضربون جباههم وصــدورهم بما فى أيديهم من الســلاح والدم يسيل على ملابسهم ومتى كانوا عند المشهد الحسينى وقفوا برهة ثم يعودون من طرق أخرى على الصورة التى ذكرت (٥٩) •

وبعد ذلك كان ما يفعلوا أهل الشيعة فى تلك المناسبة أما عادات بقية أهالى القاهرة فى ذلك اليــــوم تتمثل فى الاكثار من اخراج صدقة تسمى العشرة وتقدم الى الأطفــال والفقراء الذين يكثر عددهم فى ذلك اليوم ويكونون جماعات تسير فى الشوارع وتقف أمام البيوت لتردد بعض الأناشيد والأدعية لغرض أخذ صدقة العشرة • كذلك يعمل بهذه المناسبة طبق من الحلوى يصنع من القمح والأرز المطبوخ والمحلى بالعسل والنقل •• ومكان الاحتفال الرئيسى يكون المشهد الحسينى وما جاوره من شوارع بحيث تكثر مواكب الدراويش وحلقات الذكر التى تعقد بالمسجد ويزدحم الناس من الرجال والنساء داخل المشهد (٦٠) •

---

(٥٨) الأمين عوض الله ـ الحياة الاجتماعية فى العصر الفاطمى جدة ١٩٧٩ ص ٣٠ •

(٥٩) على مبارك الخطط التوفيقية جـ ١ ص ٩١ •

(٦٠) أ• وليم لين ـ نفس المرجع ـ ص ٣٦١ و ٣٦٤ •

(ب) ليلة المعراج ٢٧ رجب :

ويحتفل بها بمناسبة اسراء ومعراج الرسول عليه الصلاة والسلام وبهذه المناسبة يصدر اعلام شريف يصدر من مجلس الشريعة الغراء بمحكمة مصر الكبرى مضمونه انه قد ثبت وسجل عن رجب الفرد فى سنة ١٢٦١ من هجرة سيد البشر وسيد المحشر صلى الله عليه وسلم ما طلعت الشمس والقمر وعلى حسب ذلك صار ليلة السابع والعشرين ليلة الجمعة الآتية بعد تاريخه وهى ليلة المعراج سيدنا ومولانا النبى المصطفى والرسول المرتضى صلى الله عليه وسلم بعدد من صمت وتكلم ان العادة القديمة يقرأ ولادته ومنقبات حياته الشريفة ببيت نقيب السادة الأشراف هو الفاصل الكامل السيد/ محمد أفندى البكرى من سلال الخليفة الأول حضرة أبو بكر الصديق رضى الله عنه بجمع العلماء الاعلام والسادة الكرام وغيرهم من أحب احياء هذه الليلة لازم الاعلام بابقاء القناديل بالمنارات وكل عام وأنتم بخير (٦١) •

وقد تعود الأهالى فى القاهرة الاحتفال ثلاثة أيام بتلك المناسبة ومكان الاحتفال الرئيسى يقع فى جانب من ضاحية القاهرة الشمالية خارج باب العدوى ويشاهد فى هذا الاحتفال ما اعتاد عمله فى مثل تلك المناسبات من مواكب دراويش وحواه وبائعى حلوى وتعمل أيضا الدوسة فى ذلك اليوم (٦٢) •

(ج) ليلة النصف من شعبان :

١٥ شعبان يحتفل الأهالى بهذه الليلة باعتبارها وقت تثبيت مصير الانسان فى العام التالى ويعتقد الأهالى أن هناك شجرة فى الجنة تسمى شجرة المنتهى تحمل أوراق بعدد البشر الأحياء كل ورقة تحمل اسم شخص واحد وتهز الشجرة فى ليلة النصف من شعبان بعد الغروب ومن كان مقدرا له الموت خلال العام القادم تسقط ورقته ولذلك فان الناس يجتمعون فى تلك الليلة بالمساجد ليؤدوا الصلاة ويرددوا بعض الأدعية الخاصة بتلك المناسبة (٦٣) وتسجل تلك الليلة فى محكمة الديوان العالى بقرار من مجلس الشريعة الغراء كما هو الحال فى بقية المناسبات الدينية •

---

(٦١) سجلات المحكمة الشرعية ـ محكمة الديوان العالى مسلسل ٨ مادة ٥٢ رجب ١٢٦١ هـ •

(٦٢) ١٠ وليم لين ـ نفس المرجع ـ ص ٣٩٤ •

(٦٣) ١٠ وليم لين ـ نفس المرجع ـ ص ٣٩٨/٣٩٧ •

الأعياد الدورية العامة غير الدينية

١ ـ شم النسيم :

ظل شم النسيم عيدا للطبيعة والربيع قائما من عهد الفراعنة حتى اليوم ولم تفض عليه الأديان التى اعتنقها المصريون من مسيحية واسلام بل أصبح عبدا قوميا يحتفل به المصريون على اختلاف أديانهم فيخرجون كما اعتاد أجدادهم المصريون القدماء الى الحقول والحدائق يلهون ويمرحون ويأكلون البيض والفسيخ والبصل والخس والملانة ويركبون القوارب على صفحة النيل انه العيد الذى أوحت به طبيعة بلادنا الزراعية (٦٤) ٠

يحتفل بشم النسيم فى اليوم الأول للخماسين فيقوم المصريون مبكرين فى هذا اليوم فيكسرون بصلة ويشمونها ٠

٢ ـ ليلة النقطة :

كان المصريون يقيمون للنيل أعيادا يسودها المرح والسرور ومن هذه الأعياد ما يسمى (ليلة الدموع) التى نقع فى شهر يونيو من كل عام وكان المصريون القدماء ينسبون حدوث الفيضان الى بكاء الآلهة ايزيس حزنا على مصرع زوجها الاله أوزيريس فاستبدت بها الأحزان وبكت بالدموع المدرارة وكلما هطلت الدموع من عينيها غزيرة تساقطت فى النهر ومزجت بمياهه فيحدث الفيضان وقد ظلت هذه العقيدة سائدة فى مصر حتى عهد قريب اذ كان يقام فى ١١ بؤونة ويوافق ١٧ يونيو أحيانا و١٨ يونيو أحيانا أخرى ٠٠ حفل شعبى يسمى (ليلة النقطة) وكان المصريون القدماء يعتقدون انه اذا لم تقم الحفلات الرائعة بوفاء النيل فى حينها فان النيل يمتنع عن الزيادة ولا يغمر الأراضى (٦٥) ٠

(٦٤) وليم نظير ـ العادات المصرية بن الأمس واليوم دار الكتاب العربى سنة ١٩٦٧ ص ٥٦ ٠

(٦٥) وليم نظير ـ نفس المرجع ـ ص ٤٧ ٠

ويقضى سكان القاهرة تلك الليلة على ضفاف النيل أو فى زيارة الأصدقاء أو فى الهواء الطلق ويراعى الكثيرون أيضا وخاصة النساء عادة غريبة فى ليلة النقطة فيصنعون فوق سطح المنزل بعد الغروب عجينا بقدر عدد سكان المنزل فيعمل كل منهم قرصه وفى فجر اليوم التالى ينظرون الى الاقراص يستدلون من تشقق أحدها على أن صاحبه تطول حياته ذلك العام ويستنتج العكس ان لم يكن القرص مشققا ٠

ويقول البعض ان هذه العادة تراعى أيضا لمعرفة ما اذا كان النيل يرتفع فى الموسم التالى ٠

٣ ـ شق الخليج (وفاء النيل) :

يعتبر احتفال شق الخليج من أهم الاحتفالات التى تقام فى القاهرة وليست له صبغة دينية حيث كان الأمراء والحكام والأهالى يحرصون على هذا الاحتفال ٠

وعندما يصل النيل الى ذروة الفيضان تعمل حجة شرعية صادرة من مجلس الشريعة الغراء ويحدد فيها مقدار أرتفاع النيل بالذراع وعلى أساس ذلك تقدر قيمة الضرائب المفروضة على الأرضى الزراعية (٦٦) ثم يطوف المنادون فى شوارع القاهرة وهم يحملون أعلامهم الملونة لاعلان الناس وتبشيرهم (٦٧) ويقام السد قبل ارتفاع النيل أو بعيده ويعبر الخليج على مسافة ١٢٠ مترا من مدخله قنطرة حجرية ذات قوس واحد ويقام السد على بعد ١٨ مترا من القنطرة ومواجها لها ويكون هذا التراب عريض القاعدة ضيق القمة وترتفع قمة السد ما يقرب من ٧ أمتار فوق مستوى النيل عند انخفاضه ولا يعلو مجرى الخليج بكثير ويقام فى مواجهة السد عمود من التراب على شكل مخروط يسمى العروسة ولا يعلو الى مقدار ارتفاع السد وتبذر بعض حبوب الذرة فوق العروسة وفوق السد ويقام بجوار الخليج عدد من الخيام لاستقبال الأهالى وتعمل بعض الألعاب النارية وتقام ليلة فتح الخليج حيث تكثر المراكب فى النيل وهى تحمل الأهالى ومعهم بعض المغنيين والموسيقيين وهناك مركب كبير يسمى العقبة يزين بأجمل الزينات والمصابيح (٦٨) ويحمل مدفعين يقومان باطلاق النار ابتهاجا بتلك المناسبة وفى الصباح قبل الشروق تستمر الاحتفالات

---

(٦٦) سجلات المحكمة الشرعية محكمة الديوان العالى مسلسل ٩ مادة ١٦ ص ٩ ١٢٦٤ هـ/١٨٤٨ م ٠

(٦٧) الجبرتى ـ عجائب الآثار ـ ج ٣ ص ٤٠٧ ٠

(٦٨) يعتقد الأهالى أن مركب العقبة هى التى كانت تحمل العذراء التى تلقى فى النيل بمناسبة وفائه وقد ذكر المقريزى أن عمر بن العاص عندما فتح مصر أبطل هذه العادة ٠

والمراكب التى تمخر صفحـه النيل ثم يقطع السد الترابى بعض العمـال فيندفع الماء الى الخليج ويسبح فى الخليج بعض الرجال والصبيان ومنهم من يغطس بحثا عن النقود وتستمر فرحة الناس طول النهار وعمل الألعاب النارية وعزف الموسيقى عند بركة الأزبكية التى تمتلىء بالماء وتوجد حولها بعض المقاهى يجلس عليها الأهالى للاستمتاع برؤية الماء الجـارى وسماع قصص الرواة والمحدثين(٦٩) ومما يجب ملاحظته أنه عندما دخل الفرنسيون القاهرة امتنع الأهالى عن الاحتفال بوفاء النيل فأمر صارى عسكر بالاستعداد وتزيين العقبة كالعادة وكذلك زينوا عدة مراكب وغلايين ونادوا على الناس بالخروج الى النزهة فى النيـل والمقيـاس والروضة على عادتهم وأرسل صارى عسكر أوراقا للكاتخدة الباشا والقاضى وأرباب الديوان وأصحاب المشورة والمتولين للمناصب وغيرهم بالحضور فى صبحها وحضر بونابرت وعسكره الاحتفال ٠٠٠ أما أهل البلد فلم يخرج منهم أحـد تلك الليلة للتنزه فى المراكب على العادة سوى النصـارى الشوام والقبط والأفرنج نساؤهم وقليل من الناس البطالين حضروا فى صبحها (٧٠) ٠

---

(٦٩) أ٠ وليم لين ـ نفس المرجع ـ ص ٤١٦ ـ ٤٢١ ٠

(٧٠) الجبرتى ـ عجائب الآثار ـ جـ ٢ ص ٢٠٠ ٠

الأعياد الخاصـة

١ ـ الزواج :

كان الزواج حدثا هاما من أحداث المجتمع المصرى كمـا كان شأنه لدى كافة الشعوب والأجناس حتى لقد بلغ من أهميته أن الرجل الأعزب كان محرما عليه السكن بين العائلات والأسر المتزوجة فلا يسكن لذلك غير الخانات والفنادق والوكالات كما كان ينظر الى الرجل الذى يصل لسن الزواج ولم يتزوج أو تكون لديه جـارية بغير احترام (٧١) وكمـا نص الاسلام على امكان الزواج من أربع نساء فى وقت واحد فكذلك صا رهذا التقليد بين المصريين وذلك بالاضافة الى ما ملكت ايمانهم من جوارى وكانت نسبة من لديه زوجتين فى القاهرة لا تزيـد عن ١ ٪ من المتزوجين ومن لديه أكثـــر من زوجتين ٢ كل ٥٠٠ أما من لديه ٤ زوجـات فان ذلك يقتصر فقط على الرجال الأغنياء الذين يمكن لهم أن يجعلوا لكل واحـدة مسكنا مستقلا (٧٢) وكانت بعض فتيات العائلات الكريمة تشترط كل واحدة منهن أن تكون الزوجـة الوحيـدة لزوجهـا وكذلك كان قليل من الآباء من الطبقـــة الوسطى أو الطبقـات العالية هم الذين يقبلون اعطاء بناتهن الى رجل عرف عنه أنه قد طلق عدة مرات (٧٣) ٠

أما عن شروط اختيار الزوجة فانه يفضل الفتيات صغيرات السن فمتوسط سن زواجهن يتراوح بين ١٢ ـ ١٤ سنة ونادرا ما تجد فتـاة تتزوج بعد سن العشرين (٧٤) كذلك تفضل الجميلات حيث أنه كان يمنع الرجل من مشاهدة الفتاة فيعمد الى أمه أو احدى قريباته والخاطبة أحيانا لكى تقوم بمشاهدة الفتاة ثم توصف له وصفا دقيقا وأحيانا ما تستخدم

(٧١) جيرار دى نيرفال ـ نفس المرجع ـ جـ ١ ص ١٣٦ ٠

(٧٢) Lewis op. cit., p. 114.

(٧٣) جيرار دى نيرفال ـ نفس المرجع ـ جـ ٢ ص ٢٧٩ ، جـ ٣ ص ٢٤١ ٠

(٧٤) محمد فؤاد شكرى ـ بنـــاء دولة مصر محمد على ص ٣٨٤ ـ نقلا عن تقرير بورنج ١٨٣٧ ٠

الحمامات العامة لهذا الغرض حيث تتمكن الأم من رؤية عدد كبير من الفتيات واختيار أفضلهن (٧٥) ٠

كذلك يراعى عند اختيار الزوجة أن تكون ذات أخلاق حميدة وسمعة طيبة (٧٦) كما يفضل أن تكون من نفس المستوى الاجتماعى أو ابنة أحد أصدقائه فى الحرفة (٧٧) ٠٠ وبصفة عامة كانت المرأة القاهرية لاتفضل الزواج من أحد الأتراك حتى ولو كان يتمتع بثروة كبيرة ٠

وكان من نتيجة مشروعات محمد على فى مجال التعليم وارسال البعثات التعليمية الى الخارج وجلب الأوروبين الى مصر للاستفادة منهم أن وجدنا أن هناك اتجاها جديدا بدأ يظهر فى الزواج فقد تزوج بعض الموظفين الأتراك من انجليزيات وكبير مهندسى بنساء السفن فى الترسانة وهو تركى يدعى محمد بك متزوج من سيدة انجليزية انجبت له أربعة أطفال ويعيش موظف أخرمع زوجة انجليزية له منها طفلان ومنذ حوالى ثلاث سنوات قام القنصل البريطانى فى الاسكندرية باجراء مراسم الزواج بين سيدة انجليزية وأحد أبناء العرب وهو متعلم وملحق بخدمة الباشا وهؤلاء الرجال يسيرون علنا وهم يتأبطون أذرع زوجاتهم ويعاملون اولئك الزوجات معاملة طيبة (٧٨) ٠

أما خطوات الزواج ٠٠ فتبدأ أم الراغب فى الزواج أو احدى قريباته بوصف الفتاة التى تكون عرفتها وتذكر أحوالها وترشده فى اختياره وقد يستخدم خاطبة وعندما تشرع المرأة فى الزواج تعين وكيلا ينوب عنها فى عقد العقد وهذا التوكيل واجب اذا كانت الفتاة قاصرة أما اذا كانت بالغة فتعين هى وكيلها أو تعقد الزواج بنفسها وذلك نادرا٠

أما من ناحية المهر فان الذى يحدد قيمته هو الوضع الاجتماعى للبنت ودرجة جمالها ونحن نادرا ما نجد زواجا يتم بين شخصين ينتميان الى وضعين اجتماعيين مختلفين وعادة ما يدفع نصف المهر مقدما فى الحال لوالد البنت أما النصف الأخر فيدفع عند الطلاق أو الوفاة وفى حالة اذا ما طلبت الزوجة الطلاق فان حقها فى النصف الأخر المؤخر يسقط (٧٩) وتبلغ قيمة المهر فى الأسر المتوسطة الحال من ألف الى

(٧٥) ١٠ وليم لين ـ نفس المرجع ـ ص ٤٢٣ ٠

(٧٦) كلوت بك ـ نفس المرجع ـ جـ ١ ص ٦٣٥ ٠

(٧٧) Lewis op. cit., p. 107.

(٧٨) محمد فؤاد شكرى ـ بناء دولة مصر محمد على ـ ص ٧٩٧ نقلا عن تقرير كامبل ١٨٤٠ م ٠

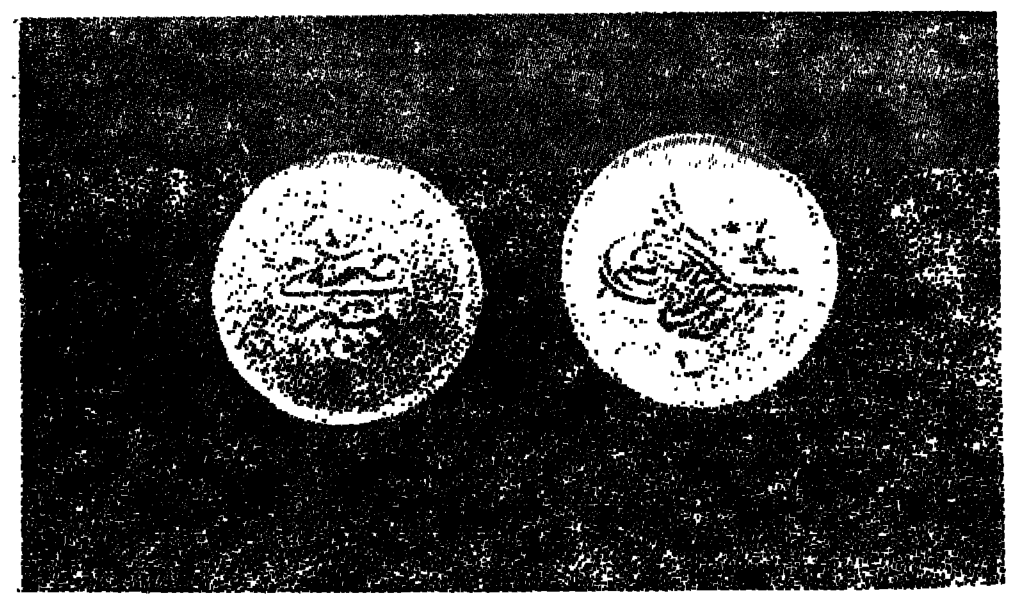
(٧٩) Lewis op. cit., p. 109.

ألفى قرش أما الأغنياء فيقدرون المهر بالأكياس (الكيس يساوى ٥٠٠ قرش) ويبلغ عندهم عشرة أكياس أو أكثر (٨٠) أما الأسر الصغيرة فيسحب عندهم المهر بالبارات وقد يكون ١٨٠ بارة (٨١) (القرش ٤٠ بارة) ٠

اما عن حفلة الزواج فتتم على الصورة الآتية :

اولا : عقد القران :

في حالة الأسر الفقيرة فان منزل أو بيت الزواج يزين بالأعلام والمصابيح قبل الزفاف بستة أيام والمصابيح تكون معلقة على أحبال تمتد بعرض الشارع أما الأثرياء فيحتفلون قبل الزواج بثمانية أيام ويقيمون موائد للطعام طوال هذه الأيام ٠٠ ويتم عقد القران بأن يجلس العريس أمام وكيل العروس متصافحى الأيدى على أن يتقابل ابهمهما ويضع فوق أيديهما منديل ويجلس امامهما المأذون وسط دائرة من الأصدقاء ويتم الآتى ٠٠ ترديدا لكلام المأذون والد العروس ٠٠ زوجتك ابنتى فلانة البكر البالغ الرشيد على سنة الله ورسوله عليه الصلاة والسلام ٠



عملة مصرية في عهد محمد على

(٨٠) كلوت بك ـ المرجع السابق جـ ٢ ص ٦٣٧ ٠

(٨١) علماء الحملة الفرنسية ـ وصف مصر جـ ١ ص ٧٩ ٠

العريس ... نعم قبلتها يرد والد العروس الله يبارك لك فيهـا يرد المأذون ... مبروك ان شاء الله .. وبعـد ذلك يتبادل الحاضرون السلام باليد والتهانى ويلاحظ أنه قلما تكتب أى وثيقة أو عقـد زواج الا فى حالة ما اذا كان الزوجان سيسافران فتكتب وثيقـة تحمل معهما ثم يحدد موعد الزفاف الذى يكون فى الغالب بعد أسبوع (٨٢) وفى تلك الفترة يشغل أهل العروس باعداد الجهاز الذى يكون فى العادة مكون من ديوان وحصـير وسـجاد وسرير وأدوات المطبخ ثم يرسل الى منزل العريس على ظهور الجمال وكثيرا ما تشمل الجهاز كرسى العمامة وهو كبير الحجم بسيط الصنعة اذ يصنع أسفله وظهره من الغاب وهو لا يستعمل للجلوس أبدا وقد تكون له مظلة وتوضع العمامة عليه (٨٣) ..

ثانيا : زفة الحمام :

وهى تقام فى اليوم السابق لليلـة الزفاف فيتقدم الزفة فرقـة تتكون من مزمار أو مزمارين وطبول مختلفة الأنواع .. وقد يتقدم حاشية العرس رجـلان يحملان الأوانى والملابس التى تستعمل فى الحمـام على صينيتين مسـتديرتين تغطيـان بنسيج من الحرير المطرز وتكون حاشية العرس من صـديقاتها وقريبـاتها المتزوجات يتقدمن اثنتين وتلبس المتزوجات الملابس العادية ويتدثرن بالحبرة السوداء أما الأخريات فيلبسن الحبرة الحريرية البيضـاء ثم تتبعهن العروس تحت مظلة حريرية ذات ألوان زاهية ويحمل المظلة ٤ رجال بشال حرير أحمر فى الغالب ويرافقها تحت المظلة اثنتـان أو ثلاثة من قريباتها وأحيـانا تستخدم المظلة لزفة عروسين ثم يأتى خلف المظلة فرقة موسيقيـة أخرى مثـل الأولى ويسير الموكب ببطء فى شوارع كثيرة ثم يصل الى الحمام الذى يستؤجر بالكامل احيانا للعروس وأهلها وتقضى العروس والأهل والأصدقاء فى الحمـام ساعة أو ساعتين وكثيرا ما تسـتأجر العوالم لتسليتهن فى الحمـام ثم تعود الزفة بالنظام نفسه الى منزل أهلها وتتناول الطعام مع صديقاتهـا وتستمر ممارسة اللهو بصحبة الراقصات (٨٤) .

وفى نفس اليوم التى تذهب العروس فيه الحمام يذهب العريس أيضا مع أصدقائه الى الحمام فى موكب يماثل موكب العروس (٨٥) .

---

(٨٢) Lewis, op. cit., p. 115.

(٨٣) أ. وليم لين ـ نفس المرجع ص ١٤٦ .

(٨٤) أ. وليم لين .. نفس المرجع ـ ص ١٥٠ .

(٨٥) كلوت بك ـ نفس المرجع ـ حـ ٢ ص ٦٤ ـ ٦٦ .

ثالثا : ليلة الحناء :

وتتم فى الليلة السابقة لليلة الزفاف .. وفيهــا تعجن بعض الحناء وتضع العروس قطعة من العجين فى يدها ثم تتنــاول النقوط ... من ضيفاتها فتلصق كل منهن قطعة من النقود الذهبية عادة فى تلك العجينة حتى لا يبقين موضع فيها فتقشطها العروس حينئذ بعيــدا عن يدها على حافة وعاء مملوء بماء ثم تضيف الحناء الى يديها وقدميها وتربطهما بالكتان حتى الصباح فتصطبغ بلون أحمر برتقالى قان وتستعمل المدعوات ما نبقى من الحناء لصبغ ايديهن (٨٦) .

رابعا : ليلة الزفاف ـ تسير العروس فى موكب مماثل لزفة الحمام حيث تصحبها الموسيقى والغنــاء والأهل والصديقات وتسير فى الشوارع وتستمر الزفة ٦ ساعات أو أكثر ثم تصل الى بيت العريس وتقام للعروس ورفيقاتها الأدبة وسرعان ما تنصرف الصديقات وتبقى أم العروس وأختها وحدهما معا أو احدى قريباتهــا الأخريات وامرأة أخرى تكون البلانة عادة ... عادة ويبقى العريس فى الدور الأسفل ويذهب قبل الغروب الى الحمام فيغير ملابسه وقد يغيرهــا فى المنزل وبعد أن يتناول وجبــة العشاء مع بعض أصدقائه ينتظر قليلا الى قبيل الصلاة ثم يذهب حينئذ حسب العادة الشائعة الى أحد المساجد المشهورة مثــل (مسجد الحسين) لأقامة الصلاة وتقام له بهذه المناسبة زفة اذا كان شابا فيتوجه الى المسجد مســبوقا بفرقة من طبــالين وزمارين وبصحبته بعض أصدقائه وحاملى المشاعل وتسير الجماعة الى المسجد عادة بخطى سريعة ونظام قابل وتختم الزفة فرقة موسيقية (٧٨) .

وهنــاك عادة جديرة بالملاحظة وهى أن العريس عنــدما يدخل على عروسه فانه يعطيها بعض النقود تسمى حق كشف الوجه وذلك قبل ان يزيح الغطاء عن وجهها .. وفى حالة الأغنياء يكون هذا بالعملة الذهبية وفى حالة الفقراء يصل حق كشف الوجه هذا الى قرش واحد أو حتى الى عدة بارات وبعد ذلك تغلق الحجرة على الزوجين وخارج الباب تقف عدة نساء وهن يمسكن طبول يدق عليها بشدة وهن يغنين وذلك لمنع سماع الكلام أو المحادثة التى تتم بين العروســين .. وتتم عمليــة الدخول كالآتى :

كثير من الناس تستغنى فى ذلك الوقت عن وطية البنت فيدخلوا بأصبعهم والعامة يستعملوا أيضــا مفتاح خشب وهم يعيبوا من لا يفعل

---

(٨٦) أ. وليم لين ـ نفس المرجع ـ ص ١٥٠ انظر أيضا سعد الخادم : تاريخ الأزياء الشعبية فى مصر ص ٤٤ .

(٨٧) Lewis - op. cit., p. 115.

ذلك وعندما تم عملية الدخلة يردد الأقارب فى الخــارج : نصر من الله وفتح قريب وفى ليلة الصباحية يذهب أقارب العروسين لكى يحملوا منديل الدخلة ويمر به على الأقارب وعند علية القوم نجد انهم يستنكرون مثـل هذه الأحداث ولا يسمحون بها (٨٨) ٠

رابعا :

يوم الهروبة ٠٠٠ وهو اليوم التــالى للزفاف حيث يصحب بعض الأصدقاء الزوج الى مكان بعيد عن المنزل حيث يقضى طوال اليوم معهم فى المزارع والحقول للتنزه وتناول الطعام ثم يعود فى المساء الى منزله(٨٩) ٠

وفى اليوم السابع (يوم السبوع) التالى للزواج تستقبل الزوجة قريباتها وصديقاتها فى الصباح وبعد الظهر ويستقبـل الزوج أحيانـا أصدقاءه فى المساء فيقيم خاتمة وذكرا وجرت العـادة فى مصر ان يحرم الأزواج أنفسهم حقوقهم الزوجية فى الأسبوع الأول من زواجهم وينهون فترة الابتهاج بالعرس وفى يـوم الأربعين بعد الزواج تذهب الزوجة مع جمع من صديقاتها الى الحمـام ويعدن جميعا الى منزلها فى العصر تقريبا حيث يتناولن الطعام وينصرفن وقد يستقبل الزوج أيضا الزائرين عصر ذلك اليوم ويقيم مرة أخرى خاتمة أو ذكرا (٩٠) ٠

تلك كانت أهمية الزواج فى مجتمع القاهرة والشروط المتبعة فى اختيار الزوجة والخطوات ومراســم الاحتفال بالزواج وهى تكون أكثـر بهجة وأكثر روعة وذلك عندما يكون الزوجين من الأسر الثرية ٠٠٠ وقد أورد الجبرتى بعض مظاهر الاحتفال بزواج اسماعيل باشا بن محمد على باشا ومحمد بك الدفتردار على ابنة الباشا واتفقوا على أن تكون نصـبة الفرح ببركة الأزبكية تجاه بيت حريم الباشا وطاهر باشا وتعمل الولائم واجتماع المدعوين ببيت طاهـر باشا والمطبخ بخرائب بيت الصـــابونجى وأرسلوا أوراق التنابية للمدعويين على طبقات الناس بالترتيب ونصبوا بوسط البركة عدة صوارى لأجل الوقدات والقناديل التى تعمل عليها التصاوير من القناديل فيرى من البعد صــورة مركب أو سبعين متقابلين أو شجرة أو محمل على جمل أو كتابة مثل ما شاء الله ونحو ذلك وصفوا بوسط البركة عدة مدافع صـفين متقابلين ونصب بهلوان الحبال حبله واجتمع بالأزبكية أرباب أصناف الملاعيب والحواة والقرداتية والرقاصين

---

(٨٨) Bort Lett. op. cit., p. 66.

(٨٩) جيراروى نبولفال ٠٠ نفس المرجع جـ ٣ ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥ ٠

(٩٠) ٠أ وليم لن ٠٠ نفس المرجع ٠٠ ص ٣٢٦ ٠

وأقبلت من كل ناحية أصناف الناس رجالا ونساءا وأقارب وأباعد وأكابر واصاغر وعساكر وفلاحون ويهود ونصارى واورام ، لاجل التفرج حتى ازدحمت الطرق الموصلة الى الأزبكية من جميع النواحى باصناف الناس الذاهبين والراجعين ونبه على أصحاب الحرف والصنائع بعمل عربات مشكلة وممثلة بحرفتهم وصنائعهم ليمشوا فى زفة العروس وتتسابق أربعة عربات مخصصة للعروس وكان فى أول الزفة طائفة من العسكر الدلاة ثم والى الشرطة ثم المحتسب ثم موكب البنجركية وبعدهم المساخر والنقاقير وعدتها عشرة نقاقير وعلى كل نقارة تفصيلية ثم العربات المذكورة وسار فى الزفة أيضا بعض أعضاء طوائف التجار بالقاهرة وسارت الزفة فى الشوارع التى اجتمع فيها خلائق كثيرة واكترى الناس الأماكن المطلة على الشارع والحوانيت باغلى الأثمان وقبل مرور موكب الزفة بيومين طاف أصحاب الشرطة ومعهم رجال وبأيديهم مقياس فكلما مروا بناحية أو طريق يضيق عن القياس هدموا ماعارضهم من مساطب الدكاكين أو غيرها من الجهتين لاتساع الطريق لمرور العربات والملاعيب وغيرها فأتلفوا كثيرا من الأبنية ونودى فى يوم الأربعاء بزينة الحوانيت والطرق التى تمر عليها الزفة بالعروس (٩١) ٠

وبعد ذلك ما ذكره الجبرتى عن الاحتفال بزواج ابنة محمد على الذى يعد بحق احتفال ومهرجان رسمى وشعبى شامل عم القاهرة باجمعها وشارك فيه الأهالى وأرباب الصنائع والحرف المختلفة وهو احتفال لم تشهد القاهرة مثلة حتى فى الأعياد العامة الدورية ٠

الاحتفال بمولد طفل :

يعد مقدم طفل جديد من الأحداث الهامة فى الأسرة المصرية خاصة اذا كان ذكرا ٠٠ لذا يقام احتفال بتلك المناسبة فتحمل الداية قبل الوقت المنتظر للولادة بيومين أو ثلاثة أيام أو أكثر الى منزل المرأة المحتاجة الى مساعدتها كرسى الولادة وهو كرسى ذو شكل خاص تجلس عليه المرأة أثناء الولادة ويغطى هذا الكرسى بشال أو منشفة مطرزة وينثر بعض زهر الحناء أو الورود بمنديل مطرز الى كل من زاويتى الظهر العلويتين ويحمل الكرسى (وتمتلكه الداية) وهو مزين هكذا أمامها الى المنزل وفى منازل الأثرياء وميسورى الحال تنتقل الوالدة بعد الولادة الى السرير حيث تبقى عادة من ثلاثة أيام الى ستة غير أن النساء الفقيرات قلما يسترحن فى مثل هذه الحالة فيقمن الى أشغالهن اليومية وفى صباح اليوم التالى ترقص أمام المنزل أو فى فنائه راقصتان أو غازيتان (٩٢) ٠

(٩١) الجبرتى ـ عجائب الآثار ـ جـ ٣ ص ٣٣٩ ـ ٤٤٥ محرم ١٢٢٩ هـ/١٨١٣ م ٠
(٩٢) ٠أ٠ وليم لين ـ نفس المرجع ـ ص ٤٢٦ ٠

وبعد مولد الطفل بثلاثة أو أربعة أيام تعد نساء البيت ألوانا من الطعام يتكون من العسل والسمن وزيت السمسم والعصارة والعطور يضاف الى ذلك أحيانا البندق والحمص هذا اذا كانت النفساء تنتمى الى احدى الطبقات الراقية أو الميسورة ثم تقوم النساء أو الفتيات بزفة الطفل فى الحريم كله وتحمل كل منهن شموعا مشتعلة ذات ألوان مختلفة ثم توضع هذه الشموع بعد تقسيمها الى نصفين فى كتل يابسة من عجينة الحناء .ويوضع كثير منها على صحفة كبيرة وترش القابلة أو غيرها من السيدات الحاضرات الملح المختلط بحبة البركة على الأرض ويوضع هذا الخليط على رأس هذا الطفل فى الليلة البارحة لحمايته من الأرواح الشريرة وتقول المرأة التى تتولى نثر هذا الملح ـ ملحة فى عين الذى لا يصلى على النبى أو ملحة فى عين الحسود وترد عليها جميع النساء الحاضرات قائلات اللهم صلى على سيدنا محمد وتقدم النساء عادة فى هذه المناسبة منديلا مطرزا يعقد أحد أطرافه على قطعة ذهبية ... ويوضع هذا المنديل عادة على رأس الطفل أو بجواره وتعتبر هدية المنديل دينا مكتوبا لا بد من رده فى مثل هذه المناسبة أو يستخدم فى رد هدية قدمت فى مناسبة مماثلة وتستخدم النقود الذهبية التى تجمع بهذه الطريقة فى تربية شعر الطفل لسنوات عديدة وبخلاف هذا الكرم الوفير يجزل العطاء كذلك للقابلة (٩٣) .

وفى اليوم السابع لمولد الطفل يجمع الوالدة صديقاتها وتمضى اليوم كله فى لهو ومرح وتقضى الفترة بين الوجبتين فى غناء ورقص تقوم بهما العوالم وبعد الغذاء يتم السبوع وهو عبارة عن نزهة فى كل حجرات مسكن الحريم وتمشى واحدة من الخادمات الرئيسات على رأس الاحتفال حاملة صينية من النحاس وضع فوقها وبشكل دائرى عدد من الشموع يعادل عدد النساء اللاتى يشاركن فى هذا الاحتفال وعلى جانبيها خادمتان تحمل صغراها وقدا من النحاس الأصفر وتحمل الأخرى طبقا يحتوى على حبوب شعير وقمح وعدس وفول وأرز وملح بحرى وبخور أى سبعة أصناف بعدد الأيام التى انقضت منذ مولد الطفل وتمشى الأم بعد ذلك تحيط بها العوالم وأقرب صديقاتها اليها وتشكل الزوجات الأخريات أخر مجموعة فى الموكب وفى أثناء السير تعزف موسيقى صاخبة للغاية وفى كل مرة يدخل فيها الموكب حجرة من حجرات الحريم تأخذ القابلة حفنة من الحبوب والبخور بيمناها وتلقى بجزء منه فى الحجرة ويرد عليها بزغاريد طويلة جدا ويصبح ايقاع الموسيقى أسرع وأكثر صخبا وتحاول النساء السير فوق الحب المنتشر فى كل مكان وعند العودة الى حجرة الحريم الرئيسية

---

(٩٣) جيرار ـ نفس المرجع ـ ج ٣ ص ٢٥٠ .

توضع صنيـة الشموع على كرسى بدون مسنـد موضوع وسط الحجرة وتأتى كل واحدة من المشتركات لتضع قبضة من البارات وترتمى الفتيات الصغيرات والخادمات على الشموع تتنازعن عليها وبعد ذلك تحمل القابلة الصينية وتحصى دخلهـا من النقود التى تجـدها عليها والتى ألقيت هناك من أجلها وينتهى الحفل بزيارة للطفل وتزيـين رأسه بقطـع من النقود الذهبية التى تقدم له كهدية أو توضع فى مناديل غالية تحت رأسه ٠

الختان (٩٤) :

لقد اعتاد أهالى القاهرة أقامـة موكب وزفة بمناسبة ختـان أحد الأطفال وهى تماثل موكب زفاف العروس ولكنها أقل زينة وبهجة وأحيانا ما يجمع زفة العروس وزفة الختان أحد الأطفال من أقرباء العروس موكبا واحـدا فمفى موكب زفة الختان نجد فيه الموسيقى والراقصين أو الغوازى يمتطى الطفل صهوة الحصان وهو يرتدى ملابس بيضاء اللون وفى أغلب الأحيان يرتدى الطفل ملابس نسائية ولكنه يضع فوق رأسه عمامة رجل كبير وفى البيت يقوم المزين باجـــراء عملية الختان ويتلقى أجره وبعض الهدايا والهبات من المدعوين (٩٥) ٠

وتكون الزفة أكبر أبهة فى حالة الأسر الميسورة ففى حفل ختان ابن بنت الشيخ عمر مكرم دعا الباشا محمد على والأعيـان الذين قاموا بارسال الهدايا اليه وفى الزفة مشى أرباب الحرف والعربات والملاعيب وجمعيات وعصب صعايدة وخلافهم من أهالى بولاق والكفور والحسينية وغيرها من الأصناف وطبول وزمور وجموع كثيرة فكان يوما مشهودا اكترت فيه الأماكن للفرجة (٩٦) ٠

وفى حالة ختان عباس بن محمد على باشا عملت زفة ونزلوا به من القلعة على الدرب الأحمر على باب الخلق الى القصر وختنوه فى ذلك اليوم امتـــلأ طشت المزين الذى ختنه بالدنانير من نقوط الأكابر والأعيــــان وخلعـوا عليه فـروة وشـــال كشميرى وأنعموا على باقى المزينين بثلاثين كيسا وفى تلك المناسبة تم ختان أربعمائة غلام وكسوتهم (٩٧) ٠

---

(٩٤) يذكر هيردوت ان الدين راولوا الختان منذ اقدم العصور هم المصريون والأشوريون والأحباش أما غيرهم من الشعوب فقد عرفوه من المصريين وكانت عملية الختان تجرى للأولاد وغالبا بين سن السادسة والثانية عشرة فى المعابد ومع ذلك فانها لم تكن فرضا على الشعب كما صارت فيما بعد عند اليهود أو سنة عند المسلمين ٠٠٠ وليم نظير ٠٠ نفس المرجع) ٠ ص ١١ ٠

(٩٥) خيرار ـ نفس المرجع ج ٢ ص ٣٣٠ ـ ٣٣٢ ٠

(٩٦) الجبرتى ـ عجائب الآثار ـ ح ٣ ص ٢٥٨ ربيع الأول ٢٢٤ هـ/١٨٠٨ م ٠

(٩٧) الجبرتى ـ عجائب الآثار ـ ح ٣ ص ٦١٣ شوال ١٢٣٥ هـ / ١٨١٩ م ٠

وقد وصف لين طريقــة أخــرى للاحتفال بالختان يتبعها بعض المتعلمين والعلماء وبعض الأغنيــاء فى القاهرة حيث يذهب زملاء المطاهر الى أحد المساجد الرئيسية بالقاهرة وهم يرتدون أحسن الثياب ويذهب أيضــا الى هنــاك رجال العائلة والأصدقاء والمطاهر والمزين ويمكثون فى المسجـد الى ما بعد صـلاة الظهر ثم يعود الموكـب ويردد الأولاد بعض الأناشيد والأغانى ويحمل ثلاثة منهم ثلاثة قماقم فضية مملوءة بماء الورد أو الزهر يرشونه أحيانا على المشاهدين وبعض الصبية يحملون المبــاخر الفضية ويسير مع الموكب أحد السقائين يحمل قربة ويقوم بتوزيع المــاء على الناس ويسير المطاهر بين اثنين من الأولاد وهو يرتدى ملابس الأنثى عدا العمامــة ويضع منديــل على وجهــه وفى الخلف باقى النساء اللائى يزغردن ويصــل الموكب الى المنزل وتصعد النســاء الى أعلى أما الرجال والأولاد فيكونوا فى الدور الأسفل وتردد الأناشيد والأغانى طوال الوقت ويتناول النساء العشاء وكذلك الرجال والأولاد ثم ينصرف الجميع عدا أهل المطاهر والمزين الذى يقوم باجراء عملية الختان للولد ويسمى هذا الحفل بحفل الصرافة وبعد أسبوع يعود المزين لكى يأخذ الولد الى أحد الحمامات (٩٨) ٠

وقد أهتم محمد على باشا بختان التلاميذ فى المدارس وكان يشرف بنفسه على ذلك كما أمر بأن تجرى عملية الختان للتلاميذ على نفقة الميرى وأن يصرف لهم طعام خاص يحتوى على أرز ولحم ضــأن أكثر من غــيرهم وان يعمل طبل وزمر لتفريحهم (٩٩) ٠

الــزار :

الزار تقليــد قديم وهو أحــدى الوسائل الشعبية لعلاج نوع من الأمراض ولا سيما النفسى والعصبى منها وبصرف النظر عن النتائج التى يأتى بها الزار وأساسها العلمى أو الخرافى فهناك أمر لا شك فيه هو أن هذا التقليد مرتبط بزى خاص وتستخدم دقات طبول سريعة فى الزار ورقصات الكوديــة ويشترك المريض فى جو صاخب يبعث على التشنج وينتهى بأن يركب المريض خروف ويطوف به فى مكان الزار ثم يذبـح الخروف ويشرب من دمه وتلطخ ثيابه البيضــاء بالدم (١٠٠) واذا كان

(٩٨) أ٠ وليم لين نفس المرجع — ص ٤٢٨ و ٤٣١ ٠

(٩٩) دار الوثائق بالقلعة ٠٠ دفتر ٤٠ معية تركى وثيقة ٦٥ فى ١٤ ذى القعدة سنة ١٢٥٠ هـ ٠

انظر أيضا محفظة ٤٩ دفتر ١٣ جزء ٦ مكاتبة رقم (١١٠) ص ٢٧٧ بتاريخ ٢٣ رجب ١٢٦١ هـ ٠

(١٠٠) سعد الخادم — نفس المرجع — ص ٥٣ ٠

المريض امرأة لطخت طرحتهـا وجلبابها ببقع الدم . وهنـاك وصف آخر للزار « تسمى شيخة الزار الكدية فتقوم الكدية وتضع كرسيا فى وسط المجلس عليه صـاحبة المنزل التى أقيم لها الزار وتضـر فرختين وديكا وتبسط أرجلها ثم نضع الديك على رأسها والفرختين على أكتافها ثم تتلو قراءات معهودة وتنشد أناشيد والفراخ تقابل نشيدها بالزعيق وجميـع الحاضرات تقلن دستور يا أسيادى مدد يا أهل أسيادى والكدية وأعوانها يضربن بالدف وينشدن الأناشيد على نغمات مختلفة ثم يقتربن من صاحبة المنزل ويسرعن فى الدق وصاحبة المنزل هذه تركع أمام الضاربـات ثم تجىء احـداهن ومعهـا ملابس الأسياد وهى عبـاءة مزركشة بالقصب وطربوش مكلل باللؤلؤ وسيف وخنجر ملبسان بالفضة فتتقلد السيف وتمسك الخنجر بيـدها وتقف متمايلة أمام ذلك الجمع والآلات تضرب والأناشيد ثم تقف صاحبة المنزل وتقول : السلام عليكم فيقال لها أهلا وسهلا من أنت تقول هى : أنا الشيخ عبد السلام مثلا فتضرب حين ذلك على الدف نغمات نسمى الشيخ عبد السلام فترقص صاحبة المنزل رقصا عجيبـا يناسب الشيخ عبـد السلام حتى اذا فرغ الدور قامت الكديـة وكبست صـاحبة المنزل فينصرف الشيخ عبد السـلام الى حاله ثم تدعى صاحبة المنزل أنه قد لبسها زوجة الشيخ عبد السلام فتقول بصوت رفيع السلام عليكن يا ستات فيحضرن لها ملابس نسائية تناسب زوجة الشيخ عبد السلام كل بدلة من الحرير ولها لون خاص وخواتم وخلاخيل واسوار ثم يضربن لها الضربات التى تناسب زوجة الشيخ عبد السلام وكل ذلك وهم فى وهم (١٠١) .

المآتم والأحزان :

يحترم المسلمون موتاهم ويعظمون سيرتهم ولهذا كانت الجنـازات عندهم من أهم المظاهر الدينية غير أن هذه المظاهر لا تنهض فى هذا الأمر كما فى كثير من الأمور غيرها دليلا على الشعور الحقيقى بالحزن والتآسى لأن الاسلام يدعو أهله الى التلطف من الحزن على موتاهم باعتبار أن الموت قضاء ساقه الله وارادة لا رد لهـا وحكم يجب الانقياد له والرضى به فاذا ما استسلموا للحزن وبالغوا فيـه أتوا ما يخالف أوامر الله وذهبوا الى عكس مشيئته وتكاد المراسم المتبعة فى مناسبة وفاة رجـل أو امرأة أن تكون مماثلة .

---

(١٠١) أحمد أمين ـ قاموس العادات والتقاليد الطبعة الثانية مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٣ ـ ص ٢١٧ .

فحينما تدل الحشرجة أو غيرها من الظواهر على أقتراب منية شخص ما يديره أحد أقاربه بحيث تكون وجهته فى اتجاه القبلة ويغلق عينه قبل أن يسلم الروح أو بعد ذلك بلحظة يصيح الحاضرون الله ... لا حول ولا قوة الا بالله انا لله وانا اليه راجعون .. اللهم أغفر له (١٠٢) واذا تصفحنا تاريخ الفراعنة نجد أن عدة أمور انتقلت الى المصريين فعند وفاة شخص أيام الفراعنة ينقلب المنزل الى أتون ملتهب صاخب لا ترى فيه امرأة الا وغطت وجهها بالنيلة أو اتشحت بالسواد ثم تراهن وقد انضمت اليهن طائفة من الندابات أمسكت كل واحدة منهم بالطار تحركه بين يديها على حين تنطلق المعددات يقذفن من أفواههن حمما من العبارات النارية فيستسلم الجميع لحركات جنونية من لطم وولولة (١٠٣) .

وقد ظلت العادات متبعة فى القاهرة فنجد النساء يشققن الجيوب ويلطمن الخدود ويضعن التراب فوق رءوسهن بمصاحبة الندابات والنساء الجيران ويرددن الزوجات عبارات مثل يا سبعى — يا جملى — يا سبدى يا بركة البيت ... الخ . أما الرجال فكانوا يكتمون حزنهم ويبدون صبرهم وجلدهم وينزوون عن الناس لينفردوا باحزانهم .

أما عن موكب تشيع الجنازة فيكون فى الغالب على الوضع التالى :

أولا : ستة من الفقهاء أو أكثر ويسمون باليمنية وهم يختارون عادة من العميان ويلى هؤلاء الفقهاء أقارب المتوفى وأصدقاؤه وفى كثير من الحالات يأتى كثير من الدراويش وغيرهم من رجال الدين وهم يحملون العلامات المميزة للطرق التى ينتمون اليها فينضمون اليها ثم يأتى بعد ذلك ثلاثة أو أربعة من طلبة المدارس يحمل احدهم مصحفا أو أجزاء من أجزاء القرآن الثلاثين ويوضع هذا الكتاب على نضد مصنوع من عصى النخيل يغطى عادة بمنديل مطرز ويقوم هؤلاء بانشاد بعض مقاطع من قصيدة الحشرية . نصف أحداث يوم القيامة وذلك بصوت أعلى وأكثر حيوية من صوت اليمنية ويتقدم طلبة المدارس هؤلاء النعش الذى يحمل على الأعناق وقد اتجه الرأس الى الأمام ... وقد جرت العادة على ان يتولى ثلاثة أو أربعة من أصدقاء الفقيد حمله بعض الوقت ويقوم غيرهم بحمله تدريجيا وكثيرا مايشارك المارة فى اداء هذه الخدمة مما يعتبر عملا يستحق الكثير من المثوبة الحسنة ... ويتبع النساء النعش فى عدد قد يصل أحيانا الى العشرين وتخفين شعورهن المنفوشة احيانا بطرحهن .

(١٠٢) جرارو دى نيرفال — نفس المرجع — جـ ٣، ص ٢٦٦ .

(١٠٣) محرم كمال — آثار حضارة الفراعنة فى حياتنا الحالية دار الهلال ١٩٥٦ ص ٢٥ .

وتختلف نعوش السيدات والأولاد عن الرجال فى انها تكون مزينة بأنواع من الزينات التى تستعملها النساء على الرأس ونعش الصبى يمميز بعمامة توضع أعلى الشاهد (١٠٤) • ثم يذهبوا بالنعش الى أحد المساجد لكى تقام صلاة الجنازة عليه ثم يستأنف الموكب سيره الى القرافة (١٠٥) •

---

(١٠٤) ا• وليم لين ـ نفس المرجع ص ٤٣٣ •

(١٠٥) وقد سميت القرافة بهذا الاسم وهى أول مقابر للمسلمين فى مدينة الفسطاط نسبة الى طائفة من قبيلة المعافر وهم بنو قرافة نزلوا تلك المنطقة مع الفتح الاسلامى فسميت باسمهم •••••

انظر أبو المحاسن جمال الدين بن يوسف تغرى بردى ٨٧٤ هـ ١٤٦٩ م ـ النجوم الزاهرة فى ملوك مصر القاهرة جـ ١ ص ٣٦ القاهرة ١٩٣٠ •

الملابس

زى الرجال :

يتسم زى الرجال بأنه واسع فضفاض وقد يكون ذلك لكى يتلائم مع الجو الحار فى مصر والفقراء يصنعونه من الكتان أما الأغنياء من الحرير وهو يتكون بشكل عام من الآتى :

١ ـ **القميص** : يتسم بالطول والعرض حتى أنه يصل الى كاحل القدم ٠

٢ ـ **السروال** : وهو يصل الى الركبتين ويثبت حول الجسم بتكة التى قد تزركش أحيانا ٠

٣ ـ **الصديرى** : الذي يصنع في الغالب من الجوخ أو الحرير أو القطن٠

٤ ـ **القفطان** : الذى يخيط بحيث يكون واسعا ويصل الى القدمين ويلبس فوق ما ذكر سابقا من الثياب ٠

٥ ـ **الحزام** : يصنع من الحرير أو الكشمير ويبلغ عرضه مترا واحدا وطوله يتراوح بين ٨ ـ ١٠ أمتار ٠

٦ ـ **الجبة** : وتلبس فوق القفطان وفى الشتاء تبطن بالفرو ٠

٧ ـ **البنش** : وهو ثوب أعرض من الجبة مشقوق الكمين يلبسه بعض الناس خاصة فى المناسبات مثل العلماء والمشايخ ٠

وهناك ما يعرف بكرك السمور يرتديه أصحاب المقامات العالية أو العلماء وهو عبارة عن معطف من الحرير أو الجوخ ويحشى السمور وهو معد من شارات الشرف ورفعة القدر ويقلد لمن يعين فى منصب خطر (١٠٦) ويختلف زى المماليك قليلا عن السابق فقفطان المماليك أقصر طولا حيث يصل الى مستوى الحزام أيضا وأحيانا يرتدى المملوك أثنين من القفاطين يرتدى المملوك سروال آخر فوق السروال يكون أقصر

---

(١٠٦) كلوت بك : نفس المرجع جـ ١ ص ٥٥٨ ٠

طولا حيث يصل الى سمانة الرجل وأكثر اتساعا ويصنع من جوخ البندقية ويلبس فوق السروال الداخلي (١٠٧) .

العمامـــة :

وهو غطـاء الرأس يكون من طربوش من الصوف مصبوغ باللون الأحمر ويوضع تحته طاقية رقيقة تسمى القلنسوة لكي تحمي الطربوش من العرق (١٠٨) وتلف فوق الطربوش عمامـة يختلف لونهـا حسب الطائفة أو الدين فعمامة الأشراف تـكون خضراء اللون وعمامة العلمـاء أو المشايخ تتميز بضخامة الحجم وأحيانا تحلى بالحرير أما عامة المسلمين فلون عمامتهم أبيض أو أحمـر وعمامة الأقباط لونها أسود أو بنفسجي أو أحمر غامق (١٠٩) .

أما ملابس الفقراء فهي بسيطة للغـاية فهم يلبسون سروالا فوقه قميص طويل فضفاض أو ثوبا أزرق واسع الأكمام من الكتان أو القطن أو من الصوف الأسمر (ويسمى الزعبوط) وهو يشق ابتداء من الرقبة الى الوسط تقريبا ويتمنطق البعض بمنطقة بيضاء أو حمراء من الصوف والخـدم يتحزمون بحزام عريض أحمر اللون من الصوف أو من الجلد وبه عـادة كيس لحفظ النقود وعمامـة العامـة شال من الصوف أبيض أو أحمر أو أصفر أو قطعة من غليظ القطن أو الحرير الموصلي تلف حول طربوش تحته لبدة بيضاء أو سمراء وبعض الفقراء لا يملكون غير اللبدة فلا عمامة ولا سراويل ولا نعل انما يرتدون الجلباب الأزرق أو الأسمر أو أسمالا بالية (١١٠) .

الحـــذاء :

لا يلبس المسلمون عامـة الجوارب ولـكن أصحـاب اليسار منهم يستعيضون عنه بشيء من الجلد الأصفر يسمونه المزد فاذا لبسوه دسوا أرجلهم في حذاء من الجلد الأحمر أو الأصفر يسمونه بالمركوب واللون الأصفر في المركوب لا يسمـح به الا للمسلمـين وأما المسيحيون فكان لا يسمح لهم الا باللون الأحمر (١١١) .

---

(١٠٧) كلوت بك : نفس المرجع ج ١ ص ٥٦٢ ــ ٥٦٣ .

(١٠٨) Brown op. cit., p. 59.

(١٠٩) ورنر : نفس المرجع ص ٢٠ .

(١١٠) أ. وليم لين . ــ المصريون المحدثون ــ ص ٣٦ .

(١١١) كلوت بك : ــ نفس المرجع ــ ج ١ ــ ص ٥٦٩ .

التغيرات التي طرأت على زى الرجال :

لم يعرف المجتمع المصرى حتى منتصف القرن الماضى نزعة التجديد. والاستحداث فى الملابس التى عمت المجتمع الغربى ورفعته الى مسايرة (الموضة) وابتكارات أذواقه الجديدة فى الملابس . فالمجتمع المصرى يمتاز بطابع المحافظة على تقاليده وعاداته وهو اذ ينظر الى تراث اجداده انما ينظر اليه نظرة الاحترام والتقديس فلا يسمح بمساسه ولكن هناك بعض. الأحداث واجهت المجتمع المصرى أدت الى ظهور بعض التغيرات فى النظام التقليدى للزى ففى أثناء وجود الحملة الفرنسية غير الاقباط من نظام لبسهم التقليدى وارتدوا الملابس والعمائم الملونه بعد خروج الفرنسيين صدر فرمان يحظر على النصارى لبس الملونات وقصر ملابسهم على الأزرق والأسود (١١٢) وقد أرسل محمد على بعثات علمية الى أوربا لتلقى العلم أو التدرب على مختلف صنوف الصنائع أو الحرف لنقلها الى مصر وحدث أن قام بعض هؤلاء المبعوثون بتقليد الزى الأوربى فى ملابسهم والتخلى. عن ارتداء الزى المصرى وقابل محمد على هذا التصرف بكل شده وعنف لمنع تقليد الزى الأوربى وعفا عن هؤلاء المبعوثين بعد عدولهم عن التقليد . كما أثر تنظيم الجيوش النظامية فى عهد محمد على على الزى فكانت العمامه أول ما حذف فى الجيش من ملابس الجنود وفى عام ١٨٢٦ ادخلت تعديلات أخرى أذ تركوا اللباس العريض الهابط الى الركبتين كما هو وأدخلوا صدرية ذات كمين واسعين ثم ما لبسوا أن حذفوها لانها كانت تعوق الجنود أثناء القيام بالحركات العسكرية وأخذ ذوو الحيثيات فى. جعل ملابسهم وثيابهم مثل ثيابهم العسكرية سواء اكانت لهم أم لم تكن. لهم مناصب فى قيادة الجيش وكان ابراهيم باشا فى مقدمة المقلدين فبدل العمامة بالطربوش فلم يلبث الناس جميعا ان قلدوه ولبس الوالى نفسه عين اللباس الذى اتخذه لجيوشه .

كما تخلى الجنود أيضا عن ارتداء الجبة .

ونتيجة ازدياد استهلاك البلاد من الطرابيش لسد احتياجات. الأهالى والجيوش أمر محمد على باشا بانشاء مصنع لانتاج الطرابيش بفوة. والاستغناء عن استيراد هذا الصنف من الخارج (١١٣) والمصريون ميالون. الى اتخاذ الثياب ذات الألوان الفاتحة الساطعة كالأحمر والوردى والأبيض والبنفسجى ... الخ بقدر بعدهم عن الألوان القاتمة التى جعلوها ميزة. الرعية من اليهود والنصارى ولكن الأذواق والعادات تغيرت بعد ذلك من

(١١٢) الجبرتى : ـ عجائب الآثار ـ ج ٢ ـ ص ٤٨٤ .

(١١٣) محفظة ١٠١ ـ دفتر رقم ١٩ ـ ترجمة الوثيقة التركية رقم ٦٢ سنة ١٢٤٠ .

هذه الجهة تغيرا محسوبا اذ هجر الألوان الساطعة أفراد الطبقات العليا واعتادوا لبس الثياب من الجوخ الأسود والأزرق والكستنائى ٠٠ ألخ وظل عامة الشعب محتفظين بالألوان الأولى (١١٤) ٠

زى المرأة :

يمتاز زى المرأة بكثرة الزخرفة والتوشيه بالذهب والحرير والكشمير وهو يتكون من :

١ ـ **القميص** : الذى يصنع من قماش غالى الثمن ومزركش بالحرير ويكون لونه فاتح وهو واسع فضفاض ولا يصل طوله الى الركبتين٠

٢ ـ **شنتيان** : وهو عريض القماش يربط عند الخصر بتكة ومن أسفل يربط بالساق وهو يشبه بالجونيللا ٠

٣ ـ **يلك الثوب** : وهو يصل من الكتفين الى القدمين ومفتوح عند النحر وله كمين يتسعان ناحية الرسخين وملى بأزرار تتلو بعضها البعض٠

٤ ـ **الحزام** : ويلف حول الوسط ويكون من الحرير أو أى قماش آخر تكون قيمته حسب ثراء المرأة ٠

٥ ـ **الجبة أو السلطة** : وهو يلبس فوق لتغطى الملابس السابق ذكرها عند الخروج وأحيانا تكون مزركشة ٠

٦ ـ **لباس الرأس** : عبارة عن طاقية حمراء حولها منديل أو أكثر ويثبت فى مقدمتها قطعة صغيرة من الصفيح يبلغ طولها ٣ ابهامات وأحيانا ترصع بالذهب أو الأحجار الكريمة (١١٥) ٠

وغطاء رأس الفتاة أحمر اللون أما السيدة فترتدى غطاء رأس لونه أسود وعند خروج المرأة من منزلها فانها ترتدى الحبرة التى تكون فضفاضة وتصل الى القدمين ولها أكمام واسعة كما تحرص النساء فى القاهرة على اخفاء الوجه بمنديل وتترك العينين دون غطاء أو عين واحدة فى بعض الأحيان (١١٦) ٠ أما ملابس النساء الفقيرات والبائعات فى الأسواق فيكون بسيط وعبارة عن نوع من الرداء الأزرق الطويل وينتهى بغطاء يستر الرأس والبرقع الأسود مشدود إلى قصبة الأنف ومربوط بمشبك من نحاس مؤلف من ثلاثة أزرار صغيرة منظومة فى سلك فى

---

(١١٤) كلوت بك ـ نفس المرجع ـ جـ ـ ص ٥٦٣ ٠

(١١٥) كلوت بك ـ نفس المرجع ـ جـ ١ ص ٦٠٧ ٠

(١١٦) Ligh - Travels in Egypt - London, 1841, p. 12.

فى طرف هـذا الرداء الطويل المتدلى على الجبهة ومع ذلك فكثيرات منهن حتى الفتيات قد أبطلن اســـتعمال هذا البرقع المتعب لذلك يســتبدلن بأمساك طرف الرداء الطويل بين أسنانهن وهن عادة لا يلبسن أحذيــة فهم حفاه اذ أن الأحذية خاصة بنساء الطبقة الراقية (١١٧) ٠

الحـــذاء :

لا ترتدى المرأة الجوارب وهى تلبس حذاء يسمونه المزد من الجلد الأصفر المشغول بالحرير أو القصب ليس له حافة من الخلف ولذلك يرى الكعبان ظــاهران للعيــان وهذا المزد يقوم مقــام الجورب أما اذا أردن الخروج فانهن يلبسن حذاء من الجلد الأصفر يسمى البابوج طرفه دقيق ملنوى الى أعلى يضعن أرجلهن وسوقهن داخله (١١٨) ٠

وسائل الزينة عند المرأة :

تستخدم المرأة الكحل لتزيين العينين وكذلك تضــع الحنــاء فى الأيدى والأرجل والأظافر وترتدى المرأة الأقراط فى الأذن والأساور فى اليد والرجل وكذلك القلائد وهى تصنع من النحاس أو الفضة أو الذهب حسب ثراء المرأة ويعلق فى القلائــد التى تكون حول العنق قطعــة من المعدن يكتب عليها أيات من القرآن الكريم لتكون بمثابــة حجاب يدفــع الأذى والشر عن المرأة وبعض النساء وخاصة ذوات البشرة السوداء يضعن خواتم فى الأنف وهذه الخواتم يضعون فيهــــا حبيبـــات من الزجــاج للزينة (١١٩) ٠

التغيرات التى طرأت على زى المرأة :

فى أثنـــاء الحملة الفرنسية على مصر قلد بعض نساء القاهرة زى الفرنسيات حيث قال الجبرتى « تبرج النساء وخرج أغلبهن عن الحشمة والحيــاء ومشين فى الشوارع حاسرات الوجوه ولبسن الفســاتين والمناديل الحرير الملونة وأسدلن على مناكبهن الطرح الكشميرى والمزركشات (١٢٠) المصبوغة » ٠ وقد وصف الجبرتى هؤلاء النساء بالفواجر وكانت من بينهن ابنة الشيخ البكرى وبعــد خروج الفرنسيين عــدل هؤلاء النساء عن هذا التقليد وعوقب البعض منهن بالموت (١٢١) كما كان فى حالة أبنة الشيخ

---

(١١٧) ورنر ــ نفس المرجع ص ٢٠ ، ٢١ ٠

(١١٨) كلوت بك ــ نفس المرجع ــ جـ ١ ، ص ٤٣٦ ٠

(١١٩) Pocok, op. cit., p. 191.

(١٢٠) الجبرتى ــ عجائب الآثار ــ جـ ٢ ٠ ص ٤٣٦ ٠

(١٢١) الجبرتى ــ عجائب الآثار ــ جـ ٢ ٠ ص ٤٨٦ ٠

البكرى غير أنه حدث بعض التغير فى نظام زى النساء فى وقت لاحق فقد تم الاستغناء عن الجبة ولم يعد استخدامها قاصر الا على السيدات العجائز كما تخلى النساء أيضا عن الزركشة والأبهة الزائدة عن اللازم فى الملابس وكذلك تخلوا عن ترصيع غطـاء الرأس بالذهب والجواهر الثمينـة وذلك بغرض الاقتصاد والتوفير فى النفقات (١٢٢) ٠

(١٢٢) كلوت بك ـ نفس المرجع ـ جـ ١ ، ص ٦١٣ ٠

الحمامات العامة

اعتاد المصريون فى ذلك العصر التوجه الى الحمامات العامة للأغتسال وكانت الحمامات تخصص صباحا للرجال ومساء للنساء حيث تلتقى النساء مرة كل أسبوع حيث تكون هذه المقابلات أحدى الفرص لالتقائهن خارج جدران الحريم المغلقة ومناسبات الخروج للحريم الى الحمامات كانت اما الخروج الأسبوعى الى الاستحمام العادى مرة أو مرتين أسبوعيا واما الاستحمام فى مناسبات الزواج أو لحضور حفلات التهانى بالمواليد وما أشبه ذلك . وكانت هذه الاجتماعات بالحمام تعتبر متنفسا لخروجهن من غياهب الحريم المغلق حيث يتبادلن أحاديثهن الرقيقة عن أحوالهن العائلية والزوجية والمالية وكثيرا ما تمت الاتفاقيات على عقد الزيجات بين الأسر فى مثل هذه الاجتماعات كما كانت تتم فيها المؤامرات النسائية أيضا (١٢٣) ومعنى ذلك أن هذه المناسبات لم تكن لمجرد اللهو والعبث ومن بين الظاهرات الاجتماعية الأخرى المتعلقة بهذه الحمامات أيضا مناظر مرور مواكب العرائس متوجهة الى الحمام يوم الزفاف وكان ذلك من أبهج المناظر التى تصاحب خروج الحريم فى هذا العصر وتلك المواكب لم تكن قاصرة على العرائس من النساء فقط وانما كانت مألوفة بالنسبة الى العرسان من الرجال أيضا اذ كانوا يخرجون فى مواكب عامة يحيط بهم أصدقائهم وخلانهم ، حيث يقضون اليوم كله معا فى الحمام ثم يعود العريس وصحبه آخر النهار لاستقبال عروسه ومما ساعد على انتشار الحمامات العامة فى القاهرة الطقس الحار وطول فصل الصيف وكذلك خلو المنازل العادية من الحمامات الخاصة وقد أورد أندريه ريمون قائمة بأسماء وعدد وأماكن الحمامات بالقاهرة فى سنة ١٧٩٨ والتى بلغت ٧٧ حماما (١٢٤) وذكر كلوت بك أن عدد هذه الحمامات فى ١٨٤٠ بلغ ٧٠ حماما ومن أهم هذه الحمامات على سبيل المثال : حمام الوالى ، حمام السلطان الكبير ، حمام

(١٢٣) St. John. op. cit., p. 342.

(١٢٤) اندريه ريمون ــ نفس المرجع ص ١٢٠ .

الصوافة ، حمام السكرية ، حمام السبع قاعات · ويلاحظ أنه لا يزال فى القاهرة حتى الآن بعض الحمامات العامة ·

وصف الحمام :

يتألف من عدة حجرات مبطنة بالرخام الملون ويتلو بعضها البعض وكل قسم منها يعلوه القباب مثقوبة بنقوب مستديرة ينفذ الضوء بواسطتها من خلال قطع متكورة من الزجاج والجدران والقبـاب تبنى عـادة بالآجر والمصيص وتوجد على مستوى الأجزاء المرتفعـة من الحمام ساقية لتغـذية القزان بالماء وهو ما يؤخذ اما من بئر أو من حوض فى أسفل البناء والقسم الأول الذى يمر به راغب الاستحمام يسمى المسلوخ وتحيط به صفف مفروشة للجلوس فيه يتجرد المستحم من ثيابـه واذا كان يحمل ساعـة أو نقودا أو سيفا يعهد بحراستها عند دخوله الى حارس الحمام الذى يسمونه بالمعلم ومتى تجرد الانسان من ثيابه جعـل على وسطه فوطة كبيرة ولبس قبقابا من الخشب وقصـد بعد ذلك الى مكان الاستحمام بواسطة دهاليز عديدة ضيقة يعتاد بالمرور فيها التدرج على الحرارة الأخيرة للحمـام وهى التى لا يطيقها المستحم الا بهذا الانتقال التدريجى المتعاقب والحمام عبارة عن بهو كبير ذى قبه عالية وأرضيـة مفروشة بالرخام وفى وسطه حوض ماء ساخن تنبعث منه سحب من الأبخرة لا تلبث أن تتكاثف فوق ويستمر انبعاثها على الدوام فتختلط بالروائح الزكية التى تحرق فى المباخر (١٢٥)

طريقة الاستحمام :

وطريقة الاستحمام أن يتمطى المستحم على قطعة من القماش بحافـة الحوض ويسند رأسه الى مخدة صغيرة ثم يتخذ من الأوضاع ما يراه انسب لحالته والأوثق لراحته ومزاجه وتكون السحب العطرية المنعقدة بتباخر الماء قد أحاطت بجسمه وأحدثت شيئا من التمدد فى مسامه جميعا وعقب برهة من الوقت يقضيها المستحم فى هذه الراحة اللذيذة تكون البشرة قد اكتسبت طبقة رقيقة من الرطوبة فيأتى عندئذ أحد عمال الحمام ليبدأ بتدليك جسمه ولكن قبل الدلك يضغط الأعضاء ضغطا خفيفا متداركا ويطويها طيا رقيقا حتى اذا أكسبها المرونة الضرورية فرقع ما تحتويه من المفاصل ثم تصرف فى الجسم بما يتخيل معه أن بأصابعه السريعة يعجن اللحم الذى يلمسه بها عجنا يراعى فيه الرقة واللطف وفى أثناء هذه العملية التى لم يقل أحد أنها أفضت الى حادث مضر لا تقتصر على فرقعة تلك الأعضاء بل يعدوها الى الرقبة مرتين على الأقل وحينما يتم تليين المفاصل على هذا المثـال يحك

---

(١٢٥) كلوت بك : نفس المرجع ج ٢ ص ٥٨٤ انظر أيضا أ· وليم لين ص ٢٩٣ ·

الكعبان وباطن القدمين بحجر حشن ذى مسام متخذ من الاجر المطبوخ فيعمل عمل الجرد فى الحديد ثم يدلك اللحم بقطعة من الصوف تسمى الكيس وتأثير هذا التدليك الشديد يخيل للمستحم أن البشرة تنتزع من مكانها ولكن الحقيقة أن الأقذار هى التى تنزع من البشرة ونسقط تباعا من تحت الكيس على شكل اسطوانات مستطيلة ممتزجة بما غمر الجسم من العرق ذلك لأن الجزئيات الصغيرة التى كانت تسد المسام ينتزعها الكيس من مكانها فيتكون من تجمع بعضها ببعض ما يشبه الشكل الاسطوانى السالف الذكر ومتى تمت هذه العملية شعرت بالبشرة وقد تناسق سطحها ونعمت نعومة الحرير ولا يستطيع المرء ان يتصور مقدار القاذورات والأوساخ التى تخرجها يد المدلك من جسم أكثر الناس نظافة أى من جسم الذى اقتصر فى الاستحمام على الحمامات المنزلية ولو تتابع استحمامه فيها . ينتقل المستحم بعد ذلك الى خلوه ويصب ذلك الخادم على رأسه رغوة من الصابون المعطر ثم يغسله بقطعة من ألياف النخيل (الليف) فاذا تم تنظيف رأسه وجسمه بهذه الطريقة ينزل فى حوض ماء ساخن ثم يغطى رأسه وجسمه بعد الخروج منه بالبشاكير الكبيرة ويعود الى القهوة التى يتجرد فيها عن ثيابه وهناك يستلقى على بساط يغطى فيها مرة أخرى بالبشاكير الجافة ويجفف الماء الذى كان على جسمه بالتدليك مرة أخرى ويقضى فى هذا الوضع نحو نصف ساعة مستشعرا الراحة وتقدم اليه خلال ذلك القهوة أو الشبك للتدخين حتى اذا انتهى من ذلك يحل لبس الثياب التى يبخرها الخدم ببخور العود وكثيرون من الناس يقصدون الحمامات مرتين فى الأسبوع كما يقصدها غيرهم مرة واحد وأقل من مرة فى الأسبوع منهم من يقتصر على الاستحمام فى حوض ويغسل رأسه بماء الصابون المعطر .

رسم الدخول فى الحمام :

ورسم الدخول فى الحمام زهيد جدا وفى متناول يد الناس جميعا فالفقراء منهم لا يعطون رسما لاستحمامهم أكثر من خمس بارات الى عشر بارات وهم بهذا الرسم لا تدلك اجسامهم بالكيس ولا تغسل بالصابون أما الأغنياء فيدفعون رسما للاستحمام الكامل من قرش الى خمسة قروش (١٢٦) .

وقد ذكر أندريه ريمون أن متوسط عدد زوار الحمام فى اليوم الواحد

---

(١٢٦) كلوت بك : نفس المرجع جـ ٢ ص ٥٨٨ انظر ايضا أ: وليم لين نفس المرجع ص ٣٩٥ .

يتراوح بين ٥٠ : ٦٠ شخصا يدفعون ما قيمته ٦٥ بارة فى المتوسط أما مصروفات الحمام اليومية فهى على النحو التالى :

مرتب الحارس ٣٠ بارة ـ أجور العاملين ٥ر٢١٢ بارة ـ ايجار ٦٠ بارة ـ صيانة أثاث الحمام ١٠ بارات ـ تغذية الماشية ٢٠ بارة ـ وقود ١٢٠ بارة ٠

أى أن مجموع المصروفات اليومية ٥ر٤٥٢ بارة ـ والربح اليومى ٥ر٦٢ بارة ٠

على هذا فان الربح اليومى للمتعهد القائم باستغلال حمام من النوع الصغير لم يكن يتجاوز كثيرا ٦٠ بارة وهو دخل شديد التواضع ، اذ كان العامل البسيط يتقاضى ٢٠ بارة يوميا (١٧٩٨ م) وحيث كان حارس الحمام نفسه (١٢٧) يتقاضى ٣٠ بارة فى اليوم الواحد ٠

---

(١٢٧) اندريه ريمون نفس المرجع ص ١٠٥ ٠

مياه الشرب ومشروبات أخرى

كانت القاهرة تعتمد كلية على النيل الذى كان يجرى على بعد كيلو متر واحد من الحد الغربى للمدينة بينما كان الخليج المصرى لا يجلب المياه الا لمدة ثلاثة الأشهر التى تعقب الفيضان وفى تلك الفترة يستخدمه السقاءون لجلب المياه منه بدلا من الذهاب الى النيل وكانت المياه الجوفية لا تعطى الا مياها ملحة لا تصلح للشرب ولكنها تستخدم فى أغراض منزلية أخرى مثل الغسيل أو للمواشى أو للزرع وفى حالات الأزمات . وكان السقاءون يكافأون من قبل عملائهم وكان يوجد فى نهاية القرن الثامن عشر ثمانى طوائف للسقائين يحملون الماء على ظهور الحمير أو الجمال كما كانت توجد طائفة واحدة تضم باعة المياه بالقطاعى فى الشوارع (١٢٨) وكان يطلق عليهم السقا شربه ولهم زى خاص ونداءات يتميزون بها مثل (عوض الله) كما انتشرت فى القاهرة الأسبلة التى يوضع فيها الماء فى أيام فيضان النيل ليوزع على المحتاجين ويلحق السبيل في غالب الأمر بالمساجد وهو مستدير الشكل ويحلى بالنقوش وفى نوافذه الشبابيك المصنوعة من البرونز والأعمدة الرخامية والزجاج الملون والكتابات المحفورة (١٢٩) وقد بلغ عدد الأسبلة فى القاهرة ٣٠٠ سبيل (١٣٠) .

ولا يشرب المسلمون على الطعام سوى الماء ويوجد على مائدة الاغنياء بالاضافة الى الماء الشربات ويشرب الماء فى أوعية من الفخار أو طاسات من النحاس والأوانى الفخارية (القلة والدورق) توضع فى المشربيات بغرض تبريد الماء قبل استعمالها عادة تبخر وتعطر بالبخور والمستكا وكثيرا ما يوضع أيضا قليل من ماء زهر البرتقال فيكسب الماء طعما لذيذا وللأوعية أغطية من المعدن أو سعف النخيل أو الخشب وفى الشتاء تستخدم الأوعية الصينية عوضا عن الفخار حتى لا يبرد الماء برودة شديدة (١٣١) وعلى

---

(١٢٨) اندريه ريمون نفس المرجع ص ٤٩ ، ٩٢ .

(١٢٩) كلوت بك ـ نفس المرجع ـ جـ ١ ص ٤٠٠ .

(١٣٠) على مبارك ـ الخطط التوفيقية ـ جـ ١ ـ ص ٩٧ .

(١٣١) أ. وليم لن ـ نفس المرجع ص ١٣٥ .

ذلك فقد اعتمد أهالى القاهرة على السقائين لجلب مياه الشرب الصالحة الى البيوت ولكن يلاحظ أن دور السقائين لم يقتصر على ذلك وحسب بل لقد اعتمد عليهم فى مقاومة الحرائق التى تقع بالقاهرة فقد ذكر الجبرتى (١٣٢) أنه عندما اندلعت النيران فى بيت طاهر باشا أخذوا يبحثون عن السقائين لكى يقوموا باطفاء هذا الحريق وكذلك مثل ما حدث فى حريق القلعة عام ١٨٢٠ والحريق الذى اشتعل بالحى الأفرنجى عام ١٨٣٨ (١٣٣) ٠

وقد انتظر حتى النصف الثانى من القرن التاسع عشر لكى تتمكن السلطات الحاكمة من ان تعثر على وسيلة أكثر ضمانا لجلب الماء الى الأهالى٠ ومنذ عهد محمد على وضعت على بساط البحث عدة مشروعات لحفر الخليج أو لانشاء ترعة لنقل المياه الى مناطق القاهرة المرتفعة ٠ وقد واجه عباس باشا هو أيضا مشكلة جلب المياه إلى منطقة العباسية ٠ وأخيرا انشئت « شركة المياه » فى عام ١٨٦٥ برؤس أموال وبادارة أوربية بموجب عقد امتياز ينتهى فى عام ١٩٦٩ وأخذت الشركة تقيم ماكينات للضخ ومواسير للمياه داخل القاهرة ٠ وفى عام ١٨٩١ لم يكن هناك من المشتركين الا ٤٢٠٠ مشترك أدخلوا المياه الى منازلهم (١٣٤) ٠

مشروبات أخرى :

أولا : الشربات :

تناول المشروبات المرطبة المعروفة بالشربات كثير الشيوع فى مصر وهذه المشروبات أنواع كثيرة أبسطها الماء المحلى بالسكر والمضاف اليه ماء الورد أو ماء زهر البرتقال أو عصير البرتقال أو الليمون ويتناول المصريون أيضا شربات اللوز أو بذور الشمام والبطيخ والقرع ويشربون غالبا فى نهاية كل طعام الخشاف وهو ماء محلى بالسكر غلى فيه من قبل الزبيب وعطر بماء الورد وأعظم أنواع المشروبات المرطبة اعتبارا فى نظر المصريين شراب البنفسج وطريقة عمله أن يجرد زهر البنفسج من سوقه ويعجن بالسكر ثم يجفف وبعد جفاف العجينة يدق دقا ناعما جدا ثم يذاب فى الماء عند الاستعمال ٠ ويباع فى الطرقات برسم العامة من الشعب منقوع عرق السوس أو الخروب (١٣٥) ٠

---

(١٣٢) الجبرتى ــ عجائب الآثار ــ جـ ٢ ــ ص ٥٦٦ ٠

(١٣٣) اندريه ريمون ــ نفس المرجع ــ ص ١٠٥ ٠

(١٣٤) اندريه ريمون ــ نفس المرجع ــ ص ١١٢ ٠

(١٣٥) كلوت بك : ــ نفس المرجع ــ ص ١٦ جـ ٢ انظر أيضا أ٠ وليم لين ص ١٣٦ -

ثانيا : القهوة :

قهوة البن هي السراب المختار بين المصريين الأغنيـــاء والفقراء منهم سواء في المحافظة على نعاطيها صباحا وبعد كل طعام وأصحـاب اليسار منهم يشربون فى النهار خمسة عشر فنجانا بل وعشرين فنجانـا وصنف البن الذى يهيئون به قهوتهم فى غاية الجودة لأنهم يجلبونه من مخا (ببلاد اليمن) (١٣٦) وتعد القهوة من أفضل المشروبات التى تقدم الى الزائرين داخل المنازل سواء كان من الرجال أو النساء ٠

ثالثا : المشروبات الروحية :

لا يشرب المسلمون المشروبات الروحية لان الاسلام يحرم عليهم ذلك ولكن الأقبساط واليهود فى مصر يسمح لهم بشراب النبيــذ المصنوع من تقطـير العنب والعرقى الذى يصنع من تقطير البلح وتعـد الفيوم من أهم المناطق لصناعة النبيذ والعرقى فى مصر (١٣٧) وقد ذكر وليم لين أن هناك بعض المسلمين يشربون النبيذ أو العرقى مع أصدقائهم المقربين سرا ٠ وقد ذكر كلــوت بك أن منــع شرب الخمور فى مصر ذات الجو الحـار يعد من أسباب حمايتهم من أمراض المناطق الحارة اذ هم اقبلوا عليه ٠ وقد فرضت عليهـــم قيود على دخول المشروبات الروحية الى القاهرة ولم تسرى عليه التسهيلات التى منحت لبعض فروع التجارة فى الأصنــاف الأخرى وكان مسموحا فقط بكمية محددة سنويا لحاجة الأجانب مع تحريم بيعه لباقى السكان أو للجنود ، ويعفى من الرسوم والضرائب كميات النبيذ المخصصة لاستعمال العائلات الأوربية وتصرف بموجب تذاكر بمعرفة القناصل ويجب أن يوضح بالتذكرة الاسم والمهنة ومحل السكن لمن يريد تناول النبيذ ومن أرادا أن يصرف كميات أكبر من نصيبه المحدد بالتذكرة فينبغى عليه دفع رسوم ضرائب الاستيراد والمتاجرة ويجب ان يتحقق القنصل العام من ان هذه الزيادة لغرض الاستهلاك وليست للبيع العام (١٣٨) ٠

---

(١٣٦) كلوت بك ــ نفس المرجع جـ ٢ ص ١٤ ٠

(١٣٧) علماء الحملة الفرنسية ــ وصف مصر جـ ٤ ــ ص ٢٢٠ ٠

(١٣٨) حلمى محروس اسماعيل ٠ دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى ٠ رسالة جامعية غير منشورة سنة ١٩٧٧ ص ٨٤ ، ٨٥ ٠

الطعام

كان يفصل مدينة القاهرة عن نهر النيل شريط من الأرض المنزرعة يبلغ عرضه حوالى كيلومتر واحد ولهذا فهو يمثل مصدرا هاما لاحتياجات الأهالى من مختلف أصناف الخضر والفاكهة وبالاضافة الى ذلك فان تصميم المنازل فى القاهرة كان يشمل وجود فناء تربى فيه بعض الحيوانات المنزلية كالماعز والطيور الداجنة كما كانت هناك أسواق لبيع مختلف أنواع الطعام المعد أو غير المعد وكانت هذه الأسواق تستقبل الباعة القادمين الى القاهرة من الضواحى أو خارج القاهرة وهم يحملون معهم منتجات الحقل والبيض وغيرها وعند مداخل القاهرة كان يحصل منهم بعض الرسوم مقابل السماح لهم بالبيع داخل القاهرة (١٣٩) . وكان أحيانا يحدث بعض التلاعب فى الموازين أو المكاييل التى يستخدمها الباعة لذا فان المحتسب وأعوانه كانوا دائمى المرور فى الأسواق وهم يحملون معهم مكاييل وموازين رسمية للتأكد من سلامة الأوزنة فى السوق وكان المحتسب يوقع أشد العقوبات بالمخالفين (١٤٠) كما كان المحتسب أيضا يراقب مدى جودة الأصناف المعروضة للبيع وفى عام ١٢٥٠ هـ ــ ١٨٣٤ م صدر أمر بتوحيد المكاييل والموازين وأصبح القنطار وحدة الميزان والأردب وحدة المكاييل (١٤١) . وكانت أسعار المواد الغذائية تتذبذب أحيانا حيث ترتفع ارتفاعا شديدا فى وقت الأزمات أو عندما يشح محصول الأرض مما أدى الى تلاعب بعض الباعة بالأسعار لذلك صدر أمر عالى ١٢٤١ هـ ــ ١٨٢٥ م بتسعيرة بعض المأكولات بدون زيادة أو نقصان وان تستمر هذه التسعيرة لمدة عشر سنوات وقد ضمت القائمة ٢٩ صنفا منها على سبيل المثال اللحوم والعسل والسكر والأرز والشعير والسمسم وزيت الزيتون (١٤٢) أما عن وجبات الطعام عند المصريين فتعد وجبة الغذاء

---

(١٣٩) Bevane — Narrative of adventures in Egypt London, 1836, p. 12.

(١٤٠) الجبرتى عجائب الآثار ــ جـ ٣ ص ٢٣١ .

(١٤١) أمين سامى تقويم النيل ــ جـ ٢ ص ٤٣٢ .

(١٤٢) أمين سامى ــ تقويم النيل ــ جـ ٢ ص ٣٣١ .

والعشاء أهم وجبتين . وقد اعتادوا الاعتدال فى تناول الطعام حيث أنهم لا يأكلون ما يزيد عن حاجتهم كما انهم لا يستخدمون التوابل أو المشهيات عند تناول الطعام بكثرة كالاوروبيين (١٤٣) وعلى العموم يتناول الرجال طعامهم مع زوجاتهم وأطفالهم الا أن كثيرا من الرجال وعلى الأخص الأغنياء وبعض العامة يندر أن يأكلوا مع زوجانهم وأولادهم ويغسل المرء يديه وفمه قبل تناول الطعام ومائدة الطعام عبارة عن صينية مستديرة من النحاس يبلغ قطرها من ٦٠ : ٩٠ سم وتوضع على كرسى ارتفاعه حوالى ٣٠ سم ويصف على الصينية أرغفة الخبز وقطع الليمون وملاعق خشبية والأطباق التي تضم الخضر واللحوم ويجلس الآكلون على الأرض حول الصينية وعلى ركبتى كل منهم فوطة والوضع المستحسن للجلوس هو أن توضع الركبة اليمنى قائمة والأخرى على الأرض ويبدأ تناول الطعام بالبسملة والمصريون لا يستعملون الشوكة والسكينة فى تناول الطعـام ويستخدمون بدلا من ذلك الابهام وأصبعين من اليمين وتستعمل الملاعق لتناول الحساء أو الأرز أو غيرهما (١٤٤) . غير أن بعض المصريين الذين تلقوا العلم فى أوربا قلدوا الغرب فى استعمال الشوكة والسكين أثناء تناول الطعام الا إن ذلك كان يقابل بالرفض والاستنكاف من محمد على وباقى المصريين .

ومن أهم الأصناف التى يتناولها المصريون اليخنى وهو لحم مسلوق وبصل مقطع أو قليل من البامية أو غيرها من الخضر والقاورمـة وهو لحم كثير التوابل مع البصل وورق المحشى وهو ورق العنب أو الكرنب أو الخس يحشى بالأرز واللحم المفروم وأيضا الكباب والسمك المطبوخ بالزيت وأنواع مختلفة من الخضر والطيور وكثيرا ما تقدم أيضا مختلف أصناف الحلوى دون مراعاة نظام خاص بالنسبة للأصناف الأخرى ومن اصناف الحلوى المحبوبة الكنافة كما يراعى المصريون تناول البطيخ بعد الطعام فى موسمه وبعد تناول الطعام يحمد الشخص الله ثم يقوم ليغسل يديه وفمه (١٤٥). وفى الصباح يأخذون أكلة خفيفة بالمقارنة بالمساء مكونة من البيض المسلوق والجبن وعلى الموائد العظيمة الزيتون والعسل وهذا عـادى أو طبيعى مع المصريين خصوصا اذا خرجوا للعمل أو للهو ليبقوا خارجا معظم النهـار ولأنهم يتغذون قبل الظهر يتعشـــون مبكرا فى المساء ومن المحتمل انهم يختارون ان يأكلوا مبكرا فى الصباح قبل أن يفقدهم الحر شهيتهم ويأكلون مبكرا فى المساء عندما تقل الحرارة والمصرى يتميز بالكرم فاذا قابل أحد

---

(١٤٣) كلوت بك – نفس المرجع – ج ٢ ص ٥٢٤ .

(١٤٤) أ. وليم لين – نفس المرجع – ص ١٣ .

(١٤٥) أ. وليم لين – نفس المرجع ص ١٣٤ .

أصدقائه أو جاءه زائر فى أحد أوقات تناول الطعام أمر باحضار طعام ثم يطلب من الزائر المشاركة فى الأكل قائلا (بسم الله الرحمن الرحيم) ويقدم المصرى للضيف القطع المفضلة من الطعام كذلك كان من عادة الأهالى خاصة الأغنياء منهم اقامة الولائم ليأكل منها المارة والشحاذون خاصة فى شهر رمضان وأيام الموالد والاحتفالات (١٤٦) .

---

(١٤٦) Pocoke, op. cit., p. 183.

المقــاهى

تميزت حيــاة المصريين فى ذلك العصر بالبســاطة وعدم التعقيد فى أمور الحياة فمعظم الأهالى ينتمون الى طوائف حرفية منظمة تنظيما جيـدا ولدى المواطن متسع كبير من وقت الفراغ ولا يحتاج للعمل فيه وان كان يقضيه للتسلية واللهو أو النوم فى وقت اشتداد الحرارة وقد حاول المصرى أن يجعل كثيرا من الأشياء وسائل للترفيه فهناك الحمامات العامة التى تعد طريقة الاستحمام فيها نوعا من التسلية بالاضافة الى فوائدها الأخرى كما كثرت الاحتفــالات العامة فى القاهرة حيث هناك ٨٠ مولدا للأولياء منها ما يستمر يوما أو يومان وبعضها يصل الى أسبوع كذلك هناك الاحتفالات الدينية الأخرى مثل شهر رمضان والعيدان والمولد النبوى الشريف والليالى الدينيــة وشــم النسيم وعيد الوفاء للنيل أضف الى ذلك اهتمام الأهالى بالاحتفال والابتهاج ببعض المناسبات الخاصة مثل الزواج الذى يحتفل به لمدة أسبوع والاحتفال بمولد طفل والختان ولم يكتف الأهالى بذلك وكأنما وقتهم لم تكفه كل تلك الاحتفالات فانتشرت المقــاهى فى كل مكان وقد قدر ادورد وليم لين عددها بأكثر من ألف بالقاهرة فى وقت كان يبلغ عدد سكان القاهرة حوالى ٣٠٠ ألف نسمه فاذا افترضنا أن نصف عدد هؤلاء من النساء فعدد الرجال يكون ١٥٠ ألف منهم على وجه التقريب ٥٠ ألف طفل فيبقى لدينا ١٠٠ ألف رجل اذن فهناك ألف مقهى لعـدد من الرجال يصل الى ١٠٠ ألف رجل وقد لاحظ الرحالة الأجانب الذين زاروا مصر فى ذلك الوقت مدى انتشار المقاهى فى القاهرة والمقهى عبارة عن دكان صغير لا توجد به أى معالم للزينة وبه عدة مصاطب مصنوعة من الحجر وتغطى بالحصر ومكان لصنع القهوة وتجهيز الشبك كما كان يرى فى الأسواق العبيد الزنوج وهم يحملون جيئة وذهابا الأكواب الصغيرة من المقهى الى أصحاب الدكاكين وكان زبائن القهوة يجلسون على المصاطب المرتفعة وهم فى هذا المكان يدخنون ويتجمع عدد منهم ليستمع الى قصص الراوى العازف.

على آلة موسيقية ويروى عليهم بعض القصص العربية القديمة (١٤٧) .
ويقدم القهوجي القهوة بخمس فضة للفنجان الواحد أو عشر فضة للبكرج الصغير الذى يسع ثلاثة فناجين أو أربعة (١٤٨) ولا يكتفي الجالسون على المقاهى بشرب القهوة والتدخين وانما يمارسون بعض الألعاب المسلية أحيانا مثل لعب الطاولة كما يمر على المقاهى القرداتية ولاعبى الثعابين التى ترقص على أنغام المزمار لعرض ألعابهم كذلك تشـــاهد الغوازى وهن يرقصن بمصاحبة الموسيقى والغناء وعندما طردن من القاهرة حل محلهم الراقصون من الرجال المخنثين كذلك كانت هناك بعض الفرق التمثيلية الجوالة التى تعرض تمثيلها أمام المقاهى أو فى ســاحات البيوت • ويلاحظ أن المقاهى فى القاهرة كانت تضاء أثناء الليل بواسطة القناديل (١٤٩) .

---

(١٤٧) Bartlett, op. cit., p. 55 see also Browne. op. cit., p. 87.

(١٤٨) أ. وليم لين — نفس المرجع — ص. ٢٩٠ .

(١٤٩) جيرار — نفس المرجع — ج ١ — ص ١٢٤ .

الرقص والغناء والموسيقى

انتشرت الراقصات في القاهرة ويطلق عليهن الغوازى أو العوالم وهن يقمن بعرض رقصهن في الميادين وأمام المقاهى وأفنية المنازل وذلك في أثناء الاحتفالات العامة مثل الموالد وشق الخليج أو الاحتفالات الخاصة كالزواج والختان ومولد طفل وغيرها وهن يمشين في الشارع سافرات الوجوه ويكثرن من استعمال أنواع الزينة المختلفة ومنها الكحل للعين والحناء في اليد والقدم وكذلك الحلى الذهبية مثل الأقراط والخواتم والقلائد وغيرها وأحيانا يدعون لعرض رقصتهن داخل البيوت لكن هذا نادر جدا عند المسلمين وأكثر شيوعا عند اليهود والأوربيين (١٥٠) ٠ وفي حالة الرقص داخل البيوت يكون ذلك في وجود الرجال أو النساء فقط والعادة أن يجلس الموسيقيون في ركن من أركان البهو وأن يجلس المدعوون في سكون تام على الدواوين وهم يدخنون الشبكات ويطاف على الراقصات والموسيقين من آن لآخر بأقداح العرقى الذى يستغرقهم بالتدريج الى الامعان في الرقص والغناء أما اذا كان الرقص في الحرم فان الموسيقيين لا يحضرون مجلسه وفي هذه الحالة توزن حركات الراقصات بالدربكة التى ينقر عليها جماعة النساء من حاشية ربة البيت ٠ وملابسهن تشبه على وجه التقريب ملابس السيدات المتأنقات في ثيابهن التى وصفت سابقا ، ولكنها تختلف في انها تضغط على أجسامهن لتبرزها كما انهن يكشفن عن نحورهن سواعدهن ويتوخين الزخرف والزينة في ثيابهن وحليهن ويتخذن هذه الثياب من فاخر الأقمشة ويتحلين بالكثير من المصوغات والجواهر واذا رقصن اما مثنى واما رباعا (١٥١) وطبيعة رقصهن تميل الى الاثارة والشهوانية واداء الحركات المبتذلة البعيدة عن الحياء أو الاحترام حتى انه الكثير من الرحالة الأوربين كانوا يخجلون من وصف طريقة الرقص واداء الحركات ومن أشهر الرقصات اثارة كما ذكر كلوت بك تلك الرقصة التى

---

(١٥٠) Pocoke, op. cit., p. 122.

(١٥١) كلوت بك : ـ نفس المرجع ـ جـ ٢ ص ١٢٩ ٠

كانت تسمى النحلة • وكانت هناك طائفة للعوالم ينضوى تحتهـا هؤلاء الراقصات لتنظيم أمورهن وتقوم هذه الطائفة بدفع ضريبة سنوية مقررة عليها للحكومة وقد ضـــج الأهالى الاتقياء فى القاهرة من انتشار العوالم والفساد المترتب على ذلك ورفعوا شكايات عديدة الى محمد على يطلبون فيها بطرد واخراج العوالم من القاهرة ولم يرضخ محمد على لذلك الا بعد تعهد جماعة من الأهالى بدفع قيمة الضريبة المستحقة سنويا على العوالم الى محمد على فأصدر الأخير أمرا بطرد العوالم من القاهرة وابعادهن الى اسنا (١٥٢) • ويجب أن نشير الى نقطة جديرة بالملاحظة تتعلق بابعاد العوالم أو العاهرات عن القاهرة وأثر ذلك على مجتمع القاهرة فانه عنـدما أورد علماء الحملة الفرنسية قائمة تشتمل على أسماء طوائف الحرف الموجودة بالقاهرة لم يكن بينها اسم خدم المنازل وتبين الوثائق أن طائفة خدم المنازل هذه قد تكونت بالقاهرة أثناء حكم محمد على وهناك أمر صـادر من الباشا فى عام ١٢٥٠ هـ ــ ١٨٣٤ م يمنع بمقتضاه بيع النساء المستخدمات كخدم فى المنازل الى العزاب لأنه قد ثبت ان ذلك يتم بغرض ارتكاب الفحش بينهم ويأمر الباشا أيضا بتزويج هؤلاء النساء لمن يرغب من الرجال (١٥٣) • معنى هذا أن أعضاء طائفة خدم المنازل لم تكن تقوم بالعمل كخادمات فى المنازل فقط بل انهن كانوا أيضا يعملن كعاهرات ولكن بشكل مستتر تحت اسم طائفة خدم المنازل ولذلك فان أمر محمـــد على بابعاد العاهرات عن القاهرة لم ينتج عنه التخلص منهن بصفة نهائية لأنهن عدن للعمل وممارسة نشاطهن المرزول ولكن بشكل مستتر وخفى • وتوجد فى القاهرة طائفة من الرجال المخنثين أو الراقصين الا أن عدد هؤلاء الراقصين ومعظمهم من الشباب محدود للغاية وهم من أبناء مصر ولما كان عليهم ان يقلدوا رقصات النساء فهم يؤدون رقصات لها طابع رقصات الغازيـات نفسهـا ويضربون بالصاجات بالطريقة ذاتها ولكن رغبة منهم فى ألا ينظر الناس الى الدور الذى يقومون به بعين الجد فهم يرتدون من الملابس ما يتفق مع هذه المهنـــة الغريبة فهى ثياب نصفها مذكر والنصف الآخر مؤنث وتتكون أساسا من سترة مقفلـة وحزام ما يشبه القرط ومع ذلك فمنظهرهم العـام أقرب الى النساء منه الى الرجال وذلك بلا شك لانهم يرسلون شعورهم ويجدلونها على طريقة النساء وفى الطريق حينما لايرقصون فانهم يسيرون محجبون لا بدافع الخجل بل امعانا منهم فى تقليد حركات النساء وكثيرا ما يفضلهم

---

(١٥٢) هيلين ان رفلين ــ الاقتصاد والادارة ــ ص ١٣٥ •

(١٥٣) انظر هذا الكتاب ص ١٨٦ •

الناس على الغازيات فى الرقص فى الافنية وأمام أبواب المنازل فى مناسبات الاحتفالات العائلية (١٥٤) ٠

الغنــاء :

يميل المصريون الى سماع الغناء والموسيقى والمغنون الذين صناعتهم الغناء يسمون بالالاتية مفردها ألاتى وتتألف منهم فى مصر طبقة محتقرة فاسدة الأخلاق واذا جيء بهم الى أحد منازل الخاصة تقاضوا أجرا لا يتجاوز ما يعادل ١٢ : ١٦ قرشا عن الليلة الواحدة والمدعوون عادة يغدقون عليهم ببعض المال أثناء الغناء وتقدم اليهم أثناء الغناء المشروبات الخمرية كالعرقى وغيره وهم يفرطون فى شربها وفى مصر مغنيــات واعتادت نساء الأغنياء أن يأتين بهن الى داخـــل حرمهن ليسمعوهن أغانيهن وقد يجتمع رب الدار وأصدقاؤه فى صحن البيت لسماع المغنيات ٠

والمغنيات الشهيرات يتقاضين أجورا مرتفعة غير الهدايا ٠ والمصريون سريعوا التأثر بأصوات المغنيين وهم يشجعونهم على الاحسان ويستفزونهم الى الاجادة بما يوجهونه اليهم من عبـــارات الاستحسان والتحبيذ التى يعبرون بها عن شعورهم اذ يصيحون قائلين الله تعبيرا عن رضاهم وتمتعهم بالغناء (١٥٥) ولم يقتصر الغناء على الألاتية والمغنيات بل ان العمال والحرفيين والباعة والمراكبية كان لهم أغانيهم وأناشيدهم الخاصة بهم التى يأدونها أثناء العمل بغرض التسلية والتخفيف من شدة التعب والأرهـاق والحث على سرعـــة انجــاز العمل فللمراكبية أناشـيدهم التى يؤدونها أثنـــاء دفع مراكبهم فى نهر النيل فى وقت ما تكون الرياح غير مواتية وكذلك السقائين كان لهم ما يرددونه أثنـاء ملء أو تفريغ قربهم (١٥٦) كما أن كل حرفة كانت تتميز بنوع خاص من الغناء والمشايخ والعلماء يستمعون الى الأناشيد والأغانى التى تتسم بالوقار والحشمة (١٥٧) وقد عرض ادوارد وليم لين فى كتابه بعض النماذج المختارة من **الأغانى التى كانت تردد بالقاهرة فى ذلك العصر وهاك بعض منها :**

---

(١٥٤) جيرار — نفس المرجع — ج ٣ — ص ٢٥٣ انظر أيضا ٠: وليم لين — نفس المرجع ص ٣٢٨ ٠

(١٥٥) كلوت بك نفس المرجع ج ٢ — ص ١٢١ ٠

(١٥٦) Clarke, Travels various countries, London, 1843, p. 70.

(١٥٧) كلوت بك — نفس المرجع — ج ٢ — ص ١١٩ ٠

ما كل من نامت عيونه	يحسب العاشق ينام
والله انا مغرم صبابه	لم على العاشق ملام
كامل الأوصاف فتني	والعيون السود رموني
من هواهم صرت اغني	والهوى زود جنوني
جمعهم جمع العوازل	عن حبيبي يمنعوني
والله انا ما افوت هواهم	بسيوف لو يقطعوني
يا بنات اسكندريه	مشيكم على البحر غيه
تلبسوا الكشمير بتلي	والشفايف سكريه
يا بنت ملك داب وبانت ايديك	واخاف عليك من سواد عينيك
قصدى انا اسكر وابوس خديك	واعمل عمايل ما عملهاش عنتر
طول الليالى لم ينقطع نوحى	على غزال مفرد وخد روحى
ندر على وان اتى محبوبى	لا اعمل عمايل ماعملهاش عنتر (١٥٨)

ويلاحظ على هذا الغناء أنه كان من نوع الغزل حيث يصف محاسن المرأة ومفاتنها فيتحدث عن العيون والشفايف واليد والنهود كما أن المعانى كانت تدور حول فراق وهجر الأحبة وطول السهر والانتظار والشوق واللهفة الى اللقاء مع الحبيب كما أن هناك معانى كانت تتحدث عن مجالس شرب الخمر مع الأحبة . وهذه الأغانى لا يعرف لها مؤلف فهى تعد من التراث الشعبى الذى لايزال بعض منه يردد حتى الآن .

الموسيقى :

عرف عن المصريين حبهم للموسيقى ويرجع ذلك الى أقدم العصور . فجدران المعابد الفرعونية توجد عليها رسومات كثيرة وهى تبين المصريين القدماء وهم يقومون بالعزف على الآلات الموسيقية المختلفة وأداء بعض حركات الرقص بمصاحبة بعض المغنيين وخلال العهد العثمانى وعصر محمد على انتشر الموسيقيون فى القاهرة الذين يقومون بمصاحبة الراقصات أو المغنيين والفرق التمثيلية وقد أشار معظم الرحال الأجانب الذين زاروا مصر فى ذلك الوقت الى تلك الموسيقى ولكنهم يصفونها دائما بأنها صاخبة ومملة وتبعث على السأم وأنغامها غير مميزة أو واضحة وتبعث على الشعور بالحزن فقد وصفها لين بأنها بسيطة الألحان والأنغام وتتألف من مقامات صغيرة العدد جدا ولها حلاوة تستهوى الأسماع . **الآلات الموسيقية عند المصريين :** لدى المصريين آلات موسيقية كثيرة خاصة بهم منها الطبل البلدى وهو من النحاس ويشبه

---

(١٥٨) أ. وليم لين : ـ نفس المرجع ـ ص ٣٢٠ .

المرجل غطيت فتحته بالرق والنقاقير وتستعمل في المراكب • والكاسات والصنوج التي توقع عليها الراقصات حركاتهن والدف (الطار) والدربكة وهي طبل مخروطي الشكل ينتهي بأنبوبة مجوفة وتمسك باحدى اليدين سندا وتدق اليد الأخرى على الرق الممدود فوق فتحتها • ومن آلاتهم الموسيقية الهوائية الناى والصفارة والزمارة التي يميل نونية النيل الى الزمر بها أما الآلات الوترية فأبسطها تلك الآلة ذات الوتر الواحد المعروفة بالربابة وهي التي يوقع المحدثون والشعراء عليها أنغامهم أثناء روايتهم للقصص ومنها أيضا الكامنجة وهي ذات وترين وتجويفها عبارة عن ثلاثة أرباع جوزة وهذه متقوبة نقوب صغيرة والقيثارة الحبشية والقانون والعود وهو قيثارة ذات سبعة أوتار تهتز بفعل الريشة التي تمسك باليد (١٥٩) لما تم تنظيم الجيش المصرى وكانت الحكومة المصرية تعلم أن لكل أورطة في الجيوش الأوربية موسيقى خاصة بها ارادت هذه الحكومة أن لا تكون من هذه الجهة دون غيرها من حكومات الغرب فاستدعت الى مصر طائفه من الموسيقين الفرنسيين عهدت رئاستها الى مؤلف حاذق من مشاهير المؤلفين الأسبان في الفنون الموسيقية فانشأ هذا الأستاذ ببلدة الخانقاه حيث كان ميدان تعلم الجيش وأركان الحرب معهدا للموسيقين جمع بين جدارنه مائتى تلميذ فتعلم هؤلاء الطلبة الموسيقى الأوربية الصوتية وتدربوا على الضرب بالآلات الغربية التي جلبت من الخارج ولذلك أخذوا بعض الأغاني العسكرية الأوربية ومن الملاحظ أن هذه الموسيقى والأناشيد العسكرية الأوربية لم يكن لها تأثير بالمرة على المصريين حتى أن انشودة المارسيليز الوطنية التي يعرفونها من قبل ويميزونها على غيرها من الأناشيد الفرنساوية ويسمونها بأنشودة بونابرتة لا تهز وترا واحدا من أوتار أفئدتهم ولا تنشرح لها الأذواق المصرية مثل الأوربية كما ان النقلة كانت مفاجئة وواسعة المدى من صدورهم ولا تميل الى التقاطها أسماعهم (١٦٠) قد يرجع ذلك الى اختلاف الموسيقى المحلية عن الموسيقى الغربية المتطورة الراقية في ذلك الوقت وكان من الأفضل ان يتم ذلك بشكل تدريجي ومخطط ليتم التزاوج بين النوعين من الموسيقى والاستفادة من التطور الغربي مع الحفاظ على الأصول والتقاليد للموسيقى الوطنية • وكانت الموسيقى العسكرية تعزف الحانها في مناسبات الاحتفالات العامة كالاعياد وخروج المحمل كما انها كانت تصاحب العرض العسكرى الذى يقوم به الجيش المصرى في شوارع القاهرة عند القيام بأخذ الحملات العسكرية •

---

(١٥٩) كلوت بك – نفس المرجع – ص ١٢٠ – جـ ٢ انظر أيضا ا• وليم لين : نفس المرجع ص ٣١٥ •

(١٦٠) كلوت بك • نفس المرجع جـ ٢ – ص ١٢٤ •

الرواه المحدثون

كان مستوى الثقافة والتعليم متدهورا أبان الحكم العثمانى وارتفعت نسبة الأمية بين الناس فقد اقتصر تلقى العلم على الكتاتيب العديدة التى تقوم بتحفيظ القرآن والحساب والأزهر الذى ظل العلم فيه تقليديا واعتمدت الدراسة على الحفظ عن ظهر قلب أكثر من اعتمادها على أثارة التفكير ودارت حول شرح المتون والتعليق على الشروح وعلى ذلك فقد ظل المستوى الثقافى بين الأهالى فى حالة تدهور شديد حتى بدأ محمد على فى ارسال بعثاته العلمية الى أوروبا وبداية الاحتكاك بالثقافة والحضارة الغربية وفى ظل هذا المجتمع كان لابد أن يرتفع قدر الرواة والمحدثون وتزداد أهميتهم بين الأهالى الذين كانوا يجلسون منصتين وهم فى غاية البهجة والسرور بما يسمعون من القصص المنظومة نثرا وشعرا غير موزونة وباللغة الدارجة من قصص أبو زيد الهلالى والظاهر بيبرس وعنتر بن شداد وألف ليله وليله وغيرها . ومما هو جدير بالملاحظة وجود مجموعة من باعة الكتب يكونون سوق الكتاب فى القاهرة وكان هذا السوق يحتوى على عدد كبير من المخطوطات المعروضة للبيع وكان من هذه المخطوطات ما يتحدث عن التاريخ والجغرافيا والفلك والتاريخ الطبيعى وقصص ألف ليله وليله التى كانت تحتوى على ١٧٢ حكاية والمخطوطات الشهيرة كانت غالية الثمن والمماليك هم أكثر فئات الشعب حبا للقراءةوفى أثناء الحملة الفرنسية على مصر قام تجار الكتب بأخفاء ما لديهم من مخطوطات التى كان الفرنسيون يهتمون بالاستيلاء عليها وجمعها (١٦١) وأول من نقابل من الرواة فى مصر هم مجموعة يطلق عليهم الشعراء أبو زيدية نسبة الى موضوع روايتهم سيرة أبو زيد وهم فى القاهرة خمسون تقريبا والرواة يقصدون المقاهى خاصة فى الليالى الدينية ويسامرون الناس ببراعة تجذب القلوب يجلس الراوى فوق مقعد صغير فى أعلى المصطبة المقامة بطول واجهة المقهى ويجلس بعض السامعين الى جانبه بينما يجلس البعض الآخر على مصاطب المنازل المقابلة فى الشارع

---

(١٦١) Clarke, op. cit., Part. 2, p. 78.

الضيق والباقون على مقاعد من الجريد وأكثرهم يدخن الشبك وبعضهم يرتشف القهوة وهم جميعا يبتهجون أعظم الابتهاج بسماع الراوى لقوة تمثيله لموضوع القصة ويدفع صاحب المقهى للحاكى مبلغا زهيدا من المال لجذبه المتفرجين الذين لا يعطونه شيئا فأكثرهم لا يعطى شيئا وقل من يدفع منهم أكثر من خمسة فضة أو عشرة (١٦٢) ومن رواة القصص أيضا طبقة تتميز بتسمية خاصة « المحدثين » وهم من حيث العدد يتلون الشعراء ففى القاهرة ما يقرب من الثلاثين منهم والمحدثون يقصرون أنفسهم على رواية سيرة الظاهر بيبرس أو السيرة الظاهرية ومن ثم يسمون الظاهرية • وفى القاهرة طبقة ثالثة يسمون عناترة أو عنترية المفرد عنترى غير انهم أقل عدد بكثير من أية طبقة من الطبقتين السابق ذكرهما وعددهم قد يزيد عن ستة وهم يسمون هكذا تبعا لموضوع روايتهم سيرة عنتر ابن شداد (١٦٣) •

---

(١٦٢) ا• وليم لين : ـ نفس المرجع ـ ص ٣٣٧ •

(١٦٣) ا• وليم لين : ـ نفس المرجع ـ ص ٣٤٣ •

الأمثال الشعبية

المثل الشعبى عبارة عن جملة قصيرة تحمل معنى ومضمونا كبيرا ولا يعرف لها مؤلف بل يتوارثها الناس جيلا بعد آخر ويحتفظ منها بما يتناسب مع حياته وفكره وثقافته كذلك فان الأمثال تعكس لنا المعتقدات الدينية المختلفة والنواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وعادة ما يراعى فى المثل أن يكون به بعض الوزن والقافية وأن يكون جملة قصيرة لكى يسهل حفظه ·

وفى عام ١٨٣٠ أصدر جون لويس فى لندن كتابا تحت عنوان (الأمثال العربية) ·

وقد ذكر المؤلف فى مقدمة الكتاب أنه قد عثر على مخطوطة فى القاهرة بها مجموعة من الأمثال الشعبية والتى بلغ عددها ٧٨٢ مثلا وقد استعان المؤلف بالشيخ شرف الدين لكى يقوم بشرح وتفسير تلك الأمثال له وقام المؤلف بوضع علامة مميزة أمام كل مثل قد اندثر ولم يعد يستخدم فى مدينة القاهرة فى تلك الأثناء وكان المؤلف يذكر أولا المثل باللغة العربية ثم يترجمه حرفيا الى اللغة الانجليزية وبعد ذلك يأخذ فى شرح معنى ومفهوم المثل وفى تضاعيف ذلك يورد أحيانا بعض العادات المصرية وقد صنف الكتاب على حسب ترتيب الأبجدية العربية فبدأ بحرف الألف وعدد أمثاله ١٣٤ ثم حرف الباء وعدد أمثاله ٢٠ فحرف التاء وعدد أمثاله ١٦ وهكذا حتى وصل الى حرف الياء الذى بلغ عدد أمثاله ٤٠ مثلا ·

وسنعرض الآن بعض الأمثال الشائعة فى ذلك الوقت فى القاهرة فمنها ما كان ذو طابع سياسى :

سلطان غشوم ولا فتنة تدوم ·

مصر خيرها لغيرها ·

ومنها ما هو يعكس لنا بعض المعتقدات الطبية وروح التعاون :

أخر الطب الكى .

الحجامة بالفاس ولا الحاجة للناس .

اللص العيار ما يسرق من جارته شيء .

بلدنا صغيرة ونعرف بعضنا .

ومنها ما يعكس رأى الأهالى فى بعض المسائل الاجتماعية مثل تعدد الزواج والطلاق .

زوج الضرتين قفا بين درتين .

غيرة المرأة مفتاح طلاقها .

وهناك بعض الأمثلة الأخرى المتنوعة :

أرقص للقرد فى دولته

الغندرة المخفية التكة والطاقية .

جا واحد يعد أمواج البحر غلط قال الجيات آكثر من الرايحات .

حكم القوى على الضعيف .

خباز ومحتسب .

دموع الفواجر حواضر .

رحم الله من زار وخفف .

الانسان عند الاحسان .

همته عالية وبطنه خالية .

أوهى من بيت العنكبوت .

لا يغرك رخصه ترمى نصفه .

يقول للسارق أسرق لصاحب البيت احفظ متاعك .

زقاق ضيق والحمار رفاص .

زوجى يكدب على وأنا أكدب على الجيران .

رحم الله امرأ عرف قدر نفسه .

ساعة لقلبك وساعة لربك .

قحبة مستورة ولا حرة مبهرجة .

غابت السباع ولعبت الضباع .

الشـــعراء

عرفت مصر فى ظـل حكم محمد على ما يعرف بشعراء البـلاط وهم الشعراء الذين يقومون بمدح الحاكم الذى يرعاهم ويبذل لهم العطاء وكان الشاعر السيد محمد شهاب الدين (١٦٤) قد التحق بخدمة محمد على فى عام ١٢٤٦ هـ ـ ١٨٣٠ م وذلك بعـد ان توطـد حكم محمد على وبلغ أوج مجده وقد طلب من محمد على فى أولى قصائـده فى مديحـه أن يرتب له كسوة ٠

ان أكن قد عريت من ثوب صبرى   وعرتنى يد التصابى بشقوه

فعلى العرى لست اسمى لانى   لى فى كسوة المشايـخ اسوه

أهمية هذه القصيدة الأولى فى مدح محمد على هى دلالتها على عمل الشاعر الذى التحق بخدمة الدولة فبدأ بمدح ولى الأمر ويتناول ما حدث فى عهده كما مدح خلفاءه ورجال دولته ومن يلوذون بسلطانه وكان الشيخ شهاب الدين يعمل فى نفس الوقت فى تحرير الوقائع المصرية **وعمل أيضا كمصحح فى المطبعة ومن أمثلة شعره :**

نسخت بحكم اية عدلك فى الورى   آيـات ظلـم كلهـن مظالـم

وفى قصيدة أخرى يقول :

هو الخديوى وحـيد الدهر مفرد   من لم تكن مثله ولادة ولدت

وفى قصيدة أخرى يقول :

ياعزيزا عـلا على كل عـال   وأرتقى فى الفخار ارفع ذروة

لايتســاوى وكيف وهو وحيد   باسما فى الزمان شخص سموه

كذلك فان الشيخ شهاب الدين أنشـد عـدة قصائد فى مناسبات معارك محمد على ٠

---

(١٦٤) عبد المنعم شميس ـ الشعر والسياسة ـ رسالة جامعية غير منشورة ـ جامعة القاهرة سنة ١٩٥٤ ص ٣٥ ٠

وقد أنشد شهاب الدين عند فتح عكا قائلا :

لقد نصر المليك عزيز مصر ابلغه المنى عزا وملكا
فنادته العلا أن طب وأرضى بمجد العز تفتح ألف عكا

السيد على الدرويش (١٦٥) شاعر آخر من شعراء البلاط بدأ مديحه فى عصر محمد على وأنتهى به الأمر الى أن صار شاعر عباس الأول وقد اتصل السيد على الدرويش ببلاط محمد على فى عام ١٢٤٥ هـ — ١٨٢٩ م وكان ينظم أشعارا مختلفة فى مدح محمد على ٠

رفاعة الطهطاوى (١٦٦) : ان معالجة رفاعة الطهطاوى للشعر مع انصرافه لكافة أنواع الثقافة ترجمة وتعليما لا تعلل الا بالرغبة فى اظهار القدرة على كل شيء ومهما كان شأن هذا الشعر الذى نقرأه لرفاعة فان صلته بمحمد على وتصوره لشخصيته لم تكن من ذلك النوع الذى رأيناه عند الشاعرين السابقين فهو يقول :

تاج الحمام على غصون البان
فأباح شيمته مغرم ولهان

قال فيها مادحا ولى النعمة :

من كان مثل أميرنا فقرينه
اسكندر أو كسرى أنوشروان

فى وجهة النصر المبين على الهدى
لاحت بشائر لكل معانى

فى كفه سيفان سيف عنايه
والشهم ابراهيم سيف ثان

ورفاعة واسع الادراك مقدر الوطنية حق التقدير يصرف معظم حديثه الى مصر ويعلم أن محمد على بدأ عهدا جديدا ٠

(١٦٥) عبد المنعم شميس — نفس الرسالة — ص ٤٢ ٠

(١٦٦) عبد المنعم شميس : نفس الرسالة ص ٤٧ ٠

الفرق التمثيلية والمسرحية

عرفت مصر نوعين من التمثيل فى ذلك الوقت تمثلا فيما يعرف بتمثيل العرائس أو الأراجوز والفرق التمثيلية والجوالة .

وفى القاهرة كان هناك رجال يلعبون عرائيس ويلقى ذلك اقبالا كبيرا . والمسرح الذى يستخدم لذلك الغرض بالغ البساطة ويستطيع شخص واحد أن يحمله بسهولة . ويقف الممثل فى المربع الخشبى الذى يعده بطريقة تمكنه من رؤية خشبة العرض المتفرجون من خلال فتحات صنعت لهذا الغرض دون أن يراه أحد ، ويمرر دماه عن طريق فتحات أخرى ليجعلها تؤدى الحركات التى يريدها عن طريق خيوط يحركها على هواه وحيث أنه ليس من المناسب أن تصدر هذه الدمى أصواتا تماثل قوة صوته هو فانه يجعل صوته الطبيعى حادا ويتم ذلك بواسطة أداة صغيرة يضعها فى فمه ويجعله بالغ الرقة ومصحوبا بانغام الناى وقت الحوار الذى يديره على السنة هذه الدمى الصغيرة ويمضى الأمر على ما يرام اذا لم تكن التمثيلية معيبة ، وتبدأ الدمى عادة بتهنئة بعضها البعض ثم تتشاجر بعد ذلك وتنتهى تلك التمثيلية الهزلية عادة بالشجار (١٦٧) أما من ناحية الفرق التمثيلية فهى تلقى شعبية واقبال من الأهالى وتعرض عروضها فى الحفلات التى تسبق الزواج والختان لدى علية القوم وتجتذب أحيانا عددا كبيرا من المشاهدين فى الميادين العامة وهذه الفرق تجذب التصفيق أساسا بالدعابات المبتذلة المشينة ولا يقوم بالتمثيل الا الرجال فهم الذين يؤدون الأدوار النسائية أو يسندونها الى صبية فى أزياء النساء وتسبق الموسيقى أحيانا هذه العروض التمثيلية (١٦٨) .

ويحدثنا الرحالة الدانماركى « كارستن نيبر » وقد زار القاهرة فى حوالى ١٧٨٠ م أنه شاهد فرق تمثيلية يتفق شكلها على الأقل مع المفهوم الحديث للمسرحية تتخذ من فناء البيوت مسرحا وتقيم حاجزا من الكواليس

---

(١٦٧) علماء الحملة الفرنسية ــ وصف مصر ج ١ ، ص ١٤٦ .

(١٦٨) جيرار : نفس المرجع ص ٢٥٨ ج ٣ .

متبديل ملابسها وتمثل في الهواء الطلق ويشترك فيها المسلم والمسيحي واليهودي وقد أوقف المتفرجون عرضها «باللغة العربية» لأنه لم يعجبهم وكان يعالج قصة امرأة تستدرج عشيقها لمنزلها(١٦٩)·ومن العروض الأخرى التي كانت تقوم تلك الفرق بعرضها قصة امرأة عربية تستدرج المسافرين الى خيمتها لتسرقهم وتسيء معاملتهم ثم تطلق سراحهم (١٧٠) وكذلك هناك عرض كان يبين التعسف في جمع الضرائب من الفلاحين وتلاعب الكاتب القبطي في الحسابات (١٧١) وظلت هذه الفرق التمثيلية تعرض فنها الهابط والذى يحمل سمات شخصيات المسرح الظلي ونقائده قبل التأثر الحقيقي بالمسرح الأوربى الحديثفيما بعد على أيدى مارون النقاش عام١٨٤٧م ويعقوب صنوع ١٨٧٠ م فى لبنان ومصر بالذات (١٧٢) هذا من ناحية مسرح الفرق المسرحية المصرية أما الفرق التمثيلية الأوربية فقد بدأت مصر تعرفها ابان الحملة الفرنسية على مصر ففى أثناء الحملة الفرنسية أوجد نابليون ورجاله مسرحا تمثيليا كان يقدم عروضه بالفرنسية ويخدم فى المقام الأول الأهداف الترفيهية والتثقيفية لجنود الحملة ، فقد ذكر الجبرتى أن حفلات المسرح الفرنسى كانت تقام فى كل عشرة ليالى مرة واحدة لمدة أربع ساعات ، ويتفرجون فيها على ملاعيب يلعبها جماعة منهم بقصد التسلى واللهو (١٧٣) وفى عهد محمد على عرفت القاهرة المسرح الأوربى وقد تمثل ذلك فى صورة عروض ايطالية وفرنسية حيث أن هناك رسالة من القنصل الفرنسى فى مصر المؤرخة فى ٨ نوفمبر ١٨٣١ م وهى تخبرنا بافتتاح مسرح فى الهواء للمواطنين الفرنسين (١٧٤) كما ذكر جيرار أنه قد حضر عرض مسرحى لاحدى الفرق الايطالية بالقاهرة ·

---

(١٦٩) محمد يوسف نجم : المسرحية فى الأدب العربى الحديث بيروت ١٩٥٦ ص ٧٢ ، ٧٣ ·

(١٧٠) علماء الحملة الفرنسية : وصف مصر جـ ١ ص ١٤٨ ·

(١٧١) جيرار : نفس المرجع جـ ٣ ص ٢٥٩ ·

(١٧٢) أحمد المغازى : نفس المرجع ص ٤٠ ·

(١٧٣) الجبرتى : عجائب الآثار جـ ٢ ص ٢٩٧ ·

(١٧٤) محمد يوسف نجم : نفس المرجع ص ١٩ : ص ٢١ ·

الخـاتمة

عرضنا فى هـذا الكتاب مظـاهر الحيـاة الاجتماعية فى مدينة القاهرة خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر فقد شهدت القاهرة فى تلك الفترة تحولات شملت ميادين عدة ويرجع ذلك الى بعض العوامل منها بداية الاحتكاك المباشر والأخذ عن الحضارة الأوربية مما أدى الى وجود صراع بين القديم التقليدى وبين الجديد المستحدث وقد كان لهذا الصراع آثار كبيرة على المجتمع المصرى لا تزال واضحة حتى وقتنا الحاضر وفى تلك الفترة وجدنا عدد سكان القاهرة فى ازدياد مستمر بسبب انتشار الوعى الصحى وادخال طرق الصحة الحديثة وكذلك بسبب انتشـار الأمن فى ربـوع البلاد وادخال المشروعات الصناعية والتعليم الحديث كما أن البلاد فى ذلك الوقت كانت تعتبر منطقة جذب للأجانب الذين قدموا من أجل الحياة الأفضل ٠ ومن أهم فئات الشعب التى تأثرت بالصراع بين القديم والحـديث أسرع من غيرها فئة المشايخ حيث أبعدت عن صدارة المجتمع بسبب عدم قدرتها على مسايرة المتغيرات الجديدة وارتضت لنفسها مكانة أدنى مما كانت لها من قبل طوال تلك الفترة أما العمال فقد كانوا ينقسمون الى نوعين الأول هو طوائف الحرف الصناعية التى كانت لها تقاليدها ونظمها القديمة التى حافظت عليهـا وظلت متماسكة طوال تلك الفترة محافظـة على وجودهـا وكيانها وذلك يرجع الى أن السلطة المركزية لم تجد نظاما اداريا أفضل من طوائف الحرف يضم جموع الأهالى تحت لوائه كما أن العمر الزمنى لتجربة محمد على لادخال الصناعة الحديثة فى مصر لم يكن طويلا وأن معظم تلك الصناعات كانت جديدة على الشعب المصرى فلم يتعارض ذلك مع استمرار وجود نظام طوائف الحرف والنوع الثانى من العمال فى تلك الفترة هم عمال المصانع الحديثة التى شيدها محمد على وقد تم جمع هؤلاء العمال من عدة مصادر مثل الفلاحين والمتعطلين من عمال القاهرة والعبيد وغير ذلك ولم تعتمد هذه المصانع على أخذ عمال طوائف الحرف الا فى القليل النادر ولقد وضع نظام لتدريب هؤلاء العمال وذلك عن طريق الاستفادة بالخبراء الأجانب أو ارسال بعض المبعوثين المصريين الى أوربا للتخصص فى احدى

الصنايع وكانت تحقق خسائر بسبب عدم قدرتها على منافسة البضائع الأجنبيه ولكن الحكومة كانت تحافظ على وجود هذه المصانع لسد حاجة الجيش. كانت القاهرة تمثل مركزا هاما للتجارة الداخلية والخارجية بمصر وكان تجار القاهرة ينضمون تحت نظام طوائف الحرف وقد تمتع شيخ طائفة التجار بسلطات واسعة وقد ازدهرت التجارة فى ذلك الوقت بسبب استتباب الأمن وازدياد المحاصيل السلعية ورغبة الباشا فى انشاء جيش وصناعة حديثة لهذا شهدت القاهرة تدفق كثير من التجار الأجانب عليها من مختلف البلاد ومن فئات الشعب فى تلك الفترة أيضا الاتراك الذين يمكن تقسيمهم الى أتراك أحرار (اسيويون واربيون) وأتراك مسترقة (المماليك) والمماليك هم أقدم الأتراك الذين قدموا الى مصر وكانت لهم نظم وتقاليد خاصة بهم ولكن هذا النظام بدأ يضعف تدريجيا ووجهت اليهم الحملة الفرنسية وحروب محمد على ضربات أليمة مما أدى الى الاطاحة بنفوذ المماليك فى مصر أما الأتراك الأسيويون فأهم فرقهم هى الدلاة التى تميزت باثارة الشغب والفوضى فى البلاد وأهم فئات الأتراك الأوربيين هى الأرنؤط التى كانت لا تقل شغبا واثارة للفوضى على البلاد مما جعل محمد على يتحين الفرصة المناسبة لابعاد مثل هذه الطوائف خارج البلاد .
لعب المغاربة دورا هاما فى مجتمع القاهرة حيث أنهم كانوا كثيرى العدد ويتمتعون بالثراء لذلك وجد منهم التجار وبعض الحرفيين ومنهم من عمل بالتدريس فى الأزهر وكان للمغاربة وضع متوسط بين الجاليات الأجنبية وباقى الولايات العثمانية فهم من ناحية دولة مستقلة لها سلطان يرسل وكيلا عنه يتولى شئون المغاربة فى القاهرة ومن ناحية أخرى هم عرب مسلمون لذلك انتشرت المغاربة بين جموع الأهالى وقد شكلت مصر خلال عهد محمد على عنصر جذب للسوريين الذين وجدوا فى البلاد مجالا لهم لمزاولة التجارة وأعمال المال والضرائب وبعضهم عمل بمصانع الباشا .

شكل أهل الذمة من أقباط ويهود أقلية داخل مجتمع القاهرة ومارس الأقباط كثيرا من الأعمال ومن أهمها أعمال الصرافة والضرائب وعندما قدمت الحملة الفرنسية الى مصر حاولت تحسين أوضاع الأقباط فى البلاد وفى نفس الوقت التقرب من المسلمين والدين الاسلامى حتى يكسبوا عطف أهل البلاد وبعد أن اعتلى محمد على باشوية القاهرة وبدأ حال الأقباط يتحسن تدريجيا حيث أن الباشا كان يبحث عن الكفاءة والخبرة أيا كان مصدرها أو جنسيتها أو دينها وكانت التراخيص تصدر بتعمير واصلاح الكنائس ومن أهم التطورات التى شاهدها الأقباط فى عهد محمد على هو دخول سلك الجندية لأول مرة فى تاريخ مصر الحديثة وتمتع الأقباط بالحرية الكاملة فى تطبيق شرائعهم على أهل جلدتهم وقد شكل الرقيق فى

تلك الفترة عنصرا من عناصر المجتمع فى القاهرة وكان منهم الأبيض والبنى والأسود رجالا أو نساء أو صبيانا وكل منهم له ثمنه وعليه واجبات معينة داخل المنزل وتعددت المصادر التى جاء منها هؤلاء العبيد وطرق جلبهم التى تراوحت بين الأسر فى الحرب والشراء والصيد ونظام الفردة أو الضرائب وعمل كثير من العبيد السود فى الجيش والمصانع الحديثة والشئون الزراعية وكان غالبية العبيد يفضلون المعيشة مع الأسر المصرية وذلك بسبب الرغبة فى الاستقرار ولأن مستوى المعيشة كان أفضل لهم وهناك نوع آخر من العبيد وهم العبيد الطواشين عرفتهم القاهرة فى ذلك الوقت وكانت هناك أماكن معينة مثل أسيوط تجرى فيها عملية الجب وتقوم القاهرة بتصدير عدد من هؤلاء العبيد الى الأستانة وقد شكل تجار العبيد طائفة خاصة بهم ومنهم من عمل فى تجارة العبيد السود وكانت لهم سوق لبيع العبيد بالقاهرة وقد حاولت انجلترا فى منتصف الثلاثينات الغاء عملية تجارة الرقيق فى مصر وبذلت عدة محاولات من أجل ذلك. لعبت الامتيازات التى منحتها الدولة العثمانية الى الأجانب دورا كبيرا فى جذب الأجانب الى الولايات العثمانية مثل مصر ومن هذه الامتيازات ما كان تجاريا أو قضائيا وكذلك عمل محمد على على الاستفادة بالخبرة الأجنبية فى مجال الجيش والصناعة والتعليم وغيرها وتسامح معهم من الناحية العقائدية لذلك تدفق الأجانب الى مصر فى عهد محمد على بكثرة ومن أهم الجاليات فى ذلك الوقت الفرنسية واليونانية والأرمن والانجليزية والروسية والأسبانية وغيرها وعمل الأجانب فى مجالات شتى بمصر وتناول البحث العمران فى مدينة القاهرة التى كانت تعد من أكبر مدن الدولة العثمانية بعد الأستانة وقد قدر محيطها بما يقرب من ٢٥ كيلو مترا وكانت عند بداية القرن التاسع عشر تأخذ شكلا مستطيلا يبعد عن مجرى نهر النيل بحوالى كيلو متر واحد وكانت تنتشر بها المساحات الخالية والخربة وتميزت شوارع القاهرة فى ذلك الوقت بعدم اتساعها وقلة نظامها وكثرة الالتواء وقد حاول محمد على توسيع بعض الشوارع وجعلها تسير فى خطوط مستقيمة كما أمر بوضع لافتات تحمل أسماء كل شارع وكذلك أمر بوضع أرقام على المنازل وبيوت القاهرة كانت مبنية بطريقة تتناسب مع طبيعة الأهالى والبيئة وقد روعى عند بنائها الحفاظ على حرمة أهل البيت وأن تتناسب مع طبيعة الطقس الحار فى البلاد وكذلك انتشرت فى القاهرة القصور التى كان يبنيها علية القوم وقد شهدت القاهرة نموا عمرانيا كبيرا خلال عهد محمد على تمثل فى اتجاهين الأول هو اتساع رقعة المدينة واتخذ هذا الاتساع جهة الشمال الغربى نحو النيل وقد ساعدت القصور التى بناها الباشا وأسرته مثل قصر شبرا وقصر ابراهيم باشا على أن تمتد مدينة القاهرة تجاه تلك القصور والاتجاه الثانى فى نمو القاهرة هو ملء الفراغات الكثيرة الموجودة

داخل المدينة ويلاحظ أن نمو القاهرة لم يكن نتيجة خطة موضوعة من قبل ولكنه كان نتيجة ورد فعل للتغيرات السكانية والصناعية والتعليمية وغيرها التى شهدتها القاهرة وتعددت المنشآت العمرانية بالقاهرة حيث شيدت مصانع الأسلحة فى القلعة والقاهرة ومصنع الذخيرة فى جزيرة الروضة لدواعى الأمن وقد نقل تصميم هذه المصانع عن أوربا أو احلت مكان مصانع قديمة وكذلك انتشرت المصانع الحديثة بخاصة فى بولاق لقربها من مصدر المياه والميناء وبسبب الانتاج الصناعى والزراعى فى البلاد كثر انشاء المخازن والحواصل الحكومية وكذلك تعددت المحال التجارية الخاصة بسبب ازدياد عدد السكان وارتفعت أسعار ايجارات هذه الدكاكين بشكل حاد وتهافت الناس عليها كذلك أهتم محمد على باقامة المؤسسات العلاجية فأقام المستشفيات العسكرية والمدنية ومستشفى الولادة وكذلك أفتتح مدرسة الطب ومدرسة الصيدلة وأخرى للولادة واهتم الباشا بتأسيس المنشآت التعليمية التى تراوحت بين المطبعة الأميرية فى بولاق والمدارس العليا المتخصصة فى عديد من المجالات والمدارس التجهيزية ومكاتب المبتديان وبالاضافة الى ذلك أقيمت منشآت عمرانية أخرى بالقاهرة فى تلك الفترة منها ما كان ذو صبغة دينية أو خيرية مثل مسجد محمد على بالقاهرة وبعض السبل وكذلك ازداد عدد الوكائل والفنادق بسبب الزيادة المستمرة فى عدد الأجانب كما أقيمت دار لحفظ الآثار ودار الرصدخانة ٠

اهتمت الحكومة برعاية شئون البريد وذلك بسبب مركزية السلطة ورغبتها فى الاتصال بالموظفين فى المديريات المصرية وكذلك فى السودان والحجاز كما رغب الأجانب فى الاهتمام بالبريد بسبب ازدياد نشاطهم داخل البلاد لذلك شهد البريد الحكومى تطورا كبيرا لتحقيق سرعة الاتصال كما عرفت القاهرة البريد الخاص الذى يخدم الأهالى واستخدمت الحكومة التلغراف الهوائى بين القاهرة والاسكندرية وبالنسبة للشئون الصحية فقد كانت سيئة بسبب اهمال السلطات لها وانخفاض المستوى الثقافى للأهالى وانتشار الخرافات والمعتقدات الخاطئة فى مجال الطب والعلاج وكثيرا ما كانت القاهرة تفاجأ بأوبئة خطيرة وقاتلة لذلك عمدت الحملة الفرنسية خلال وجودها بالقاهرة الى الاهتمام ببعض الشئون الصحية وفرض الحجر الصحى وقد اهتم محمد على كثيرا بالشئون الصحية لرغبته فى اقامة جيش قوى ولتنفيذ مشروعاته الطموحة فى الداخل والخارج لذلك قام الباشا بتطبيق الطب الوقائى عن طريق عمل الحجر الصحى عند اللزوم والعمل على نشر التطعيم ضد الأوبئة الخطيرة بين الأهالى كذلك اهتم الباشا بانشاء المؤسسات العلاجية والطبية المختلفة وتناول هذا البحث أيضا الحياة الثقافية ففى جانب التعليم الذى شهد بدوره تطورات هامة أوضحنا

العناصر والجهات التى قدم منها طلبة المدارس الحديثة فمنهم المماليك وأولاد البلد وطلبة الأزهر وأمراء البيت الحاكم وأبناء المديريات البحرية والقبلية من تلاميذ المكاتب وكذلك بعض العبيد أما طلبة الأزهر فقد كانوا من مختلف مديريات ومدن وقرى البلد كذلك من الأقاليم الأخرى غير المصرية وكان طلبة الأزهر مندمجين تماما فى مجتمع القاهرة ويكونون جزء لا يتجزأ منه بل ان الأزهر كان يعبر عن رغباتهم فى وقت الأزمات ويمثل منبرا للدين والوطنية فى القاهرة أما طلبة المدارس الحديثة فكانوا منعزلين تماما عن مجتمع القاهرة ويعيشون داخل سياج حديدى مما جعل المدارس الحديثة جزر منفصلة داخل القاهرة ، وبالنسبة للبعثات العلمية فان أعضاءها كانوا ينتمون الى جهات وأماكن عديدة منهم موظفى الدولة وطلبة المدارس الحديثة وطلبة الأزهر ومنهم المسلم ومنهم الزمى ومنهم القاهريون وأبناء المديريات المختلفة بل وبعض الجنسيات الأخرى وكان لطلبة البعثات أثر كبير عند عودتهم على المجتمع فى جانب الأفكار والأراء وكذلك العادات والتقاليد وعرفت مصر الصحافة خلال الحملة الفرنسية عندما أصدرت صحيفتين لجنود وعلماء الحملة الفرنسية ثم أصدرت قيادة الحملة عديدا من المنشورات الدعائية التى كانت تعد بمثابة صحف حائط وفى عهد محمد على صدرت عدة صحف وكان أولها جورنال الخديوى الذى كان يهدف الى جمع أخبار كافة المصالح الحكومية وعرضها على الباشا ثم صدرت جريدة الوقائع المصرية ١٨٢٨ وذلك بغرض نشر الحوادث الواقعة فى كافة مصالح ودواوين الحكومة ونشرها على الموظفين للاستفادة منها وشهدت هذه الجريدة عدة تطورات من ناحية الشكل والمضمون حيث بدأ ينشر فيها حوادث وأخبار خارجية تتعلق بالدول الأجنبية بالاضافة الى بعض المقالات الأدبية وكانت هذه الجريدة توزع على كبار الموظفين مقابل خصم رسم سنوى كما انها كانت توزع على جهات أخرى مختلفة وبالاضافة لذلك ظهرت صحف أخرى مثل الوقائع الطبية والوقائع الحربية وصحيفة الزراعة والتجارة وكلها مختصة بنشر حوادث الجهات المتعلقة بها وقد أحضرت الحملة الفرنسية معها جهازا طباعيا ضخما لكى يقوم بطبع صحيفتى الحملة الفرنسية وذلك بالاضافة الى المنشورات العربية والأجنبية وقد حملت معها المطبعة عند جلائها عن مصر وبعد أن تولى محمد على حكم مصر اهتم بادخال الطباعة فى البلاد ونظرا الى الحاجة الماسة الى طبع الكتب العلمية المختلفة والصحف لذلك تم انشاء مطبعة بولاق وأحضر لها كافة المعدات اللازمة من المطابع الأخرى الصغيرة فى بعض المدارس والمصالح لكى تقوم بطبع ما يلزم للجهات التابعة لها ، وقد ظهرت الحاجة بالبلاد فى تلك الأثناء الى الترجمة والمترجمين لكى يقوم بنقل وترجمة علوم الغرب المختلفة حتى يستفيد منها طلبة المدارس وفى بداية الأمر كان هناك نقص شديد فى المترجمين ولذلك

اعتمد على بعض السوريين وكبار الموظفين لكى يقوموا بتلك المهمة وبالاضافة الى ذلك طلب من طلبة البعثات العلميـــة فى الخارج ترجمـــة الكتب التى يدرسونها وبعد افتتاح مدرسة الألسن تم تخريج أعداد مناسبة من المترجمين تمكنوا من ســـد حاجة البلاد فى هذا المجال وفى مجال الشئون القضائية والأمن وضـــحنا حـــالة القضاء فى مصر العثمانية وقواعده التى أرساها السلطان سليمان القانونى حيث كان هناك على رأس القضاء قاضى القضاه أو قاضى العسكر ونوابه الأربعة الذين يتبعون المذاهب الأربعة المشهورة وكان قاضى القضاه يجلس فى المدرسة الصالحية أو محكمة الباب العـــالى للفصل فى القضايا التى كانت تتعلق بالنواحى الشرعيـــة والمدنية مثـــل الزواج والطلاق والبيع والوصايا والايجار والعتق والوقف واشهار الاسلام والارث وقد كان يوجد بالقاهرة فى ذلك الوقت خمس عشرة محـــكمة فى مناطق مختلفة وكان القاضى ونوابه من العثمانيين ولكن فى نهاية القرن الثامن عشر بدأ فى تعيين بعض القضاة من المصريين وفى خلال الحملة الفرنسية شهد القضاء المصرى عدة تعديلات منها ان ديوان القاهرة كان يقوم بعمل محكمـــة النقض والابرام حيث كان من اختصاصاتـــه النظر فى الأحـــكام الصادرة ومراجعتها وكذلك نظم قادة الحملة القضاء للطوائف غير الاسلامية وفى عهد محمد على أدخل الباشا اختصاصات قضائية لبعض المجالس مثل ديوان الوالى الذى أصبح من حقه النظر فى كثير من الأمور القضائيـــة ٠ كما أنشأ محمد على عام ١٨٤٢ م مجلس جمعية الحقانية لكى يقوم بدور محكمـــة استئنافيـــة وكذلك تم انشاء مجلس تجـــارى بالقاهرة للنظر فى القضـــايا التجارية التى تنشأ بين التجار ســـواء كانوا مصريين أو أجانب ولكن يلاحظ بصفة عامة أن نظام القضـــاء فى عهد محمد على ظل خاضعا للسلطة التنفيذية ولم يتم الفصل بينهما فصلا نهائيا وفى مجال التشريع ظل العمل بالشريعة الاسلامية فى مجال القضايا الشرعية وذلك خلال حكم محمد على أما القانون المدنى والجنائى والتأمينات الاجتماعية فقد شهدت تغيرات تتناسب مع الأوضاع المصرية حيث أصدر محمد على فى ١٨٣٧ م قانونا خاصا بجرائم الموظفين وعقوباتها وبعد ذلك صدرت قوانين جنائية مختلفة كان منها ما خرج عن الشريعة الاسلاميـــة وفى مجال التأمينـــات الاجتماعية وضـــع محمـــد على قانونا نظم به شئون المعاشات والتأمينات الاجتماعية ٠

وفى مجال الأمن شهدت البلاد حالة استقرار فى النواحى الأمنيـــة وذلك نتيجة لجهود محمد على الجادة فى تلك الناحية لاقتناعه بأهمية ذلك لتحقيق طموحاته الداخليـــة والخارجيـــة ٠ وأخيرا تناولت العـــادات والتقاليد وركزت على توضـــيح المحـــاور أو الاتجـــاهات التى أثرت على

عادات وتقاليد الشعب المصرى وهى الروح الدينية التى كانت مسيطرة على شعور ووجدان الأهالى وتحدد كثيرا من عاداتهم وتقاليدهم ولو انها كانت مختلطة فى كثير الأحيان مع المعتقدات الشعبية الخاطئة . وروح التعاون كذلك أثرت على عديد من عادات الشعب وتجلى ذلك فى كثرة الاحتفالات العامة والخاصــة التى تجمع كثيرا من الأهالى وهناك أيضا بداية التأثر بالحضارة الأوربية الذى لعب دورا هاما فى بداية التغير لبعض العــادات المصرية كما حدث فى مجال الملبس والمأكل والزواج والفرق التمثيلية كما أن الطقس الحار في مصر أثر بدوره على عادات المصريين لذا وجدنا معظم احتفالاتهم تتميز بطول السهر فى الأماكن الخلوية وكذلك أثرت على طريقــــة صنع الملابس واختيار ألوانها وتصميم البيوت والمنازل . ثم وضحت أهم عادات الشعب المصرى من احتفالات عامة وخاصة دينيــة أو غير دينيــة والملابس والحمامات العامة والمشارب والطعام ووسائــل اللهو والتسليــة والرواة والمحدثون والشعر والأمثال الشعبية والتمثيل والفرق التمثيلية .

الملاحـق

الملحق الأول

دار الوثائق بالقلعة ـ دفتر ١٢٨ مدارس عربى ص ١٦٣٧ نمرة ٤١٨ من الديوان الى مدرسة المهندس خانة فى ٢٧ ربيع الأول سنة ١٢٦٥ هـ صدر النطق العالى من سعادة أفندينا ولى النعم بأعمال رسم عن بلد مستجدة على اسم دولته جهة الحصوة (العباسية) وتحول ذلك عهدتنا بهذا لزم تعريفه يلزم تنبهوا ترتيب من يلزم من طرفكم لأخذ خارطة الأرض ما بين سكة السويس وسكة الخانكة ببعد مقدار ألف متر واحد والحدود الغربى أرض المزارع وبعد أخذ الخارطة المقتضية عن ذلك وبعدها ينظر فى ذلك مجلس المهندسين ويجرى هندسة وترتيب ما يلزم ٠

الملحق الثانى

دار الوثائق بالقلعة : ترجمة الوثيقة من محفظة رقم ١٠٣ عابدين ملف متفرقات سنة ١٢٤٦

بيان المبانى الأميرية التى انشئت فى قسم عابدين

أشترت الحكومة بيت حسن أفندى الواقع فى عطفة الحمزاوى سنة ١٢٤٦ ورمته مرمة تقرب من التجديد ، وهو بيت واسع شمل الحرملك والسلاملك ، وقد أنعم على يعقوب بك أمير لواء الغارديان فى حى الراودية بيت لعلى أغا أحد رفقاء جوقدار الأندروق وقد رم سنة ١٢٤٦ ٠

وفى حى المدابغ القديمة بيت للمرأة نفيسة أشترته الحكومة سنة ١٢٤٦ ورمته فانعم به على الصاغقو لأغاس ابراهيم أغا ٠

فى سوق العصر الواقعة بالراودية فبلغ طوله عشرون ذراعا وعرضه خمسة عشر ، وفيه غرفتان وممشاه (طرقة) وفسحة (صالة) سقفه بعقد ٠ وقد أنشىء عام ١٢٤٩ بالأحجار المنحوتة ٠

ورشة الترزية :

فى الراوية ورشة للترزية طولها مائة وثلاثون ذراعا وعرضها تسعون ومحاطة من جهاتها الأربع بغرف تشغيل الأسطوات الترزية يتوسطها ميدان واسع بنيت سنة ١٢٤٣ هـ فى المغربلين منزل لعلى أغا القرنقوطى طوله سبعون ذراعا وعرضه خمسة وثلاثون اشترته الحكومة ١٢٤٧ ورمته أحسن مرمه فأنعم به على صالح بك الميرارى السوارى وهناك بيت لطاهر أغا يقع بحى المغربلين طوله خمسون ذراعا وعرضه مثلها اشترته الحكومة سنة ١٢٤٦ هـ ورمته فأنعم به الأميرالاى حمزة بك ٠ فى درب الأغوات منزل لناظر الوادى راشد أفندى اشترته الحكومة سنة ١٢٤٦ ورمته أحسن مرمه

فانعم به على الأميرالاى سليمان بك وفى الدرب المذكور بيت لحسين الكاشف اشترته الحكومة سنة ١٢٤٦ ورمته فأنعم به على أغا العنابر مصطفى أغا وفى الخرنفش بيت لرضوان كتخدا مجاور لبيت محمد الكاشف رمته الحكومة سنة ١٢٤٨ ورمت الحكومة بيت القهوجي باشى أمين أغا الواقع بالخرنفش .

بيان المبانى التى رمت او انشات بقسم بولاق :

رمت الحكومة سنة ١٢٤٤ البيت الواقع ببولاق المنعم به على مصطفى بك ورمت فى السنة المذكورة بيت طاهر بيك الأرناؤوطى الواقع بذلك الحى فانعم به حسين بيك الطويل . ورمت بيت أدريس بك الواقع بحى بولاق سنة ١٢٥٠ . اشترت الحكومة بيت الشيخ جعفر بدرب كهلة ١٢٤٦ ورمته فانعم به على البكباشى شاهين أغا . وقد أنعم على البكباشى حسن أفندى بالبيت الواقع بحارة الوايلى فى حى وبلاق بعد أن رمه وهو البيت الذى اشترى من السيدة طيبة .

قصر اسماعيل ــ وقد تم عام ١٢٣٢ انشاء القصر الذى بنى ببولاق من أجل المرحوم اسماعيل باشا نجل جناب الخديوى المجيد وقد نقشت كل دوائره بالألوان المختلفة من النقوش وفرشت صالته بالرخام الأفرنجى ونقشت دائرة حرمه وطليت بماء الذهب فكان قصرا فخما يسر منظره الناظرين .

شونة ــ انشأت الحكومة سنة ١٢٣٢ مخزنا تجاريا ببولاق وانشأت عام ١٢٣٠ بساحل بولاق دائرة صغيرة خالصة لاقامة الباشجاوشية .

قصر بولاق ــ وفى سنة ١٢٢٨ أنشأت فى حديقة سراى بولاق قصرا (جوسقا) وأنشأت عام ١٢٣٠ منزلا لسكنى فرهاد أفندى ناظر شونة بولاق .

ورمت الحكومة سنة ١٢٣٥ بيت داود أغا أحد قواد جناب ولى النعم الواقع ببولاق ورمت سنة ١٢٤٠ ببولاق بيت حسن أفندى أحد أتباع المرحوم اسماعيل باشا .

ورم عام ١٢٤٤ ببولاق بيت حسن سلمان على زمة الحكومة كما رم عام ١٢٤٥ ببولاق بيت عبد الحلم الللوانى على زمة الحكومة أيضا وقد رمت الحكومة سنة ١٢٤٥ ببولاق بيت أحمد الملايجى اشترت الحكومة بيت الرجل المدعو شيمى الواقع ببولاق سنة ١٢٤٦ وقد أنشئت سنة ١٢٣٧ ترسانة فخمة ببولاق . مناخ الابل ببولاق . وأنشأت الحكومة سنة ١٢٢٩ مناخ للابل بجوار الشيخ فرج ببولاق .

شونة ـ وأنشأت الحكومة سنة ١٢٣٣ وكالة أصناف ببولاق وكالة أخرى للسكر فى ذلك التاريخ • أنشأت مكبسا فى سنة ١٢٣٨ وفى سنة ١٢٣٧ دار طباعة فخمة (وقد أبطلت هاتين الجملتين بخط وضع عليهما) •

صناعة نسيج ـ انشأت الحكومة عام ١٢٣٧ دواليب القطن الهندى صناعة :

وأنشأت الفبريقة الكبرى سنة ١٢٣١ وانشأت تجاههما فبريقة السبتية •

شونة : وانشأت عام ١٢٣٨ وكالة حصير جديدة • شونة : وانشأت الحكومة سنة ١٢٤٠ شونة لخزن القطن • شونة : وانشأت عام ١٢٤١ شونة للعصفر • شونة : وأنشأت عام ١٢٤١ وكالة أخرى للحناء • صناعة نسيج : ولقد أخذت أشغال فبريقة التى أنشأت سنة ١٢٣٤ فى الازدياد يوما فيوما بفضل بركات ولى النعم فشرع الآن فى اضافة ملحقا لها ليكون محلا للتشغيل • صناعة نسيج : وانشأت سنة ١٢٤٤ فى جهة البحر ببولاق مصنت شيت ومبيضة وأنشأت فى جوار المحل المذكور أمكنة الدواليب التى تدار بالنار (أى البخار) صناعة حرير : ودار الحرير التى بنيت حديثا ببولاق قد أنشأت سنة ١٢٤٤ وورشة الظهورات المبنية بجوار وكالة السكر قد رمت سنة ١٢٤٦ صناعة نسيج • وأنشأت سنة ١٢٤٦ عنابر تجاه فبريقة الجوخ القديمة خصيصا لصناع العباء (نوع من قماش الصوف) • صناعة حربية : وانشىء السنة المذكورة مخزن بناق بجوار التكية ببولاق • ورمت ١٢٢٣ سبغة ببولاق خاصة لاقامة الجنود فى سنة ١٢٣٧ أنشأت ببولاق ساقية تدور بدون ثيران • فى سنة ١٢٤٤ رمت الحكومة بيت خفتانى المرحوم اسماعيل باشا الكائن ببولاق وأنعم على عباس باشا • شونة : وانشأت سنتى ١٢٤٤ ، ١٢٤٥ مخازن حصر فى المناخ القديم •

حوض الفحم :

وأنشىء سنة ١٢٢٩ حوض ببولاق لتصنيع الفحم • شونة : وانشأت سنة ١٢٢٩ حواصل ببولاق لخزن مهمات عساكر الجهادية • شونة : وانشأت سنة ١٢٤٠ شونة جديدة للمسكة تجاه شونة ملكه وأنشىء سنة ١٢٤٠ ببولاق رصيف لحديقة طبو زادة شونة : وانشأت عامى ١٢٤١ ، ١٢٤٢ ببولاق شونة حديثة للفحم •

شمونة : وأنشأت ورمت شونة جرايات الجهادية الواقعة ببولاق عامي ١٢٤٦ ، ١٢٤٨ . مخزن الصيدلة : وأنشأت ببولاق سنة ١٢٤٨ بالترسانة مخازن الصيدلة وغرف أيضا .

بيان المباني التي أنشئت ورمت في قسم مصر القديمة :

قصر الجيزة : أن منزل جناب الخديوى الساحلي الواقع بالجيزة قد أنشىء سنة ١٢٢٩ وجددت حديقة الخارجية وسواقيه في سنة ١٢٤١ . مدرسة الجيزة : في سنتي ١٢٤٧ ، ١٢٤٨ أنشئت غرف واصطبل لتلاميذ مدرسة الجيزة . ثكنات : وأنشأت تلك السنة ثكنة ذات أربعة عنابر بجوار المدرسة المذكورة .

قصر أثر النبي : وأنشىء قصر عال بالأثر الشريف سنة ١٢٣٢ وأنشأت له حديقة وسور سنة ١٢٣٦ .

مدرسة الطب : قد رم قصر العيني عام ١٢٤٧ على أن يتخذ مدرسة وأنشىء له رصيف عام ١٢٤٨ .

قصر طوسن : أنشىء بالروضة قصر سنة ١٢٣٢ من أجل المرحوم طوسون بك وأنشأت له الحكومة حديقة سنة ١٢٣٥ .

وأنشىء في العام المذكور منزل ساحلي لحضرة شريف بك رمت الحكومة سنة ١٢٤٥ البيت القديم الواقع بخط الحمزاوي لطاهر افندى كبير مؤذني الجناب العالي . على أن تكون سكنا لعبد الكريم أفندى رمت الحكومة سنة ١٢٤٦ البيت الذى اشترى لصالح أغا بالجوانية ورمت في سنة المذكورة البيت الذى اشترى من التاجر محمد بخط الخسنية وقد رم سنة ١٢٣٦ لبيت الذى اشترى من سليمان الكاشف بخط الشعراوي فانعم به على أمير اللواء أحمد بك وفي سنة ١٢٤٩ رم البيت القديم الواقع بحي الحمزاوي للمرحوم الدفترى .

بنت الحكومة اصطبلا جديدا في القرية التي يقال لها قبة الغوري سنة ١٢٣١ .

: في سنة ١٢٣٥ رمت الحكومة جامع الظاهر الواقع خارج الحسنية لتتخذه مخبزا لها .

المـــذبح :

وفي سنة أنشأت في خارج الحسنية بناء يشمل عدة حواصل على أن تتخذه مذبحا مصنع الورق بالحسنيـــة : وأنشأت سنة ١٢٤٩ مصنـــا

للورق بحزاء البنيان السابق لكن العمل جار فى توسيعه فلا يزال تحت الانشـــاء ٠

مصبغة الظاهر : واتخذت الحكومة سنة ١٢٣٢ جانبا من جامع الظاهر مصبغة وأنشأت سنة ١٢٤٩ مصاطب بقبة الحزب قنطرة العدوية : وأنشئت من الحكومة قنطرة سنة ١٢٤٥ بجوارى العدوى ، ورمت الحكومة فى خلال تلك السنة سور العدوية بوابة بجوار مصنع الشمع بالحسنية فى ١٢٤٦ رمت الحكومة البوابة الواقعة بجوار مصنع الشمع بالحسنية ورمت الحكومة فى سـنة ١٢٣٤ بيت عبد الله التارندلى الواقـع بخط الخرنفش لتتخذه ديوانا للأقمشة اشترت الحكومة بيت الحاج سعودى المنياوى الواقع بسوق الزلط فرمنه فى سنة ١٢٣١ وأنعم به على عبد الله أغا صارى لولى أحد قواد الجناب العالى ورمت الحكومة بيتـا أخر بالسوق المذكورة ليخصص لاقامة الجنود ٠ وفى عطفة عبد الله بك بالسرجية بيتان اشترتهما الحكومة سنة ١٢٤٦ صاحبيهما السيد على مصباح والجاويش ابراهيم ورمتهما مرمة متقنة وأنعم بهما على المرحوم اسماعيل بك ضابط المحروسة سابقا (القاهرة) واشترت بيتا لسعيد أغا من أغوات عنابر الأندرون بالحى المذكور فرمنه مرمة متقنة وأنعم به على اسماعيل بك ضابط القاهرة العالى ٠ ولخنبن بك بعطفة الماسى بحى قيسون اشترته الحكومة سنة ١٤٢٦ ورمته فأنعم به على أمير اللوء عمر بك ٠ وبالحى المذكور بيت لحسن أفندى اشترته الحكومة عام ١٢٤٨ ورمته مرمة متقنة فأنعم به على البكباشى خورشيد بك ٠ ورمت الحكومة البيت الذى يسكنه طيفوريك أميرالاى الطوبجية بعطفة الغبورجية بسوق السلاح مرمة تقرب عن التجديد وكان ذلك فى سنة ١٢٤٦ واشترت الحكومة سنة ١٢٤٦ البيت الذى تملكه السيدة طيبة بالغبورجية فرمتـه وأنعم على مصطفى أغا من أغوات العنـابر : واشترت البيت الذى يملـكه الترجمان أغا بالعطفة المذكورة فرمته ٠

مطبعة الجهادية سنة ١٢٤٨ على أن يكون نصفه لسقائى الجهادية والنصف الأخر مطبعة لديوان الجهادية وللحكومة مناخ الجمالها من وقف السلطان بردق طوله مائة وخمسون ذراعا مبانى عسكرية وعرضه مائـة وعشر أذرع وبنى سنة ١٢٤٨ مخزنا للمهمات الحربية ٠

واشترت الحكومة بيتا للسيدة زنوبة بعطفة لشيخ نور الظلام بالحى المذكور فرمته باتقان وأنعم به سنة ١٢٤٥ على محمد أفنـدى ٠ قائمقـام الجهادية ٠

فحفر بحى العليبة محفر طوله خمس وعشرون ذراعا وعرضه خمس عشرة ، وقد أنشىء فى عام ١٢٤٥ ٠

الملحق الثالث

دار الوثائق بالقلعة ـ أوامر خزينة زكي ـ دفتر ٤١

رقم	تاريخه	اسم التاجر	تصدير نوع	المقدار	الجهة المصدر اليها
١	٢٧ الحجة ١٢٢٦	ماركو فلاوه بى	ذرة	٣٠٠ أردب رشيدى	بلاد اخرى
٤	٣ ربيع أول ١٢٢٧	بتروجى	قمح	١٥٠٠ » »	الخارج
٥	١٩ » » »	باولوجمار	فول جديد	١٠٠٠ » »	»
٦	٢١ » » »	قبدا بوس	قمح	٢٠٠ » »	»
٧	٥ ربيع آخر »	روستى	فول	١٠٠٠ » »	»
٨	٥ » » »	جوانى	فول جديد	» »	»
٩	٩ » » »	صادق اغا	فول	١٠٠٠ » »	»
١٠	١١ » » »	احمد اغا	قمح	١٠٠٠ » »	»
١١	١٣ » » »	جوانى	حنطة	٥٠٠ » »	»
١٢	١٣ » » »	»	»	» » »	»
١٣	» » » »	»	فول	» » »	» » » »
١٤	» » » »	»	حنطة	١٠٠٠ » »	بلاد اخرى
١٦	١١ جماد أول »	ياسف	فول	١٠٠ » »	»
١٧	١٧ » » »	باولى انبار	»	٦٥ » »	»
١٨	٢٣ » » »	يوركى المورلى	حنطة	٢٥٠ » »	»

رقم	تاريخه	اسم التاجر	تصدير نوع	المقدار	الجهة المصدر اليها
١٩	٢٩ » » »	» »	»	٢٠٠ » »	»
٢٠	٢٧ » » »	محمد اغا	»	١٠٠ » »	»
٢١	٩ جمادى آخر ١٢٢٧	قبودانات اسبانيا	حنطة	٤٠٠ اردب رشدى	»
٢٢	» » » »	قمص (قنصل اسبانيا)	»	»	»
٢٣	» » » »	قيرة وسى	»	٣٠٠ » »	»
٢٤	١٥ » » »	عثمان اغا	قمح	١٥٠٠ » »	»
٢٥	٩ رجب ١٢٢٧	ابراهيم اغا	بذر كتان	٣٠٠ اردب رشيد	بلاد اخرى
٢٦	١١ » »	روسى	حمص	٢٠٠ » »	»
٢٧	٢٧ » »	حسن خواجه	حنطة	١٠٠٠ » »	جزيرة رودس
٢٨	٩ شعبان	شريف محمد	حنط ، أرز	١٠ ، ١٠ ، ٢ قنطار	الاستانة
٢٩	٢٦ »	عبد الله الطرابلسى	فول	١٠ ، ١٠ اردب	»
٣٠	٢٧ »	باولى النبر	»	٩٠٠ »	بلاد اخرى
٣١	غره رمضان	يوركى موده وى	»	٧٠٠ »	»
٣٢	٢٩ »	فوكى	»	٥٠٠ »	»
٣٣	٥ شوال	جوانى يابولانى	حمص	٢٥٠ »	»
٣٤	١٧ »	طناش ردوسلى	فول	١٠٠٠ »	»
٣٥	٢٢ »	كوركى الموده لى	»	١٥٠٠ »	»

رقم	تاريخه	اسم التاجر	المقدار	المقدار	الجهة المصدر اليها
٣٦	٢ القعدة	يوسف كنعان	حنطة	٥٠٠ »	»
٣٧	٩ »	الخواجة روشتى	فول	١٠٠٠ »	»
٣٨	٩ »	» »	ذرة	٢٠٠٠ »	»
٣٩	١١ »	يودكى الموده لى	فول	١٠٠٠ »	»
٤٠	١١ »	قنصل دول اسبنيا	»	٢٥٠ أردب	»
٤١	٢٥ »	الخواجة قرة بت	حنطة	١٠٠٠ »	»
٤٢	٢٧ »	السيد محمد الطرابلسى	فول	٣٠٠ »	»
٤٣	٢٩ »	يوسف يوختى		٣٥٠ »	»
٤٥	٩ الحجة	جاقومو مقارول	حمص	٢٠٠ »	»
٤٦	٩ »	» »	فول	١٠٠٠ »	»
٤٧	٩ »	الخواجة عبود	حمص	١٠٠ »	»
٤٨	١١ »	قولونل تيس	قمح	١٠٠٠٠ »	»
٤٩	١٧ »	صادق اغا	»	١٠٠٠ »	»
٥١	٢٣ »	ميخائيل	فول	١٠٠ »	»
٥٢	٢٧ الحة سنة ١٢٢٧	يانى مودة لى	حمص	٤٠٠ أردب رشيدى	بلاد اخرى
٥٣	١١ محرم سنة ١٢٣٢	قسطندى طوسون	سمسم	١٠٠٠ » »	الممالك الأخرى (خ القط)
٥٤	١١ محرم » »		سمينة	١٠٠٠٠ » »	»

رقم	تاريخه	اسم التاجر	تصدير نوع	المقدار	الجهة المصدر اليها
٥٥	٢٩ « «	بغوص	حلبة	١٠٠٠ « «	الممالك الآخرى
٥٦	غرة صفر ١٢٣٢ سنة	ريجو وقوكتميي	جلباب (لوبية)	—	—
٥٧	٢٥ ربيع آخر «	جواني انسطاش	بذر كتان	١٥٠ أردب رشيدى	الممالك الأخرى
٥٨	٩ جماد أول «	ياسيوف	حلبة	٥ر٤٧ «	«
٥٩	١١ « « «	جرمانسي يخرى	أرز	٥٧١ أردب دمياطى	«
٦٠	١٣ « « «	خواجة قرة بت	«	١٠٠٠ «	« « (لم تسلم فشطب
٦١	٢٧ جماد أول ٢٣٢١	يودكى قوس	بذر الكتان	١٠٠ أردب رشيدى	ممالك اخرى («)
٦٢	٢٧ « « «	وشركاه	حمص	٥ر٤٠٠ «	« «
٦٣	١٧ جماد آخر «	جرمانسي	شعير	١٢٨٠ أردب دمياطى	« «
٦٤	٢٦ جماد آخر ٢٣٢١	بولى يوركى	أرز	٢٨٩ «	« «
٦٥	١٤ شعبان «	نيقوغوص	«	٨٠٠ «	« «
٦٦	١٤ « «	روشتى	«	١١٢ «	« «
٦٧	١٥ « «	اسيرو ظغيرى	«	٢١٠ «	« «
٦٨	٢١ « «	بعطريس يوكنى	«	٥٠٠ «	بلاد اخرى خ القطر
٦٩	٢١ « «	روسى	«	٢٥٠ «	«
٧٠	٢١ « «	الحاج ايليا جواهرجي	«	٥٠٠ «	«
٧١	٢١ « «	يوسف عزيز كيمل	«	« «	«

رقم	تاريخه	اسم التاجر	تصدير نوع	المقدار	الجهة المصدر اليها
٧٢	٢٢ » »	تحدى كهيل	»	٢٨٧ »	»
٧٣	٢٧ » »	المعلم فرنسيس	»	١٠٠٠ »	
٧٤	١١ رمضان »	زنانيرى	»	١٢٧ »	ممالك اخرى
٧٥	٢٨ ذى القعدة »	روشتى	فول جديد	١٠٠٠ اردب رشيدى	»
٧٦	٣ الحجة »	النجلى باسيل	حنطة	١٠٠٠ »	»
٧٧	٧ » »	انطون متقاقفى	»	٢٠٠٠ »	[illegible]
٧٨	٧ » »	جرجس طوبيا	ارز	٢٠٠ اردب دمياط	
٧٩	٧ » »	جوانى قمص	حنطة جديدة	١٠٠٠ اردب رشيدى	
٨٠	٧ الحجة سنة ١٢٣٢	جوانى قمصى	فول جديد	٤٠٠ اردب رشيدى	ممالك اخرى
٨١	» » »	انطون تماقص	»	٢٠٠ » »	» »
٨٢	١٨ » »	عنجلو باسيل	حنطة	١٠٠ » »	» »
٨٣	٢٥ » »	الخواجة حنا باسكى	عدس جديد	١٠٠٠ » »	» »
٨٤	٣٦ » »	فراسواروسى	فول جديد	١٠٠٠ » »	» »
٣	صفر سنة ١٢٣٥	احمد اغا ناظر الساقية	حنطة	١٨٤١ » »	للخارج
٤	» »	بلال اغا ناظر الحريم	حنطة	٢٢٠٠ » »	»
٥	٤ صفر »	حنا ونقولا كمبل	عدس	٥٠٠ » »	»
٦	» » »	» » »	حنطة	١٠٠٠ » »	»

رقم	تاريخه	اسم التاجر	تصدير نوع	المقدار	الجهة المصدر اليها
٧	» » »	مصطفى العلانية لى	»	٣٠٠ » »	»
١٠	١٢ » »	حنا ونقولا كمبل	»	٢٠٠ » »	»
١١	١٤ » »	يوسف كنعان	حنطة	١٠٠٠ » »	»
١٢	١٤ » »	ميخائيل شامى	عدس	٣٠٠ » »	»
١٣	١٥ » »	نقولا سمان	»	١٠٠ » »	»
١٤	٢٤ » »	الحاج احمد اغا ناظر	»	١٨٤١ر٥ » »	»
١٥	٢٥ » »	حنا زنانميرى	»	١٠٠ » »	»
١٦	٢٥ » »	» »	عدس	» » »	»
١٧	» » »	عبد الله	»	» » »	»
١٨	٢٩ » »	يعقوب ترجان اونل	»	٢٠٠ » »	»
١٩	ربيع اول سنة ١٢٣٥	فرلا ندريس	فول	٥٠٠ أردب رشيدى	»
٢٠	٤ » »	انطون سجمينى	حنطة	٢٠٠٠ » »	»
٢١	٤ » »	جرجس عبده	»	٥٠٠ » »	»
٢٢	» » »	ديمترى كمبل	عدس	٢٥٠ » »	»
٢٣	» » »	جرجس عبده	»	٢٥٠ » »	»
٢٤	» » »	ديمترى كمبل	حنطة	٥٠٠ » »	»
٢٥	٤ ربيع اول سنة ١٢٣٥	حنا زنانيرى	فول	٧٠٠ أردب رشيدى	للخارج

رقم	تاريخه	اسم التاجر	نوع تصدير	المقدار	الجهة المصدر اليها
٢٦	» » »	»	حنطة	١٥٠ » »	»
٢٧	» » »	»	ذرة	٢٠٠ » »	»
٢٨	٥ » »	طوسيجة قسطندى	نطرون	١٥٠٠٠٠ اقة	»
٢٩	١٦ » »	فرلانديس	فول	٧٠٠٠ اردب	»
٣٠	١٧ » »	نصر الله رزيق	حنطة	١٠٠٠ »	»
٣١	» » »	بويولانى	حلبة	٢٥٠٠ »	»
٣٢	٢٧ » »	يعقوب ترجمان	عدس	٣٠٠ »	»
٣٣	» » »	المعلم صالح	فول	٦٠٠ »	»
٣٤	» » »	اسبرون قبودان	»	٤٥٠ »	»
٣٥		انزلى تنالوقالوان	فول	٢٠٠٠ » »	»
٣٦	» » »	»	حنطة	٢٠٠٠ »	»
٣٧	٢٨ » »	بلال اغا ناظر الحريم	»	١١٢٣٫٢ »	»
٣٨	٤ ربيع آخر سنة ١٢٣٥	حسن بك اغا حاكم البحيرة	فول	٢٠٠٠ »	»
٣٩	» » »	انطون سيمينى	حنطة	٢٠٠٠ »	»
٤٠	» » »	حسن بك اغا حاكم البحيرة	»	١٠٠٠ »	»
٤١	» » »	انطون سيمينى	عدس	٣٠٠ »	»
٤٢	٧ » »	ضجادور	فول	١٠٠٠ »	»

رقم	تاريخـــه	اسم التاجر	تصدير نوع	المقـــدار	الجهة المصدر اليها
٤٣	» » »	رشتـــو	»	١٠٠٠ »	
٤٤	» » »	طجـــادور	»	» »	
٤٥	» » »	موسى نقـــولا	حنطـة	٣٠٠ »	
٤٦	٨ » »	يوركى قوسيمنه	ارز	٥٠٠ »	
٤٩	١٣ » »	بميرلى محمد رتيمسى	فـول	» »	
٥٠	» » »	عبد اللــه	حنطـة		»
٥١	١٤ » »	محرم بك	قمـح	٥٠٠ »	»
٥٢	١٥ ربيع آخر سنة ١٢٣٥	انطون بابا دميترى	فـــول	١٢٠٠ أرد رشيدى	للخـــارج
٥٣	» » »	جورجى قلوميبرى	»	١٠٠٠ » »	»
٥٤	» » »	طودورى وشريكه	حنطـة	١٠٠٠ » »	»
٥٥	» » »	محمد بدر الدين المغربى	»	٨٠٠ » »	»
٥٦	» » »	طوسيجه قسطندى	ارز	٢٠٠٠ » »	»
٥٧	١٦ » »	واسيلى »	فـــول	١٥٠٠ » »	»
٥٨	١٧ » »	محرم بك محافظ الاسكندرية	حنطـة	» » »	»
٥٩	٢٢ » »	بطرس لوكنى	حنطـة	١٠٠٠ » »	للخـــارج
٦٠	» » »	» »	فـــول		»
٦١	٢٣ » »	منالو قالويانى	»	١٠٠٠ » »	»

رقم	تاريخه	اسم التاجر	تصدير نوع	المقدار	الجهة المصدر اليها
٦٢	٢٣ » »	»	حنطة	٥٠٠ » »	»
٦٣	٢٣ » »	قليمر فرنسكى	»	٢٠٠٠ » »	»
٦٤	» » »	» »	فول	٢٠٠٠ » »	»
٦٥	» » »	» »	»	١٠٠٠ » »	»
٦٦	٢٤ » »	اسطمانى قسطندى	»	٢٠٠ » »	»
٦٧	٢٥ » »	اسقالون	»	٣٠٠٠ » »	»
٦٨	» » »	»	حنطة	٦٠٠ » »	»

المصادر والمراجع

وثائق العربية الغير منشورة :

أ) دار الوثائق القومية بالقلعة ٠

ـ دفاتر معية تركى (مترجمة) ٠

دفتر ١٨ ، ١٩ ، ٢٥ ، ٤٠ ، ٥٤ ، ٦١ ، ٦٨ ٠

ـ ديوان خديوى أوامر ٠

دفتر ٧٤٥ ٠

ـ دفاتر أوامر خزينة تركى (مترجمة) ٠

دفتر ٤١ ٠

ـ دفاتر ديوان مدارس عربى ٠

١٠٣ ـ ١٢٦ ـ ١٢٨ ـ ١٤١ ـ ١٤٢ ـ ١٤٣ ـ ١٤٤ ـ ١٥٤ ـ ١٥٨ ـ ١٥٩ ـ ٢٠٩ ٠

ـ دفاتر ديوان التجارة والمبيعات ٠

= ١ ـ ٤ ـ ٦ ـ ٤٠ ٠

ـ محافظة ابحاث متنوعة ٠

محفظة ٤٤ ـ ٥٠ ـ ٥٣ ـ ١٠١ ـ ١٠٣ ٠

ب) سجلات المحاكم الشرعية المحفوظة بدفتر خانة الشهر العقارى القاهرة ٠

ـ محكمة الديوان العالى ٠

مسلسل ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٧ ـ ٨ ـ ٩

٢ ـ محكمة الباب العالى ٠

مسلسل ٢ ـ ٣ ـ ٦ ـ ٨ ٠

٣ ـ محكمة القسمة العربية ٠

مسلسل ١٤٣ ـ ٢٤٣

٤ ـ محكمة القسمة العسكرية

مسلسل ٣٩٤ ٠

المراجع العربية

١ ـ ابراهيم عبده تاريخ الطباعة والصحافة فى مصر خلال الحملة الفرنسية طبعة ثانية مكتبة الآداب بالجماميز سنة ١٩٥٠ ·

٢ ـ ابراهيم عبده تطور الصحافة المصرية طبعة ثانية مكتبة الآداب بالجماميز سنة ١٩٥١ ·

٣ ـ أحمد أحمد الحتة تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن ١٩ الطبعة الأولى مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٥ ·

٤ ـ أحمد المغازى الصحافة الفنية فى مصر نشأتها وتطورها منذ الحملة الفرنسية ١٧٩٨ الى مصر الدستورية ١٩٢٤ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨ ·

٥ ـ أحمد أمين قاموس العادات والتقاليد والتعبيرات المصرية الطبعة الثانية ـ مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٣ ·

٦ ـ أحمد حسين الصاوى فجر الصحافة فى مصر الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٥ ·

٧ ـ أحمد صادق سعد تاريخ العرب الاجتماعى فى تحول التكوين المصرى من الخط الأسيوى الى الخط الرأسمالى ـ الطبعة الأولى ـ بيروت دار الحداثة ـ ١٩٨١ ·

٨ ـ أحمد عزت عبد الكريم تاريخ التعليم فى عصر محمد على ـ مكتبة النهضة عام ١٩٣٨ ·

٩ ـ أحمد قمحة بك ـ عبد الفتاح السيد بك نظام القضاء والادارة مكتبة الهلال بالفجالة ١٣٤٣ هـ/١٩٢٥ م ·

١٠ـ أدم متز ـ ترجمة محمد عبد الهادى الحضارة الاسلامية ـ القاهرة ١٩٤٠ ·

١١ـ ادوارد جوان تعريب محمد سعد مصر فى القرن التاسع عشر الطبعة الأولى ـ القاهرة فى سنة ١٣٤٠ الموافق ١٩٢٨ ·

١٢ـ ادوارد وليم لين نقله الى العربية عدلى طاهر نور المصريون المحدثون شمائلهم وعاداتهم دار النشر للجامعات المصرية سنة ١٩٧٥ ٠

١٣ـ الأمين عوض الله الحياة الاجتماعية فى العصر الفاطمى دار المجتمع العلمى بجده سنة ١٩٧٩ م ٠

١٤ـ الجبرتى (عبد الرحمن) تاريخ عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ثلاثة أجزاء ـ الطبعة الثانية بيروت ١٩٧٨ ٠

١٥ـ السيد رجب حراز المدخل الى تاريخ مصر الحديث منذ الفتح العثمانى الى الاحتلال البريطانى ١٥١٧ ـ ١٨٨٢ دار النهضة العربية ـ١٩٧٠

١٦ـ السيد يوسف نصر الوجود المصرى فى أفريقيا من ١٨٢٠ـ١٨٩٩ م ـ دار المعارف ـ ١٩٨١ ٠

١٧ـ الياس زاخورا السوريون فى مصر الجزء الأول طبع بالمطبعة العربية بمصر ١٩٢٧ م ٠

١٨ـ أميل فهمى حنا تاريخ التعليم الصناعى دار الكتاب ١٩٦٧ ٠

١٩ـ أندرية ريمون ترجمة زهير الشايب فصول من التاريخ الاجتماعى القاهرة العثمانية دار الهلال ١٩٧٤ ٠

٢٠ـ أمين سامى تقويم النيل وعصر اسماعيل المجلدات ٢ ، ٣ جزء ثالث دار الكتب المصرية ١٩٣٦ ٠

٢١ـ جاك تاجر حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر دار المعارف ١٩٥١ ٠

٢٢ـ جمال جمدان شخصية مصر ـ دراسة فى عبقرية المكان مكتبة النهضة العربية سنة ١٩٧٠ م

٢٣ـ ج ٠ بير ـ ترجمة وتقديم عبد الخالق لاشين ـ عبد الحميد فهمى الجمال دراسات فى التاريخ الاجتماعى لمصر الحديثة القاهرة ١٩٧٦ (مكتبة الحرية الحديثة) ٠

٢٤ـ ج ٠ كرستوفر هيرولد ترجمة فؤاد أندراوس بونابرت فى مصر ـ دار الكتاب العربى ١٩٦٢ ٠

٢٥ــ جورج يانج تعريب علي أحمد شكري تاريخ مصر في عهد المماليك الى نهاية حكم اسماعيل المطبعة الرحمانية ــ الخرنفش ــ ١٩٣٤ م ٠

٢٦ــ جورجي زيدان تاريخ أدب اللغة العربية الطبعة الأولى الجزء الرابع مطبعة الهلال ١٩١٢ ٠

٢٧ــ جيرار دى نرفال ــ ترجمة كوثر عبد السلام البحيرى رحلة الى الشرق ــ ثلاثة أجزاء ــ دار الكتاب العربي ١٩٦٦ ٠

٢٨ــ حسين خلاف ــ التجديد في الاقتصاد المصري الحديث الطبعة الأولى ــ دار أحياء الكتب العربية ١٩٦٢ ٠

٢٩ــ خليل صابات ــ تاريخ الطباعة في الشرق العربي الطبعة الثانية ــ دار المعارف ــ ١٩٦٦ ٠

٣٠ــ سعد الخادم ــ تاريخ الأزياء الشعبية في مصر دار المعارف ١٩٦١ ٠

٣١ــ سيد ابراهيم الجيار تاريخ التعليم الحديث في مصر وابعاده الثقافية الطبعة الثانية (مكتبة غريب بالقاهرة) ١٩٧٧ م ٠

٣٢ــ سيد اسماعيل علي الأزهر دار الثقافة للطباعة والنشر ١٩٧٤ ٠

٣٣ــ شحاتة عيسى ابراهيم القاهرة دار الهلال ــ بدون تاريخ للنشر ٠

٣٤ــ شفيق شحاتة ــ تاريخ حركة التجديد في النظم القانونية منذ مطلع القرن ١٩ طبع دار احياء الكتب العربية عيسى الحلبي وشركاه سنة ١٩٦١ م ٠

٣٥ــ صالح جودت ــ مصر في القرن التاسع عشر القاهرة ١٩٦٠ ٠

٣٦ــ عبد الرحمن الرافعي تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر الجزء الأول الطبعة الرابعة مكتبة النهضة ١٩٥٥ م ٠

٣٧ــ عبد الرحمن الرافعي ــ تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في الجزء الثاني الطبعة الثانية مطبعة النهضة ١٩٤٨ م ٠

٣٨ــ عبد الرحمن الرافعي عصر محمد علي الطبعة الثانية مكتبة النهضة ١٩٥١ ٠

٣٩ــ عبد الرحمن زكي ــ التاريخ الحربي لعصر محمد علي الكبير دار المعارف بمصر ١٣٦٩ ــ ١٩٥٠ م

٤٠ــ عبد الرحمن زكي القاهرة ــ تاريخها وأثارها دار الطباعة الحديثة ــ ١٩٦٦ م ٠

٤١ـ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم المغاربة فى مصر فى العصر العثمانى دراسة فى تأثير الجالية المغربية من خلال وثائق المحاكم الشرعية المصرية تونس ١٩٨٢ م ٠

٤٢ـ عبد السميع سالم الهوارى لغة الادارة العامة فى مصر المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ١٩٦٢ م ٠

٤٣ـ عبد العزيز محمد الشناوى صور من دور الأزهر فى مقاومة الاحتلال الفرنسى ـ مطبعة دار الكتب ١٩٧٠ ٠

٤٤ـ عبد اللطيف حمزة ـ قصة الصحافة فى مصر منذ نشأتها الى منتصف القرن العشرين مطبعة دار المعارف ـ بغداد ـ ١٩٦٧ م ٠

٤٥ـ عبد المتعال الصعيدى دراسة الحركة والاصلاح وقوانينها ورجالها تاريخ الاصلاح فى الأزهر وصفحات من الجهاد فى الاصلاح مطبعة الاعتماد فى مصر ـ ١٤ مايو ١٩٤٣ ٠

٤٦ـ عزيز خانكى بك التشريع والقضاء قبل انشاء المحاكم الأهلية المطبعة المصرية ١٩٤٤ م ٠

٤٧ـ على الجريتلى تاريخ الصناعة فى مصر فى النصف الأول من القرن ١٩ دار المعارف ١٩٥٢ م ٠

٤٨ـ على مبارك الخطط التوفيقية ج ١ مطبعة بولاق ـ ١٣٠٦ هـ ٠

٤٩ـ عمر الاسكندرى وسليم حسن تاريخ مصر فى الفتح الى قبيل الوقت الحاضر مع نبذة من أخبار بعض الأمم التى ارتبطت بمصر فى ذلك العهد مطبعة المعارف بشارع الفجالة بمصر ١٣٤٠ هـ ٠

٥٠ـ عمر طوسون الصنائع والمدارس الحربية فى عهد محمد على الاسكندرية مطبعة صلاح الدين الكبرى ١٩٣٢ م ٠

٥١ـ علماء الحملة الفرنسية ترجمة زهير الشايب وصف مصر ج ١ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ الطبعة الأولى مطبعة الخانكى ١٩٨٠ م

٥٢ـ فريدريك نيولايك ـ ترجمة أحمد زكى مصر والجغرافية الطبعة الأولى ـ المطبعة الأميرية ١٩٠٠ م

٥٣ـ فؤاد فرج ـ القاهرة ج ٣ مطبعة المعارف ١٩٤٤ ٠

٥٤ـ كلوت بك تعريب محمد مسعود لمحة عامة الى مصر دار أبو الهول بمصر بدون تاريخ ٣ اجزاء ٠

٥٥ـ ليلى عبد اللطيف أحمد الادارة فى مصر فى العصر العثمانى مطبعة جامعة عين شمس ١٩٧٨ ٠

٥٦ـ لويس عوض تاريخ الفكر المصرى الحديث القاهرة ـ كتاب الهلال ـ ابريل ١٩٦٩ م ٠

٥٧ـ محرم كمال آثار حضارة الفراعنة فى حياتنا الحالية دار الهلال ١٩٥٦ م ٠

٥٨ـ محمد سيد عبلانى فى ربوع الأزبكية القاهرة ١٩٥٧ ٠

٥٩ـ محمد فهمى لهيطة تاريخ مصر الاقتصادى مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٤ ٠

٦٠ ـ محمد فؤاد شكرى الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر دار الفكر العربى ـ بدون تاريخ ٠

٦١ـ محمد فؤاد شكرى مصر فى مطلع القرن التاسع عشر ١٨٠١ ـ ١٨١١ ثلاثة اجزاء القاهرة ـ ١٩٥٨ ـ جامعة القاهرة ٠

٦٢ـ محمد فؤاد شكرى وعبد المقصود العنانى ، سيد محمد خليل بناء دولة مصر محمد على الطبعة الأولى ـ دار الفكر العربى ١٩٤٨ ٠

٦٣ـ محمد كامل الفقى الأزهر وأثره فى النهضة الأدبية الحديثة الجزء الأول مطبعة المنيرة بالأزهر ١٩٥٦ ٠

٦٤ـ محمد يوسف نجم المسرحية فى الأدب العربى الحديث بيروت للطباعة والنشر ١٩٥٦ م ٠

٦٥ـ محمود السروجى الجيش المصرى فى القرن ١٩ دار المعارف ١٩٦٧ ٠

٦٦ـ محمود الشرقاوى دراسات فى تاريخ الجبرتى مصر فى القرن الثامن عشر ج ١ مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٤ م ٠

٦٧ـ مكى شبيكه السودان فى قرن ـ مطبعة لجنة التأليف والنشر ١٩٤٧٠

٦٨ـ هيلين آن ريفلين ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى الاقتصاد والادارة فى مصر فى مستهل القرن التاسع عشر دار المعارف ١٩٦٧ م ٠

٦٩ـ ورنر هو فميتر ترجمة محمد رضا رحلة الى مصر فى عهد محمد على باشا الكبير طبع بمطبعة المقتطف والمقطم ـ ١٩٤٧ م ٠

٧٠ـ وليم نظير العادات المصرية بين الأمس واليوم دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ١٩٦٧ م ٠

٧١ـ يعقوب نخلة روفيله تاريخ الأمة القبطية القاهرة ١٨٩٨ م ٠

رسائل جامعية وابحاث غير منشورة :

١ ـ حلمى محروس اسماعيل دراسات فى التاريخ الاجتماعى فى مصر خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر رسالة دكتوراه ـ جامعة القاهرة ـ ١٩٧٧ م ٠

٢ ـ عبد المنعم شميس الشعر والسياسة رسالة ماجستير جامعة القاهرة سنة ١٩٥٤ م ٠

٣ ـ محمود رياض ـ القاهرة دراسة تمهيدية للنمو العمرانى بحث غير منشور بمناسبة العيد الألفى للقاهرة جامعة عين شمس ٠

٤ ـ محمود عبد الحميد حياة الأتراك الاجتماعية فى مصر خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر رسالة ماجستير جامعة القاهرة ١٩٦٣م٠

المراجع الأجنبية

1. Bartlett (W. H.) — The Nile boat climpses of land of Egypt London 1850.
2. Bevan Samuel Narrative of advantures in Egypt London 1826.
3. Browne (W. G.) — Travels in Africa, Egypt and Sylia from the year 1792 to 1798 London 1799.
4. Butler (A. J.) Court life in Egypt — London, 1887.
5. Clarke Edward Daniel — Travels in vaiious ccuntries Europe Asia and Africa-Second Part — London, 1843.
6. Colonel Olumes Elwood Intwov — Narrative of A Journey over land from England by the contnent of Europe, Egypt and the Red Sea to India. London 1830.
7. Doduell Henry — The Founder of modern Egypt A study of Mohammed Ali-Cambridge 1931.
8. Henniker Frederick — During A visit to Egypt-London, 1825.
9. Lewis John — Arabic Proverbs or the manners and customs of the Modern Egyptians illustrated from their proverbial sayings London, 1830.
10. Light Henry — Travels in Egypt — London. 1831
11. Madden (R.R.) — Egypt and Mohammed Ali London, 1841.
12. Pocok Richard — Description of The East and Some other Countries-volume the first Observation on Egypt-Missing editor
13. Religion in the Middle East — Arbery editor — Cambridge 1969.
14. St. John — Egypt and Nubia — London 1845.

جداول مقابلة التواريخ الهجرية والميلادية

١ ـ ف ويستنفيلد ـ ترجمة عبد المنعم ماجد وعبد المحسن رمضان ٠

جدول السنين الهجرية بايالبها وشهورها وبما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها الطبعة الأولى ـ مكتبة الانجلو ـ ١٩٨٠ ٠

الدوريات ٠

١ ـ مجلة الاقتصاد والتجارة العدد الثاني السنة السادسة يوليو ـ ديسمبر ١٩٥٨ ـ القاهرة ٠

٢ ـ المجلة التاريخية التونسية ـ العدد ٩ ـ يوليو ١٩٧٧ م ٠

فهرس الحياة الاجتماعية

الموضـوع	صفحة
الباب الرابع : الشئون القضائية والأمن	١٦٣
القضـاء	١٦٥
التشـريع	١٧٥
الأمن	١٧٩
الباب الخامس : العـادات والتقاليد	١٨٣
العـادات والتقاليد	١٨٥
الحفلات العمومية الدورية	١٩٣
الأعياد الدورية العـامة غير الدينية	٢٠٧
الأعيـاد الخـاصة	٢١١
المـلابس	٢٢٥
الحمـامات العـامة	٢٣١
مياه الشرب ومشروبات أخرى	٢٣٥
الطعـام	٢٣٩
المقـاهى	٢٤٣
الرقص والغنـاء والموسيقى	٢٤٥
الرواة المحدثون	٢٥٠
الأمثال الشعبية	٢٥٣
الشـعراء	٢٥٥
وفرق التمثيلية والمسرحية	٢٥٧
الخاتمـة	٢٥٩
الملاحـق	٢٦٧
المصادر والمراجـع	٢٨٣
المراجع العربية	٢٨٥

مطابع الهيئة المصريه العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٢/٣٧٩٥

SIBN — 977 — 01 — 3025 — 7

لقد شهد مجتمع القاهرة فى مطلع القرن التاسع عشر احداثا
هامة أدت إلى انتقال هذا المجتمع إلى مرحلة جديدة اثرت على
كافة الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها وقد
تناول هذا الكتاب التغيرات التى طرأت على مختلف الجوانب
الاجتماعية فى مدينة القاهرة وذلك من ناحية التركيب
الاجتماعى للسكان والنواحى العمرانية والشئون الصحية
بالإضافة إلى التغيرات التى حدثت فى الحياة الثقافية من تعليم
وصحافة وطباعة وترجمة وكذلك تناول الكتاب الشئون
القضائية والتشريع والأمن واخيرا وضح الكتاب الجوانب
المختلفة الخاصة بالعادات والتقاليد ، واعتمد الكتاب على
مصادر اصلية ووثائقية بالإضافة إلى عديد من المراجع العربية
والاجنبية

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب